

«... وحدثت في المستقبل الى مدى ما تستطيع عين الانسان...»
« فرأيت الجوَّ حافلاً بالتجارة. وأساطيل الجوَّ ذات الأشرعة السحرية. »
« وطائرات الشفق القرمزي مثقلة بالبالونات النفيسة... وسمعت الصياح يدوي في »
« السماوات العلى. ثم هطل ندى مروع من أساطيل الأمم الهوائية وهي تصارع »
« في كبد السماء »
[للشاعر تينسن]

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والثمانين

١٧ رمضان سنة ١٣٥٥

١ ديسمبر سنة ١٩٣٦

الطيران والحرب القادمة

للفيلسوف برتراند رسل

ملخص من كتابه الجديد « سبيل السلام »

كان لتغير اساليب الحرب تأثيرٌ في تاريخ العمران اكبر مما يسلم به الذين يؤثرون تفسير التاريخ بالبواغث والنوازع الاقتصادية. ومنذ بدأ الانسان يحارب حروباً منظمة ، نشأ تنافس بين اصحاب وسائل الدفاع واصحاب وسائل الهجوم . ويمكن ان يقال بوجه عام ، انه متى كانت وسائل الدفاع متفوقة على وسائل الهجوم ، يتسع المجال لتقدم الحضارة وارتقاها . وعلى الضد من ذلك ، فانها ترجع القهقري اذا تفوقت اساليب الهجوم على اساليب الدفاع ومن وجوه المنافسة بين وسائل الحروب ، تفوق الحيوش الكبيرة احياناً ، وتفوق البراعة العسكرية والمعدات الحربية احياناً اخرى . ففي العصور الوسطى ، كان مجهز الفارس بالხოذة والدرع والرمح يقتضي نفقة ، فكان العالم ارسقراطياً . فلما جاء البارود قضى على الفروسية ، وسار بالعالم رويداً رويداً الى الحيوش الاهلية الكبيرة والنظم الديمقراطية وقد ارتقت اساليب الهجوم والدفاع منذ وضعت الحرب اوزارها سنة ١٩١٨ ولكن ارتقاء اساليب الهجوم كان اسرع خطى وأوسع نطاقاً ، ففقد « العدد » ما له من القيمة في الحيوش ، بالقياس الى البراعة والمعدات الميكانيكية . وهاتان الحقيقتان ، تجعلان المستقبل ملبساً بغيوم قاتمة.

فالاولى تعرض الاهلين للهلاك في الحرب والثانية تجعل الباقيين على قيد الحياة ، خاضعين في الراجح لسيطرة اقلية عسكرية

وكلا هذين الاتجاهين تتجا من التقدم في الطيران الحربي . فاذا حصرنا النظر في الحرب على سطح الارض ، فالمرجح ان اساليب الدفاع متفوقة على اساليب الهجوم ، حتى لتبرُّ في تفوقها ما كانت عليه في الجهة الغربية في الحرب الاخيرة . والغالب عند اهل الرأي ، انه من المتعذر على الالمان اختراق خط ماحينو ، على حدود فرنسا الشرقية كائنة الخطط العسكرية التي يعمدون اليها ما كانت . وما يصحُّ على البرِّ يصحُّ على الاساطيل البحرية ، اذا اقتصرنا في الحرب على سطح الماء وما تحته . والغالب ان فعل البوارج الضخمة سيكون في الحرب القادمة اقل منه في الحرب الماضية ، من حيث هي وسائل للهجوم ، فيكتفي بها في الدفاع عن شواطئ البلاد التي تحميها . لا ريب في ان السفن التجارية تبقى معرضة لخطر الغواصات ، ولكن اذا كان كلُّ الخطر عليها مصدره الغواصات ، فمن غير المتعذر التغلب عليه . ولو ان الطائرات ، لا تزال كما كانت من عشرين سنة ، لكانت الحرب القادمة في الغالب على نمط الحرب الماضية

ولكن الطائرات الحربية عززت اساليب الهجوم حتى تفوقت على اساليب الدفاع ، فكان لتفوقها هذا تأثير عظيم في خطط الحرب وخطط السياسة جميعاً

نعم ان بين المحافظين من القواد وامراء البحر من لا يسلم بهذا . فيقول الجنرال ريكان Réquin « ان الصفة العسكرية للحرب في المستقبل ستشبه بوجه عام ما كانت عليه حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ في دورها الاخير » . اما في ما يتعلق بالبحر فقد تمكنت الاميرالية البريطانية على ما يظهر من اقناع الحكومة بأن للبوارج من الدرجة الاولى شأنًا حاسمًا في الحرب . الا ان كثرة الخبراء ترى غير هذا الرأي ، وعندها ان الطائرات الحربية ، في البر والبحر ، ستجعل اساليب الحرب القديمة عديمة التأثير ، ان لم تجعلها متعذرة

خذ رأي الماجور پرات Pratt وهو سويدي راقب سير الحرب الكبرى ، منزهًا عن الهوى وهو بحاري طائفة كبيرة من الخبراء العسكريين في حبه للسلام . قال في كتابه « الحرب القادمة » « وما هو رأينا اذن ؟ ان التفوق في الجو سيكون العامل الحاسم في الحرب الاوربية وان هذا التفوق مرادف للتفوق الحربي . ولكن هذا الرأي لا يصدق كل الصدق الآن » (نشر كتابه بالانكليزية سنة ١٩٣٠) . وعنده ان صدق هذا الرأي يتجلّى كل التجلّي سنة ١٩٤٠ وقد اقام الحجة على ان التفوق في الاسطول الجوّي يحول دون تعبئة الجنود ويشل حركة الجيش بالقاء القنابل على الطرق وسكك الحديد التي تنقل المعدات والنخار . قال : « ان جيشاً ضعيفاً في سلاحه الجوّي أداة لا فائدة منها في الحرب ، والخطط العسكرية التي يجري عليها

خطط عقيمة». ثم أضاف الى ما تقدم قوله بأن « فقد السيطرة في الجو قد يحول دون استعمال القوات البحرية في سبيل ما صنعت له »

ولكن ، هل من المستطاع ان تفرد دولة من الدول بالسيادة الجوية ؟ ألا تستطيع الاساطيل الجوية الفرنسية مثلاً ان تفعل في المانيا ما تفعله الاساطيل الالمانية الجوية في فرنسا ؟ يرى الماحجور پرات وغيره من الخبراء ، ان خطط الاساطيل الجوية ، تتجه أولاً الى هجوم مباشر على اهداف كبيرة ثابتة ولا سيما المدن الكبيرة . الا أنه يختلف عن معظم الخبراء في انه يتوقع في بدء الحرب معركة جوية عظيمة يصيب فيها أحد الفريقين نصراً حاسماً والاخر خذلاً حاسماً . ولو صح هذا ، لكان الأمر هيناً . بضع ساعات أو أيام من القتال بين طائفة يسيرة من الجندين المجريين في الجو ، ثم ينتهي الأمر . عندئذ يشعر الجانب المغلوب ان المقاومة لا تجدي فيطلب الصلح على خير ما يستطاع . ان حرباً من هذا القبيل ، لا تسفر عن تدمير مادي كبير ، مع انها لا بد ان تسفر عن احلال الحكم الدكتاتوي في البلدان الديمقراطية المغلوبة محل النظم القائمة ، ولكنها على كل حال لا تهدم كيان المجتمع البشري ولا تقضي الى نشر الفوضى

الا ان الطائرة ، على قوتها العظيمة في الهجوم ، ضعيفة كل الضعف في الدفاع . ولنفرض جدلاً ان حرباً نشبت بين المانيا وفرنسا . فالفرنسيون يدركون انه لا بد للامان من مهاجمة باريس بطائراتهم ، ولا ريب في انهم يودون ان يتخذوا جميع الوسائل الممكنة للدفاع عن عاصمتهم . ولكن جميع الأدلة تدل على ان اكتشاف طائرات العدو وهي سائرة الى هدفها لا يمكن ان يتم بسرعة كافية ، (السند في هذا القول الجزال جروفر ويؤيده في ذلك ثقة الماني) وانه من المتعذر ان تصد أسطولاً جويّاً عن الوصول الى هدفه اذا كان قائده مستعداً ان يبذل في سبيله بعض أسطوله . واذا أخير في هذه الحالة ان يعتمد الفرنسيون الى مهاجمة برلين وتدمير ما يتيسر تدميره منها او مهاجمة منطقة الرين الصناعية ، بدلاً من محاولة الدفاع عن باريس . واذا دارت معارك جوية ، فانها تدور بعد ان تلقي الاساطيل الجوية قنابلها على مدن العدو ومناطقه الصناعية هذه هي الحالة التي حملت المستر بولدوين في الغالب ، على تصريحه بأن الدفاع الوحيد ضد هجوم جوي إنما هو الهجوم . وهذا يعني انه يتعين عليك ان تقتل من النساء والأطفال اكثر مما يقتله عدوك اذا شئت ان تنجو بنفسك . ومعظم الخبراء الفنيين يؤيدون هذا الرأي . ومن بواعث الأسف انه يلوح لنا اننا مضطرون الى التسليم به مرجحيته على رأي الماحجور پرات

وتأييداً لهذا الرأي نسوق رأي خير آخر في هذا الصدد هو كومدور الجو تشارلتن Charlton في محاضراته التي ألقاها بكلية ترنتي في جامعة كمبرج ثم توسّع فيها ونشرها في كتاب عنوانه الحرب في الجو War from the Air . فالكومدور تشارلتن يبرز الماحجور پرات في ما

يعزوه الى الطائرات من الشان والمساكنة في حروب المستقبل ولكنه يختلف عنه في ما يقوله عن معركة جووية حاسمة تقع في مفتتح الحرب . قال ما معناه : لا يزال بعض الناس يظن ان الحرب في الجو يمكن ان تكون حرباً بين كرام وتقصر على الاساطيل الجوية التي يعبها الجانبان ويقابل هؤلاء طائفة من الكتّاب تتصور ان خير أساليب الحرب الجوية هو البحث عن الطائرات وهي مستقرّة في المطارات وتدميرها بقذف القنابل عليها قبل ان تحلق في الجو ، وكانهم يريدون ان يقولوا باستئصال الخطر من منبعه كأنك تقفل حنفية الماء عند مخرج الحوض فتمنع الماء من الوصول الى مدينة ما . اننا لا نستطيع ان نفهم لماذا يتجه المحاربون الى انفاق المال وإضاعة الوقت في أعمال يشك في تحقيقها كالبحت عن مطارات ، حالة ان المدن أمامهم ، واسعة الرحاب مزدحمة بالسكان يسهل قذفها بالقنابل الجهنمية من عل ، فالمطارات ليست اهدافاً تسهل اصابتها ، ولكن المدن والمناطق الصناعية مما يسهل تسديد القنابل اليه وتدمير جانب كبير منه . ثم ان الطائرات التي يبغى الطيارون تدميرها في المطارات قد تكون موزعة هنا وهناك وكل ما يتصل بها مما له ضرورة حربية قد يكون مخبوءاً في اقية تحت الأرض منيعة على القنابل

والكومدور تشارلتن ليس من الذين يعتقدون ان في وسع الاساطيل البحرية ان تصمد لهجوم من الجو . كان في سنة ١٩٢١ ملحقاً جويّاً للسفارة البريطانية في واشنطن فشاهد بأمر عينه نجارب جربتها الحكومة الاميركية بسفيتين حرييتين آلت اليها من بقايا الأسطول الالماني . كانت الحكومة قد عازمت على اغراق السفينتين . وكان الجدل شديداً بين أنصار سلاح الطيران وقدرته على اغراقهما بقنابل يقذفها من الجو ، وأمرء البحر الذين أصرّوا على ان ذلك متعذر . فلما جاء اليوم ، وحلقت الطائرات في الجو واخذت تقذف قنابلها الجهنمية ، تصيب هدفها أحياناً وتخطئه أحياناً أخرى ، وأخذت السفينتان في الغرق ، وتبين ان غرقهما نشأ عن القنابل التي أصابتها بقدر القنابل التي أخطأها قليلاً — لأن رجة هذه القنابل تحت الماء مزقت الدروع حيث تتصل الألواح بعضها ببعض — عند ذلك تحولت امارات الدهشة المرتسمة على وجوه أمرء البحر الى امارات الدهول

وهذا مع العلم بأن احدى السفينتين كانت في رأي خبراء البحر من السفن التي لا تفرق ، وكانت قد اشتركت في معركة جتلند فتمكّنت من الوصول الى المرفأ على الرغم من اصطدامها بلغمين واصابتها بعدة قنابل . وها هي ذي قنابل الطائرات التي لم تلمسها بل وقعت على مقربة منها ، ذات أثر فعال في اغراقها . وجميع التجارب التي جربت بعد ذلك أيدت هذا الرأي

واذن يصح ان نقول ان الخبراء يجمعون ، او يكادون يجمعون ، على ان مهمة الاساطيل الجوية لن تكون في الحرب القادمة ، تدمير بعضها بعضاً ، بل تدمير المدن المزدحمة بالسكان والمناطق

الحافلة بالمصانع . فالحرب المقبلة تتجه في تدميرها الى الاهلين اولاً . وقد بين الجزال جروفر في كتابه « وراء ستار الدخان » Behind the Smoke Screen ان الغرض الاول الذي يتجه اليه كل محارب ، اما هو الضغط على شعب العدو لمجبه على اقناع حكومته بوجوب طلب الصلح

فما هي الوسائل التي ينتظر ان يعتمد اليها المحاربون لتحقيق هذا الغرض ؟
كان تأثير الهجوم الجوي الالماني في لندن خلال الحرب الكبرى اعظم مما يظن . نعم ان الذين لقوا حتفهم قلة يسيرة بالقياس الى الوف الالوف من سكان تلك العاصمة . ولكن الجزال جروفر اثبت ان من آثار هذه الهجمات نقص ما كانت تنتجه مصانع الذخيرة بنحو ١٦ في المائة علاوة على اضعاف الروح المعنوية في عامة الشعب . فمن المشهور ان محطات سكة حديد النفق التي تحت الارض كانت تزدهم باللاجئين اليها احياناً حتى كان يخشى عليهم من الموت اختناقاً ، ويقدر عدد الذين كانوا يلجأون اليها بنحو ٣٠٠ الف كل ليلة حينئذ ، وان نصف مليون غيرهم كانوا ينامون في اقنية تحت الارض . اما مدينة هل وهي اكثر تعرضاً لمثل هذه الحملات الجوية الليلية ، فكان نصف اهليها يغادرونها بعد الهجومين الاولين لاجئين الى الحقول ، مفضلين ذلك على المبيت في مدينة لا تملك وسائل الدفاع الواقية ضد شياطين الجو . وحدث في هيد Hylle بعد هجوم ٢٥ مايو سنة ١٩١٧ ان تجمع جمهور كبير وهاجم المطار محاولاً ان يقتل الطيارين ويدمر طائراتهم حقناً لان سلاح الجو لم يردّ غائلة هجوم العدو عن البلدة . وصرّح احد موظفي وزارة الذخيرة في ١٢ فبراير سنة ١٩١٢ ان العمال رفضوا العمل ليلاً الا اذا قطع لهم عهد بانذارهم قبيل حدوث هجوم جوي ليلى انذاراً يمكنهم من التفرق

هذا في الحرب الماضية . اما في الحرب المقبلة فاسمع ما يقوله السرموثل هور : بلغ وزن القنابل التي القاها الالمان على هذه البلاد خلال الحرب الكبرى ثلاثمائة طن . ولكن اساطيل الجو الآن تستطيع ان تقذف هذا القدر من القنابل في اليوم الاول وان تمضي فيه على هذا المتوال الى ما شاء الله

وعلاوة على ذلك كانت القنابل التي كانت الاساطيل الجوية تلقيها من الجو في الحرب الكبرى تحتوي على مواد متفجرة ولكنها اليوم تستطيع ان تلقي ثلاثة اصناف من القنابل ، اولها القنابل التي تحتوي على مواد متفجرة ، وثانيها القنابل التي تحتوي على مواد مشتعلة ، وثالثها القنابل التي تحتوي على غازات حربية . فتستعمل القنابل من الصنف الاول في تدمير الجسور والمباني والمصانع ومحطات السكة الحديد وخزانات الصاغة الكهربائية . والقنابل التي من الصنف

الثاني تستعمل لاحداث حرائق كبيرة . فمادة الترميت Thermite تولد حرارة درجتها ٥٠٠٠
 بميزان سنتغراد فتصهر الصلب وتجريه انهاراً . ولا يبعد ان تنفجر أنابيب الغاز فتندلع ألسنة اللهب
 منها . ولا ريب في أن فرق المطافيء تمجزعن اطفاء هذه النيران لان حرارتها تبخر الماء في الحال
 والصنف الثالث من القنابل يحتوي على الغازات الحربية (وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه
 الغازات هنا لاتا وفيئنا الموضوع حقسه من البحث في المقتطف فليراجع القارىء مقال الدكتور
 شوشه بك : « الغازات الحربية » في مقتطف نوفمبر ١٩٣٥ صفحة ٢٩٩ ومقال « الغاز الحربي
 الكامل » في مقتطف فبراير ١٩٣٦ صفحة ١٧٨

وقد اشار الكاتب الى غاز يدعى لوسيت Lewisite يقال انه أشد فعلاً من غاز الخردل .
 فكلاهما يحدث حروقاً اذا اتصل بالبشرة ولكن الحروق التي يحدثها غاز اللوسيت تسمم بما
 يحتوي عليه الغاز من الزرنيخ وهو من العناصر التي تدخل في تركيبه ، ولما ينجم المصاب من هذا
 التسمم . ولا يمكن توقيه الا بتغطية كل الظاهر من بشرة الانسان تغطية وافية . ويكفي ما تحمله
 خمسون طائرة قاذفة من قنابله لتسميم لندن وضواحيها ، اذا كانت احوال الجو ملائمة .
 ومن حسن الحظ ، ان الاحوال قلما تكون ملائمة كل الملازمة ، ولكن هلاك الناس به في المدن
 الكبيرة ، يظل مع ذلك عظيماً

فماذا عندنا من وسائل الوقاية ضد هذا الهجوم الجهنمي ؟

ليس في وسع الطائرات المدافعة أن تقينا وقاية وافية لان الوقت بين الانذار بوصول طائرات
 العدو ووصولها وشروعها في القاء قنابلها المختلفة قصير جداً . وقد تفاج المدافع المقاومة للطائرات
 المهاجمة بحملها على البقاء مرتفعة فلا تستطيع ان تسدد قنابلها الى هدف معين ، ولكن كل شيء
 في مدينة كمدينة لندن يكاد يكون هدفاً فليس في هذه المدافع حماية للشعب . ولا تستطيع
 الانوار الكشفافة الا في النادر ان تعين مواقع الطائرات المهاجمة ، ولا سيما ان هذه الطائرات
 ليست مستقرّة في الجو بل تسير بسرعة عظيمة جداً ، واكتشافها في نقطة معينة لايساعد كثيراً
 على الوقاية منها

وقد جاء في بيان اذاعته وزارة الداخلية الانكليزية عنوانه « الاحتياطات للهجوم الجوي »
 (٩ يوليو ١٩٣٥) ان ضمان السلامة من هجوم جوي متعذر . فالزيادة في سرعة الطائرات تجعل عمل
 الدفاع شاقاً ، وقدرتها على زيادة ما تحمله ، تمكن طائرة واحدة افلتت من وسائل الدفاع ، من ان
 تحدث ضرراً بالغاً

وجاء في البيان بعد هذه المقدمة ان بناء ملاجئ واسعة النطاق تكون بمأمن من التعرض
 لقنابل العدو غير عملي واذا صرف النظر عن كل وجه من وجوه استحالت كفي ان

تكون نفقته طائلة حتى لا يمكن الاضطلاع بها. وعلى كل حال يمكن توقي الاصابة بما تطيره القنابل الساقطة في الجو من الحشب والحجر والشظايا بنفقة يسيرة . . . أليس في هذا شيء من التعزية !

اما الوقاية من الغاز فلها اساليب اخرى. وفي بيان وزارة الداخلية ان الحكومة ستوزع منشورات تحتوي على ما يجب ان يفعله السكان لوقاية منازلهم من تسرب الغاز اليها . ولكن المهم في هذا الامر ليس توزيع التعليمات بل الاخذ بها . والاخذ بها يقتضي معرفة وقدرة على الاتفاق في بيان وزارة الداخلية ، ان كميات الغاز والملابس الواقية ستوزع على رجال المرافق العامة كرجال المطافئ والبوليس . حتى اذا استطاعت الحكومة ان توزع كميات الغازات على جميع السكان — وهو عمل قد يكون متعذراً من الناحية الصناعية — فلا ريب في ان الاعداء سيحاولون استعمال غاز يخرق الكمادات . ومن المعلوم ان غازاً من الغازات المعروفة الآن يخرقها ويحمل صاحب الكمادة على رفعها . ثم كيف تستطيع الامة ان تمضي في عملها اليومي ، وهي لابسة هذه الكمادات ؟ ثم كيف يستطيع الصغار والاطفال استعمالها ؟

لا ريب في أن البيانات الرسمية تحاول ان تخفف من وقع الخطر الذي يتعرض له الناس وفي ذلك يقول الكومندور تشارلتن : ثمة وسائل للدفاع على الارض متحركة وساكنة وهي على الاقل تمكن الشعوب من الاحتفاظ برباطة جأشها وتحول بينها وبين الذعر ، وتؤخر الساعة التي تهب فيها الى طلب الصلح بأي ثمن . اما في الحرب من الجو ، فلا ريب في ان الغاز سيغمر محطات السكك الحديدية وارصفة المواني ومناطق الاسواق العامة ، والمواد المتفجرة ستدمر الجسور والارصفة ومحطات الطاقة المحركة . والمواد المشتعلة — الثرميت — ستبذل في المدينة مسببة على الراجح حريقاً يفوق النار الكبيرة التي دمرت لندن تدميراً سنة ١٦٦٦

ويؤيده في ذلك الماجور ناي فيقول ، ان الخطط العسكرية المحتملة في المستقبل ستجبه الى القاء قنابل المواد المتفجرة على المدن اولاً لحمل الشعب على اللجوء الى الاقضية التي تحت الارض . وبلي ذلك قنابل ملائي بغاز اقل من الهواء فيتغلغل الى الاقضية ويلبث فيها . وليس في المستطاع تجهيز ملايين من الكمادات لسكان جميع المدن في المناطق المعرضة لذلك ويرى الجنرال فلر ان الغازات التي تستعمل في المستقبل ستكون مما يقعد لا بما يمت ، الا ان الجنرال جروفر يذهب الى ان الخوف والكره سيدفع الشعوب المتحاربة الى نوع من الجنون يتجه الى اهلاك الجماهير

وقد أعد في المانيا كتاب عنوانه « الحرب الكيميائية » اعده خيران من خبراء الغازات الحربية فجاء فيه ما يلي : ان الحرب المقبلة ستكون حرباً تنشر فيها الغازات بواسطة الطائرات

والدبابات ، وقلما ينتظر ان يقام وزن للأهليين غير المحاربين مع ان البحث يدور على تجهيزهم بكمامات ودروع واقية

أما الجنرال فون التروك *von Altroek* فقد كان اصرح في قوله مما تقدم . قال : في حروب المستقبل يوجه الهجوم الأول الى العقد العصبية في مواصلات العدو ، وإلى المدن الكبيرة والمناطق التي تكثر فيها المصانع وحيث المستودعات الرئيسية للذخائر والماء والغاز والضوء — وبكلمة واحدة يوجه الهجوم الأول الى كل شريان في جسم العدو . والقاعدة بث الغاز مسافات بعيدة وراء الخطوط التي ترابط فيها الجيوش : وكذلك تعرض للدمار التام مناطق واسعة يقطعها الشعب الآمن . اي ان الحرب ستتخذ احياناً مظهر هلاك واسع النطاق للشعوب المتحاربة ، لا مظهر قتال بين جنود

وقد أقام الماحجور لفيور *Lefebure* — وهو من اعظم الثقة الانكليزي في موضوع الغاز — الحجة على تعذر وقاية الشعب من اخطار الغازات بلبس الكمامات . قال انه اذا سلم جداً بإمكان اعداد العدد اللازم من الكمامات ، فاستعمالها يحتاج الى مراعاة واقية ، قد لا تتعدى اقلية يسيرة قلما يمكن ان يكون النساء والاطفال والشيوخ والعجزة منها . ثم ان الهجوم من الجو لا بد ان يقع فجأة في الغالب لان الحكومات تعلم ان الاسطول الجوي الذي يسبق منافسة الى الضرب يرجح له الفوز الحاسم ، وليس في امكان الناس ان تكون كماماتهم في متناولهم في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل . ويرى الدكتور ووكر *Woker* رئيس معهد البيولوجية الكيميائية الحيوية في برن ان أعداد الأقمية الواقية لتكون منيعة على الغاز متعذر ، لان قنابل المواد المتفجرة وقنابل المواد المشتعلة تشقق السطوح والجدران فهيؤها لتسرّب الغاز اليها

ومهما يكن من أثر هذه الوسائل الواقية الضعيفة في تقليل عدد الهالكين ، فان الذعر الذي يصيب الأهليين يشلّ حياة البلاد الاقتصادية . وما الفائدة من حماية الاعضاء عند يصاب الجهاز العصبي بالشلل !

يقول الفيلسوف برتران رسل : ان تفكيري عند ما أفكر في هذه الامور ، لا ينصب خاصة على لندن ، لان ما تتعرض له لندن تتعرض له كل مدينة كبيرة في اوربا . ان القارتين الاميركيتين في مأمن من هذا الخطر الآن . واتحاد روسيا السوفيتي كذلك . اما اميركا فلبعدها وانفصالها بمحيطين عظيمين عن سائر العالم . واما روسيا فسعة اراضيها وانتشار سكانها يحولان دون انهيارها انهياراً تاماً على اثر هجوم جوي . ولكن باريس وبرلين وميلانو وجميع المناطق الصناعية في غرب اوربا معرضة تعرض لندن لهذا الخطر العظيم

التمثال

للمهندس علي محمود طه

الانسان صانع الامل ، ينحت تمثاله من قلبه وروحه ، ولا يزال
عاكفاً عليه يبدع في تصويره وصقله متخيلاً فيه الحياة وسحرها
وجمالها ، ولا يكتن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجراً
أصم ، حتى نحمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامع وتشعره السنون
بالمعجز والضعف فيفزع الى معبد احلامه هاتفاً بتمثاله ، ولكن
التمثال لا يتحرك ، ولكن الحلم الجميل لا يتحقق ، وهكذا تجتاح الليالي
ذلك المعبد وتعصف بالتمثال فيهوى حطاماً ، وهنا يصرخ اليأس
الانساني ويمضي القدر في عمله

أقبلَ الليلُ واتَّخذتُ طريقَ لك والنجم مؤنسى ورفيقي
وتوارى النهارُ خلف ستارٍ شفيٍّ من الغمام رقيق
مدَّ طيرُ المساء فيه جناحاً كشراع في لجة من عقيق
هو مثلي حيران يضرب في الليل ويجتاز كل وادٍ سحيق
عاد من رحلة الحياة كما عدت وكلُّ لوكره في طريق !!



أيُّ هذا التمثالُ هأنذا جئتُ لألقاك في السكون العميق
حاملاً من غرائب البر والبحر ومن كل محدثٍ وعريق

ذاك صيدي الذي أعود به ليلاً وأمضى إليه عند الشروق
جئت ألقى به على قدميك الآ ن في لهفة الغريب المشوق
عاقداً منه حول رأسك تاجاً ووشاحاً لقدك المشوق !



صورة أنت من بدائع شتى ومثال من كل فن رشيق
بيدي هذه جبلتك من قلبي ومن رونق الشباب الأنيق
كلما شمت بارقاً من جمال طرت في إثره أشق طريق
شهد النجم كم أخذت من الروعة عنه ومن صفاء البريق
شهد الطير كم سكبت أغانيه على مسمعك سكب الرحيق
شهد الزهر كم جوتك بالرياء وقربت كل نفح عيق
شهد الكرم كم عصرت جناه وملأت الكؤوس من إبريق
شهد البر ما تركت من الفار على معطف الريح الوريق
شهد البحر لم أدع فيه من دررٍ جدير بمفريق خلقي
ولقد حير الطبيعة أسرا في لها كل ليلة وطروقي
واقتحامي الضحى عليها كراعٍ أسوي أو صائدٍ إفريقي
أو آله مجنح يترأى في أساطير شاعرٍ إغريقي
قلت لا تعجبي فما أنا إلا شبحٌ لج في الخفاء الوثيق
أنا يا أم صانع الأمل الضاحك في صورة الغد المرموق
صغته صوغ خالق يعشق الفن ويسمو لكل معنى دقيق

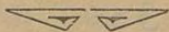
وتمظّرتُه حياةً فأعيانِي ديبُ الحياة في مخلوقي !!
كل يوم أقول في الغد لكن لست ألقاهُ في غدٍ بالمفيع
ضاع عمري وما بلغتُ طريقي وشكا القلبُ من عذابٍ وضيق



معبدي! معبدي! دجا الليل الآءَ رعشةً الضوء في السراج الخفوق
زأرتُ حولك العواصفُ لما قهقه الرعدُ لالتماع البروق
لطمت في الدجى نوافذك الصمَّ ودقّت بكل سيلٍ دقوق
يا لثمّ الي الجميل احتواه ساربُ الماء كالشاهد الغريق
لم أعدُ ذلك القوي فأحميه سَطًا الويل والبلاء المحيق
ليلتي! ليلتي! جنيت من الآءِ ثام حتى حملت ما لم تطيقي
فاطربي واشربي صُبا به كأسٍ خمرها سال من صميم عروقي!



مرّ نورُ الضحى على آدميٍّ مطرقٍ في اختلاجة المصعوق
في يديه حطامةُ الأمل الذائب في ميعة الصبا الموموق
واجماً أطبق الاسى شفتيه غير صوتٍ عبّر الحياة طليق
صاح بالشمس لا يرعك عذابِي فاسكبي النار في دمي وأرقي
نارك المشهاة أُندي على القلب وأحني من الفؤاد الشفيق
نخذي الجسمَ حفنةً من رمادٍ وخذي الروحَ شعلةً من حريق
جُنّ قلبي فما يرى دمه القاني على خنجر القضاء الرقيق !!



الادب والآلة

تأثير الادب في عصر الآلات

وتأثير الآلات في أساليب الادب

بين الادب والآلة صلة قديمة ترتد الى اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر . كان الادب قبل ذلك التاريخ مقتصرًا على جماعات يسيرة من الناس . فكلام الخطيب كان لا يسمع الا في دائرة ضيقة حول خشبة المنبر . وكان في استطاع الشاعر او المؤرخ أو العالم أن يؤلف كتاباً ولكن نفقة نسخها كانت كبيرة فحالت دون ذيوعها . حتى المؤلف المسرحي ، وهو اديب يجمع بين القراء والسامع ، كان لا يفوز الا بجمهور يسير من الفريقين اذا قيس بمسرحي اليوم الا اننا في القرن العشرين عدنا لا نحسب المطبعة آخر المخترعات التي لها صلة وثيقة بالادب من حيث توسيعها لنطاقه . لان هناك وسائل أخرى استحدثها العلم . فاذا كتب برنارد شو كتاباً الى محرر صحيفة كبيرة في لندن ، ينطوي على رأي المعني أو نقد لاذع ، نقلت كلماته كلمة كلمة بالبرق الى نيويورك فنشر في سلسلة متصلة الحلقات من صحفها يطالعها الوف الالوف . فالبرق يوسع نطاق الادب . والاذاعة اللاسلكية تكمل هذا العمل . ولو انه كان في الامكان افناع برنارد شو مثلاً أن يقف خطيباً في لندن امام مذياع لا يمكن ان يسمعه جمهور من الاميركيين والا انكليز لا يقل عدده عن مائة مليون

كان على سقراط ان يكتفي بطائفة يسيرة تحاوره ويحاورهم في اجورا ، وعلى قيقرون ان يقنع بقلّة من شيوخ روما في مجلس شيوخها . ولكن المحاورات اللاسلكية تدور الآن بين ادياء يقيمون في مدن متباعدة ، وخطباء الامم من أمثال روزفلت وهتلر وموسوليني وبولدوين يخطبون فيصغي اليهم العالم قاطبة . ولو عاش سقراط ، أو قيقرون ألف سنة ، لما سمعها في خلالها عدد من الناس ، يقارب من يسمع شو أو هتلر أو روزفلت في ساعة واحدة

نسلم بأن عدد الجمهور المستمع للخطيب لا يعلي من شأن الجمهور . وان الجمهور المستمع مثقفاً كان أو غير مثقف ، كبيراً أو صغيراً ، لا يجعل من كلام الأديب او الخطيب فناً . ولكن

الأدب في عصر الآلة لا يمكن ان يبحث على أوفى وجه إلا من حيث ارتباطه بالآلات التي خلقت للأدب عملاً جديداً وأشكالاً مستحدثة. قد يكون من المستطاع إقامة الحجة، على ان هذه الوظائف وهذه الاشكال دخيلة على الادب وانها لن تغيّر شيئاً من قواعد فن الابداع. فالشعر لا يزال شعراً، والدرامة لا تزال درامة، والقص لا يزال قصاً، والموضوعات الرئيسية التي يعالجها الادب لا تزال الموضوعات التي كان يعالجها من قرون وقرون. ولكن شأن الادب في الحضارة قد تغيّر منذ اخترعت المطبعة، ولا بد أن يمضي في تغيّره متأثراً بكل أداة جديدة يبدعها العلم ويلقيها على باب الكاتب، لتكون صلة جديدة بينه وبين القارئ.

وقد يقال ان الاذاعة اللاسلكية التي تنقل قول المذيع الى آذان السامع لا صلة لها بالادب، لان ما قيل لم يدوّن، وانما تبددت نبراته مع امواج الهواء والاثير. ولكن ليعد القارئ بالذاكرة الى العصور القديمة، عند ما كان الادب، ولا سيما الشعر ينقل بالرواية من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر وليتصور مثلاً شاعراً كفرنسوى فيون المنشد الباريسي. فقد كان فيون يقرأ اناشيده لصحبه في خماره من الخمرات، وكان يسبح لهم بان يدونوها اذا شاؤا. والمرجح ان شيئاً منها لم يطبع الا بعد نفيه، او بعد وفاته. اي ان الجمهور الكبير الذي قرأ فيون قرأه بعد ما غدا من التّعذر عليه ان يعرفه. ولو ان شاعراً كفيون وقف امام المذيع في هذا العصر، وقرأ اشعاره فتذيعها الامواج السحرية على الوف الالوف، ثم تدوّن في اقراص الحاكي فيستعيدها كل من يأنس من نفسه رغبة في سماع صوته، لحكمتنا بان للاذاعة واقراص الحاكي مكانة وآية مكانة، في نشر قصيدة من القصائد تطرب لها النفوس او تتحرك. قد يعزف الجمهور بعد شهر عن هذه القصيدة ليقبل على اخرى تلبها من شاعر آخر، وقد تطوى هذه القصيدة او تلك بعد سنة في زوايا النسيان، ولكن ذلك لا يهم. لان الآلة تكون، قد اطالت من عمرها ووسعت من نطاق تأثيرها. وهو ما لم يكن فيون ولا غير فيون من شعراء العصور القديمة يطمع فيه. وكذلك يكون الادب قد أثر على وجه ما في عصر الآلة تأثيراً كان مستحيلاً على الادب قبل عصر الآلة.

بين قراءة فيون لاشعاره في خماره بباريس، وقراءة فيون الموهوم لاشعاره امام المذيع تطور عظيم الشأن، ترتد اوسع خطواته الى المطبعة. والمطبعة تعني، تمكين الاديب من تعديد النسخ التي تنشر من كتابه. ولكن هذا التعديد افضى الى اشياء اخرى. ذلك ان ندرة الكتب لفداحة ثمنها كما كانت قبل عهد المطبعة، حتمت ان تكون في متناول قلة من الناس اي ان قليلاً من الناس كان يأنس من نفسه باعناً على العناية بتعلم القراءة ليقراها. فلما كثرت النسخ، بطبعها بدلاً من نسخها، حرّكت في الجماهير العناية بها، كما تحلق بضاعة جديدة رغبة في شرائها.

فلما كثرت الكتب كثرت القراء ، ولما كثرت القراء كثرت الكتب . وما كاد القرن السابع عشر يهل على العالم حتى كانت كثرة الآيات من الآداب القديمة قد طبعت . وفي مستهل القرن الثامن عشر ، كان من النادر ان تجد مؤلفاً جديراً بالذكر يتعذر عليه نشر مؤلفاته . فلما كان القرن التاسع عشر ، كانت الصحف قد ألقت عنها تمام الطفولة ، وصارت تنافس الأدب . وفي مطلع القرن العشرين ، كانت الطباعة قد أصبحت من الصناعات الكبيرة ، واتسع نطاق الأدب وتعددت فروعه ، حتى أصبح ما كان يعرف بالأدب في القرون السابقة جزيرة صغيرة في محيط فسيح من الكلمات المدونة والمطبوعة . وقد انجبه الميل في الثلث المنقضي من القرن العشرين ، الى تعدد الكلمات المطبوعة في الأدب الى غيرها من الوسائل التي تؤثر في حواس غير حاسة النظر — فثمة الخطابة بواسطة المذياع . وثمة الصور المتحركة في الدراما . وثمة الصفحات المصورة في الصحافة . وليس بالنادر ان نجد من يتنبأ بأن الأدب قد أوشك ان ينهار ، وان الناس بفضل الوسائل الميكانيكية المستعملة في عرض آثار الفكر والفن ووقائع الحياة عليهم ، سيرجعون القهقري الى عصر من الامية ، مضت عليهم قرون وهم يكافحون في سبيل الخروج من ظلماته وليس يهتسنا هنا ما يقوله هؤلاء . وانما يهتسنا ان نبين تأثير الآلة في الأدب . ففي المقام الاول كان من تأثير الآلة في الأدب تقسيم العمل وتوفير كل فريق من الأدباء بوجه عام ، على فرع منه أو جزء من فرع ، حتى أصبحنا ولنا في دولة الأدب كما لنا في دولة الاجتماع طبقات وطبقات . فثمة من يقول بأن الصحافة غير الأدب ، بل ان بين الاثنين نوعاً من المنافسة والصراع . والخطابة عادت لا تعد من فنون الأدب وكذلك العلم وجانب كبير من المؤلفات التاريخية . وقد ازوت الدراما في جانب من الميدان الذي كانت تحتله ، لتخلي المكان للصور المتحركة فالأدب في عالم ، يكاد يكون فيه كل انسان قارئاً ، أصبح لا يطلق الا على نطاق محدود مما يكتب وفقاً لقواعد معينة لتقرأه طبقة خاصة من الناس بأساليب معينة . وليس هذا التحديد من قبيل التعنت . ولكنه ينبع من حقيقة أساسية ، وهي ان جميع الوسائل التي تشجع الكتاب على الكتابة ، وتعينهم على ذبوع أسماهم ، لا تستطيع ان تزيد عدد الموهوبين الممتازين منهم . فظهور العباقرة بين الكتاب لم يزد بابتداع هذه الوسائل . والأدب ، بهذا المعنى المحصور لا يزال نادراً . ولكن الطلب الكثير على كتب الادب افضى ولا ريب الى كثرة المتوسط منها او ما هو دون المتوسط ولو ان المطابع حصرت عمالها في طبع الآيات الادبية فقط ، لاجتنب جانب من هذه الشرور . ولكن دون عمل من هذا القبيل عقبات كبيرة . فالناشرون لا يدركون دائماً قيمة الآثار الادبية التي تعرض عليهم للنشر . وعلاوة على ذلك لجمهور القراء مطالب تعري بنشر كتب تؤدي اغراضاً خاصة لا يؤديها الادب بأعلى معانيه . فكتب الملخصات لحقائق العلوم والمعارف

العامة وكتب التسلية وما كان منها متصلاً بتفسير الانباء اليومية تنال من القراء اقبالاً لا قبل للناشرين بتجاهله . وليست هذه الرغبة خاصة بعصر الآلة ، ولكن الناشئين في عصر الآلة ، وجدوا الوسائل الوافية لتلبيتها واكفائها . ان فلاً حاكاً بابائياً في العصور القديمة كان في الغالب يسأل منجماً عن مرض اصاب قطعانه ويصفي الى قصة تروى حول نار القبيلة ويستطاع مسافراً ما حدث في اقرب مدينة جاء منها . ولكن الفلاح الاميركي او الانكليزي يقرأ الآن نشرات الحكومة الخاصة بوقاية القطعان من مرض وبائي ، ويطلع رواية ويقرأ جريدة ، فيشبع نفيس الميول التي كان يشبعها الفلاح البابلي على طريقته البدائية — وليس من فرق بين الاثنين الا المطبعة

الا ان البحث في الادب يغري الباحثين عادة ، بصرف النظر عن كل ما كان دون الادب الصميم ، وحصره في الادب الذي تكتمل فيه قواعد الفن ويرجى له الخلود . ولكن بحثاً من هذا القبيل قلما يتسع اتساعاً وافياً لشمول جميع عناصر البحث . لان كلمة « لتراتور » وهي التي نترجمها عادة بلفظ الادب هي كل ما يكتب ليقرأ اي ان الادب باوسع معانيه وسيلة لتمكين الفكر الانساني من بلوغ مدى لا يبلغه اذا اكتفى الانسان بالنطق . ثم كيف السبيل الى التفريق الحاسم بين مؤلفات أدبية ، هي من الآيات الخالدة على الدهر ، والمؤلفات التي تروج مدة طويلة او قصيرة ثم يطوئها النسيان . فرواية دون كيشوت كتبت لتكون صورة « كاريكاتورية » من روايات كانت رائجة في ذلك العصر . وقصة روبنسن كروزو كانت احد الكتب الكثيرة التي الفت في ذلك العهد في وصف الرحالين الضالين والمسافرين الذين تحطمت سفنهم على شواطئ جزائر نائية غير آهلة بالناس . وليس بين تلك الكتب الآن — اذا استثنينا روبنسن كروزو — ما يحفل به احد الا اصحاب غرض خاص في البحث . ولا يستطيع أحد من النقاد ان يقول ، ان سرفانتس ، مؤلف دون كيشوت وديفو ، مؤلف روبنسن كروزو ، اقبلا على كتابة مؤلفيهما وهما يقصدان خاصة ان يسما كتابيهما بسمه الفن والخلود . ولكنهما كانا كاتبين عبقرين ، فظهر كتاباهما على الكتب التي قلدها او التي جريا على غرارها . والراجح أنهما لم يدركا أنهما يقومان بعمل يعجز معاصروهما عن القيام به . فكان الحكم للزمن والزمن هو الغربال الأخير ، يغربل الكتب التي تؤلف ولا يستبقى الا النادر منها . الا ان الادب عمل متصل ولا يمكن ان يفهم الا بالمقابلة بين الكتب التي يكتب لها الخلود والكتب الأخرى التي لا يدوم نجاحها الا بين ليلة وضحاها من ليالي الزمن وضحاها

وليس أدل على تأثير المطبعة في المطبوعات من دراسة تأثيرها في القصة لأن القصة في عصر الآلة ، هي أبرز الأساليب الكتابية وأوسعها انتشاراً وأكثرها رواجاً . فلولا المطبعة لما ادركت القصة على أبعد تقدير ما أدركته الآن من الذبوع . ومع ان القصة كاسلوب من أساليب الأدب اخترعت قبل عهد المطبعة ، الا أنها لو اعتمدت على جهد النساخ في اخراج نسخ متعددة

من قصة واحدة ، لما أدركت عشر معشار الذبوع الذي أدركته عن طريق المطبعة . حتى بعد اختراع المطبعة ، كان لابد من انقضاء ثلاثة قرون قبل ان تبلغ القصة ، دور الأكتال . كانت الرواية ولا تزال أوسع اساليب الادب نطاقاً ولكن اكتشاف جميع الصفات التي يمكن ان ينطوي عليها أسلوبها الادبي ، ما كان ممكناً قبل نشوء طبقة كبيرة من القراء ترغب في مطالعتها . والمطبعة هي الآلة التي كونت هذه الطبقة وأتمتها . وقد جاء عهد كان للقصة خصوم كثيرون فحسبها خصومها نوعاً من التسلية غير مفيدة ، وكان الرأي عندهم ان القراءة يجب ان تنحصر في ما يفيد . ولكنهم عجزوا عن هذا الحصر . لان المطبعة التي ربّت طبقة من الناس تقرأ للفائدة ، عجزت عن منعهم عن القراءة للتسلية . وكذلك زاد الطلب على القصة فراد المعروض منها . وكذلك تسنى للقصة في القرن التاسع عشر ان تبرز جميع الاساليب الادبية في تقديمها وتطورها . بل انها في تقديمها ، اخذت على عاتقها ان تقوم في بعض أشكالها بعمل القصيدة القصصية ، لان النشر اسهل في القراءة من الشعر ، وسلبت الدراما بعض مقامها لانه اسهل عليك ان تبعث في طلب كتاب من ناشر يبعد عنك الف ميل من ان تذهب عشرين ميلاً فقط لمشاهدة دراما تمثّل . وكذلك أصبحت القصة مدرسة للسلوك ، ومنبراً للمناقشة ، ومجلى للتاريخ ، ومسرحاً مصغراً للحياة . بها احكمت الصلة بين جمهور الناس والادب ، بل فاقت جميع اساليب الادب الاخرى في ذلك — انها في ميدان الادب نصراً للآلة

اما الرواية المسرحية ، وهي اسلوب ادبي أقدم من القصة ، فقد خضعت كذلك لتأثير الآلة . فالمسرحيات الانغريكية واللاتينية ، وكذلك مسرحيات شكسبير وموليير ، كانت تخرج بالايدي ، علاوة على نسخها نسخاً . ولم يكشف الانسان الوسائل الجديدة لاضاء المسارح وتغيير المشاهد ورفع الستار وخفضه الا في القرن التاسع عشر ، فتحول هذا الجانب من المسرح الى عمل ميكانيكي محض او يكاد يكون كذلك . وقد أثر كل ذلك في نواح ثانوية من اسلوب المسرحيات في الكتابة والخراج ، ولكن المسرحيات لا تزال بوجه عام مسرحيات والممثلون ممثلين ، وبرنارد شو أقرب من هذا القبيل الى يوريديس من تولستوي الى هوميروس . الا ان الجديد حقيقة في الادب المسرحي في عصر الآلة ، هو الصور المتحركة . ففما المصورة الضوئية في الادب المسرحي كهمام المطبعة في ادب القصة وغيرها من المؤلفات . انها تمكن الناس من اخراج نسخ متعددة من مسرحية واحدة ممثلة . فالمسرحية عندما تمثل على مسرح لا يمكن ان تتعدى عدد النظارة الذين يشاهدونها في وقت ما . ولكن المسرحية التي تمثل وتصور في خلال تمثيلها ، على شريط منسب ، يمكن ان تصنع منها نسخاً متعددة فلا تمضي أسابيع على توزيع الشريط حتى يعرض في جميع انحاء العالم . واللغة لا تحول دون هذا الانتشار . قبل الصور المتحركة الناطقة كان يعتمد على ان التمثيل الصامت لغة عالمية . وبعد نشوء الصور المتحركة الناطقة اخترعت

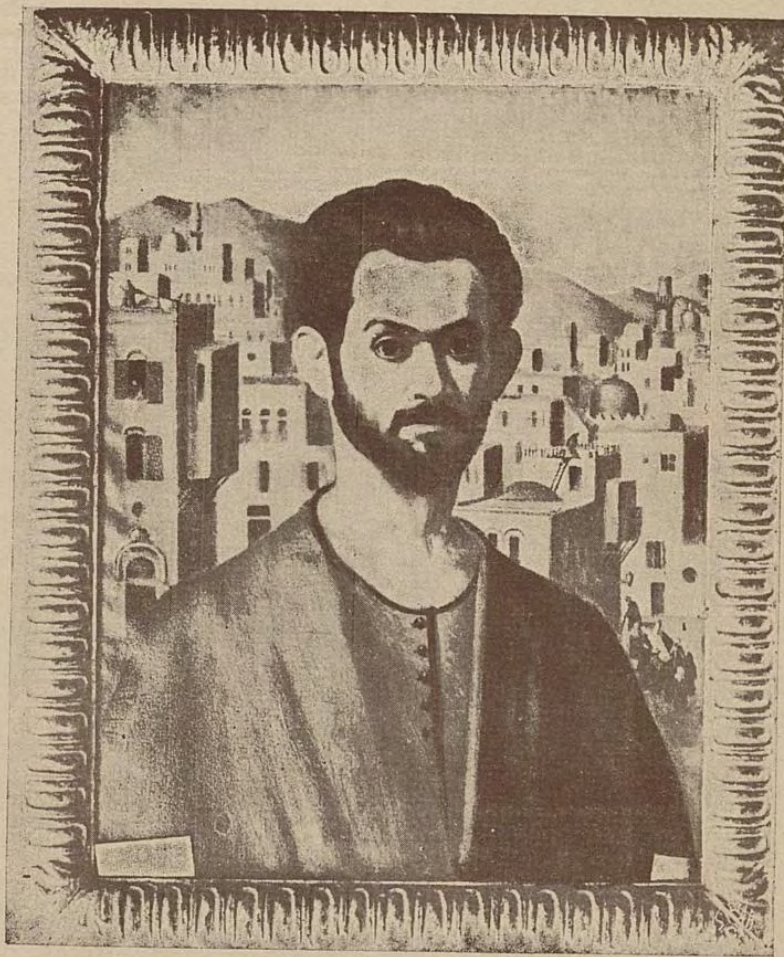
أساليب لتغيير كلام الممثلين من لغتهم الأصلية الى لغة البلاد التي يعرض فيها الشريط . ولعل فن السنا أسلوب من أساليب الفن المسرحي ، يمتاز به عصر الآلة . وهو أسلوب لا يمكن ان يكون من دون الآلة . وفيه نتيقتين كيف تستطيع الآلات ان تحرر فنانا من الفنون من قيوده القديمة ، وكيف تغلّسه في آن واحد . فلمصورة الضوئية ، مكنت المخرج من ان يختار أية بقعة على سطح الارض لتكون مشهد لروايته سواء أكان ذلك على قمة جبل أو في سفينة ماخرة عباب اليم او داخل مصنع حديث او على متن طيارة محلقة في الجو أو في شارع مدينة كبيرة أو في صحراء قاحلة . وليست هذه المشاهد مما يرسم باليد ثم يصور الرسم بالضوء ، ولكنها صور حقيقية حيّة في الغالب ، او لا تكاد تفرق عنها في شيء . ثم ان مجال التمثيل أوسع مما يتسع له مسرح كبير في هو متسع . ولما كانت صور المشاهد والممثلين تصوّر في معزل عن الناس ، فالوقت متسع أمام المخرجين للنقد والاعادة والاجادة . وكذلك لا يعرض على الناس الا ما بلغ مرتبة الاتقان التي يرتضيها المخرج ، وهي واحدة في جميع النسخ ، لا تتأثر كما قد يتأثر الممثلون على المسرح ، بأحوال الصحة والمرض ، والفرح والترح ، وقلة النظارة وكثرتهم الا ان الصور المتحركة ترمي الى الفوز باستحسان اكبر عددا من الناس ، ولذلك يفضل اقطابها ان تكون تحت مستوى الخاصة فكراً وقسماً على ان تكون فوق مستوى الكثرة الساحقة . فقصصها في الغالب عادية لا ابداع فيها ، ومثلوها من اطرزة محددة ومعروفة ، وموضوعاتها مبتذلة . ذلك ان الآلات تحيد التصوير ولا تحيد التفكير

وقد لا تكون الكتابة للصحافة من الاساليب الادبية الصميّة المعترف بها ، ولكنها على كل حال من الادب بأوسع معانيه . وهذه الكتابة قد تأثرت الى ابعد مدى بالآلات . فالرغبة في الاطلاع على الاخبار قديمة جداً ، ولكن مدى هذه الرغبة لم يعرف على حقيقته ، حتى ظهرت الصحف الحديثة ، وهي وليدة الآلات — من الآلات التي تصنع الورق ، في لفات كبيرة ، الى المطابع الدوّارة ، الى منضدات الحروف ، الى وسائل العلم الحديث في نقل الانباء والصور على اختلافها . قد يختلف الباحثون في هل تصنع الانباء الجريدة أو هل تصنع الجريدة الانباء . ولكن من المحتم ، انه على كثرة ما ينشر في الصحف من الانباء ، لا تحدث في العالم حوادث على جانب وافي من خطورة الشأن تكفي لملا جريدة من جرائد اميركا او اوربا الكبيرة . ولكن الآلات التي اخترعت واتقنت لجمع الاخبار وتضيد حروفها وطبعها ، لا يمكن ان تبقى ساكنة ، واذن فلا بد من لشركل ما يتيسر جمعه من الانباء بلغت ما بلغت من التفاهة . بل الواقع ان الصحف التي يقرؤها مئات الالوف بل الالف الانوف مضطرة الى نشر جميع الانباء الخطيرة والتافهة ، حتى يتيسر لكل قارئ من قرائها ان يجد فيها ما يهمه أو يأسده

وهذا يفسر حجم الصحف الكبيرة في اميركا وانكلترا . ولما كان القصد من كل عدد من الصحيفة ان يكفي قارئه يوماً واحداً ، فالانباء تكتب وترتب ، بحيث يتمكن القارئ المستعجل من الاطلاع عليها بنظرة عجل . فهي تكتب بسرعة وتقرأ بسرعة وتنسى في الغالب بسرعة . فلو لا الآلات لما كانت الصحف الحديثة . والآلات هي العوامل التي تحدّد صفات هذه الصحف . ومع ذلك يسعنا ان نقول ان كل ما أثر من آداب اليونان القديمة ، لا يرسم صورة واضحة لحياهم كالصورة التي رسمها الطبعة الاحدية من جريدة نيويورك تيمس مثلاً لحياة الامة الاميركية

قد يعترض معترض على سياق هذا البحث ، باننا عينا بالاساليب الادبية في العهد الاخير ، من حيث تأثرها بالآلة ولـكننا لم نقل شيئاً من تأثير الآلة في الادب ، في القرون التي انقضت بين اختراع المطبعة وواسط القرن التاسع عشر . والرد على هذا الاعتراض ، ان الطباعة لم تبلغ مقاماً عالياً في الحضارة الغربية ، حتى ظهر أثرها في تكوين طبقة كبيرة من القراء . اي انه كان لابد ان تصبح المطالعة عادة لاغنى عنها كلبس الاحذية قبل ان يظهر هذا الاثر . ولذلك ظلت المطبعة من الكماليات الى ان تم ذلك . وكانت النتيجة الاجتماعية ، لتكوين هذه الطبقة ، ان الاشاعات أضحت تسرع حول الارض اسراع البرق ، والانباء التي كانت تقضي شهوراً حتى تنتقل من بلد الى بلد بالرواية او بالبريد ، غدت تذاع على ملايين القراء في جميع الاقطار كل يوم . ونشأ عن ذلك توسيع نطاق التأثير الناشئ عن انتقال الافكار وتحريك الشعور . ففي الامكان اليوم ان تثير قارة بأسرها ، كما كان الخطيب يثير قرية صغيرة في العصور القديمة . بل في الامكان ان تصنع بطلاً بين ليلة وضحاها ، وان تنظم حملة واسعة النطاق في اسبوع ، وحرراً صليبية في شهر ! ان الحضارة الغربية — بعد اختراع الراديو والصور المتحركة والصحافة الحديثة — أشبه ما يكون بمشاهد جالس في مسرح وفي حضنه كتاب تنقلب صفحاته صفحة صفحة من تلقاء نفسها .

يكاد يستولي على الباحث ، بعد كل هذا ، شعور غريب ، وهو ان سمة الادب في عصر الآلة هي التبيد . تبديد في الجهد وتبديد في الوقت وتبديد في المال . الوف من الكتب تكتب وتطبع ثم تطوى وتنسى . ومئات الخزان على رفوفها الوف من مجلدات لم تفتح . والوف الالوف من الصفحات تخرجها مطابع الصحف والمجلات ثم تذرّوها الرياح . ان الآلة التي مكنت الصلة بين الجمهور والكتاب ومجّلت ظهور المؤلفات الادبية وعددت نسخها ، حشدت كذلك منها ما لا قبل لعقل بها فيقرأ ما يقرؤه منها ثم ينساها . صورة قائمة ! ولكن الانسان تعلم ان يسير في شوارع تعج بالمرارة والمركبات مجتنباً جميع الاخطار ، أفليس في وسعه اذا اصاب نصيباً من الثقافة الصحيحة ، ان يجتنب كذلك الانظار تحت سيل الادب المتدفق ، فلا يقرأ منه الا الآيات الخنارة ؟ وبعد فليس ثمة ريب في ان بين آلاف الكتب التي تخرجها المطابع كل سنة بضع آيات . . . !



احد الانبياء

المصور محمود سعيد

بين الوحي والنبوغ

لحليم منري

« ان «سعيداً» مصوّر مصري بأدق ما في هذه الكلمة من معنى . وليس
« فنه مصرياً لأنه احتذى في طريقة رسمه طريقة القدماء ، ولا لأنه سجل
« على لوحاته مناظر مصرية معروفة ، ولا لأنه أبرز مناظر حريم القصور
« في العصر الماضي أو مناظر القوافل تسير في الصحراء ولا ... ولا ... »
« وأما كان فنه مصرياً بما تستلهمه روحه من لون السماء والنهر وما ينبعث
« منهما من حرارة وقوة وبما يشع على قلبه من ذبائك الضياء الذائب في
« اعماق النهر والسماء .. فاذا أبرز لك «سعيد» على لوحة نهراً أو سماء أشرك
« بأن هذا النهر وهذه السماء هما في مصر حقاً دون ان يلجأ الى اضافة منظر
« شيخ معمم او غادة محجبة ... »

[احمد راسم]

يحدث في بعض الأحيان ان تقف جماعة من الناس امام أثر في فيستولي عليها الجو الفني
ويسودها ذوق واحد وشعور واحد وإن بلغ استقلال فكر بعضهم ما بلغ . وهذا ما تستطيع أن
تبينه عند المشول امام رسوم المصور الفنان « محمود سعيد » . فالناظر الى لوحاته يتبين أثر
الوحي بل جلاله الذي تفيض به منازل الحب أو الاشفاق أو الألم أو اللذة . وقد أستير هذا
التشبيه المعنوي فأثبت ان المصور العبقري فيما ينه ويين نفسه شخصان . شخص يشعر ويعطف
وبصور وشخص يراقب ويحدد ما يخرج في الصورة الفنية التي هو بها خير

ونفس محمود سعيد دائماً حيّاشة بهذه العواطف المتباينة . وهي النفس الفنية — إن صح
هذا التعبير — التي تهتز للشعور المعنوي لفكرة طارئة أو خيال قوي ، لما يلوح مما حولها من ألوان
ومناظر . فاذا تبينت صور « ذات الثوب الوردية » أو « حياة » أو « الجميلات الثلاث »

لاستقبلت هذه العاطفة المتزنة التي تنحو بالفنان هذا المنحى الهادىء في التصوير . فليس في فن سعيد هذه « الفورة الجاححة » لأن النفس الفنية اذا تناوبتها حالة الجموح لا تملك الحذق في إبراز المعاني المقصودة . أو التعبير عن الرغبة المطلوبة . ففي هدوء العاطفة ما يدعو الى التأمل وإعمال الفكر وإطلاق الخيال وهنا تستطيع ان تتمثل سجية الفنان نفسه . أما اذ تطفئ العاطفة التي وهي « روح » الفنان في فنيه، فهي تستأثر بكل شيء بل هي تأخذ عليه كل شيء ولا تدع الى جانبها موضعاً للمراقبة أو التقيد في اخراج الوضع الفني

والوحي الذي تتمثله في فن « محمود سعيد » عماده تلك العاطفة التي تسود نفسه . ولعل « سعيداً » لا يُصور شيئاً يُدفع اليه دفعاً أو يطلب اليه بموعده أو لغاية شخصية . إنما أعماله الفنية تشهد بأن تصويره يحافز من عند نفسه أو طبقاً لهوى هذه النفس . ونفس الفنان الذي تتحدث عنه قوة حيّة بل هي حركة لا تستقر بل لا تريد ان تستقر . هي أبعد الاشياء عن الركود لأنها أقرب الاشياء الى الحياة . تلك الحياة البعيدة عن الثورة أو الجموح . هي النفس إذن الشاعرة بهذا السكون . والتي تنعكس على مرآتها صورته الكثيرة فتعود لاخراجها بهذه الريشة الصغيرة في أروع شكل وأبهى منظر . وهنا يتجلى هذا الوحي الفني الناطقة به آيات التجويد والخلق في المظاهر الفنية لا نتاجه

والمصور « محمود سعيد » ينعم فيما أرى بالذهن المستريح الذي هو أقدر على الوحي من الذهن المكدود . وهو يتناول الرسوم باعتبارها أخيلة وألواناً من الفكر . يكتفيها طبقاً لما يراه من شعور خاص هو في حده الدراسة النفسية التي تدفع بالفنان الى ان يجلو الاثر الذي يهيم بخلفه وتكوينه . ولعل « سعيداً » قد ارتضى هذه الراحة الذهنية لأنها سبيل الاتاج العميق الاثر . وبعض المصورين أو الفنانين بوجه عام ينطلقون في اتاجهم انطلاق المتعب الفاتر بالمحرضات الوقتية . وهم يُصدرون نوعاً من الاتاج ويذيعون تلك الآثار التي لا تنهي الى قاعدة مقررة لأن دافعهم النفسي لا يقاس عليه

اذا شاهدت صورة « نعيمة » تلك المرأة التي تعود الى العالم حزينة بعد ان فرغت من زيارة المقابر وبعد ان اعادت تلك الصور الى نفسها الالم والذكرى ، تتمثل في وجهها الشاحب هذه الخواطر الغنية الممضة . انها تجلس الى نفسها لتستعرض الحياة العظيمة . . . فتراها أضيق في نفسها من سم الحياط . هي لا تحلل الساعات الى دقائق في لذيق الذكر ومعسول المنى . او تستمع هديل الحمام اذا طربن بنضرة الربيع . . . وبعد هذا فلك ان تقرر في غير شك ان سعيداً فنان نابه لا يعتمد على عقله فقط او قلبه فقط وانما يعتمد عليهما معاً

ومما تميز به آثاره « وحدة المعنى » في الحياة والفن . لان الفكرة الفنية التي يعرض لها



ذات الخصل الذهبية



(فوق) صورة الحاج علي البواب — إلى اليسار صورة نعيمة

وبهيتها في القالب هي الفكرة التي تتمثل في جمال الحياة . بل هي نفس الفكرة التي تتمثل في جمال الفن . . . والفن في اوجه صورة رائعة من صور الحياة . بل هو يجمع في حين واحد بل في شكل واحد من المعاني والتقاسيم والالوان ما تضمن به الحياة على الكثير من الاجسام . ولعل الفنان يطمع في ان يصل الى — الحرية — في اوسع معانيها بل في ادق صورها مما قد لا يصيبه في عالم الحقيقة . ولعل الحرية التي تظهرها القيود وتحدث عنها الضرورات هي سر الفن بل هي سر الجمال

يستلهم التصوير باعتباره من الفنون الجميلة وحيه من مصدرين « الطبيعة والمرأة » . والطبيعة لا تقضي بذات نفسها ولا يفتض رجل الفن كل اسرارها ما لم تزنها المرأة بوحيا والهامها ولقد أطلقوا على الطبيعة التي لا تبعث المرأة اليها وحي الجمال الطبيعة الصامتة . ولا يزال الفن المصري الرفيع خالياً من وحي المرأة او يكاد . وتستطيع ان تستعرض ما نقشت ريشة المصورين المصريين فلا ترى للمرأة فيه الا أثراً قليلاً . ولعلك لا ترى فيه أثراً قط للمرأة المهدبة . وهو بعد لم يتأثر بوحى المرأة هذا التأثير الذي نلمحه في الفن الاوربي منذ نهضته في القرن الخامس عشر والسادس عشر حين كانت المرأة مصدر الوحي في الصور الدينية كما كانت بعد ذلك مصدر الوحي في اطوار الفن جميعاً

ويلوح لي ان « سعيداً » أوجت اليه المرأة بالكثير من المعاني التي تركت في نفسه أثراً بليغاً وهو يعمد الى « التحوير »^(١) باعتباره من العناصر الضرورية في العمل الفني . وغاية التحوير التعبير عن مجرد شعور نفس او فكرة كامنة او معنى من المعاني المهمة . ولعل رسوم « محمود سعيد » لا تخلو في صميمها من هذا التحوير . وهنا ينبغي ان ندرك تلك الصلة الوثيقة بين الميول النفسية للفنان وبين الدوافع والنزعات التي تحفزها لاجراج صورة من الصور التي تتركز معالمها في عقله الباطن . حتى يتسنى له ابراز « المعنى » الذي يحدده « القالب » ومن هنا يفجؤك فن « محمود سعيد » بل يقلبك من عالم العادة الذي ألفته والذي تتشابه فيه « القيم » الى عالم جديد يخلقه الفنان في فنه ويلهب به خيال الراي . ولعل « عدم الاتساق » بعض ما تشعر به من هذه الفلسفة الجديدة التي اوجدها « سعيد » وآيتها ان كل شيء جميل فيه عنصر غير متسق هو أخرى بأن يدل على الشكل دلالة قاطعة . ودونك لوحة « المرأة ذات الخصلات الذهبية » فهي من غير شك لا تمت الا الى المرأة باعتبارها « جنساً » لا باعتبارها مخلوقة معينة أو سيدة من بنات حواء . وانما هي تلك الفكرة المهمة التي تظل تفكير المصور يأخذ في تحوير اجزائها معنيها بها العناية كلها ولعله أراد ان يظفر بصفة من هذه الصفات الانسانية الرفيعة كما ظفر

(١) المقصود بالتحوير هنا احداث تعديل في الصورة عن اصلها متسم بشيء من التشويه

بها «ميكال انجيلو» عند ما ضخم بنية الانسان بغية الوصول الى معاني الجلال والروعة والقوة . ولقد تكفي هذه الصورة الفريدة التي شغلت « المنحى التفكيرى » للمصور لوضعه بفخر في عداد « التعبيريين » . وإن كنا نقر له بفردته في تصوير ملامح الوجه مع أظهار العواطف عليه ومع مراعاة الجو الخاص بالضوء في صورهِ مراعاة خاصة

وانني لأثبت في هذا المقام رأي الاستاذ الشاعر الفنان أحمد راسم في كتابه عن « محمود سعيد » فقد قال « ولقد أدع ايضاً في تصوير تلك القسوة . التي تزين عيون بعض العذارى حين يضطرم جسدُهن بشهوات غامرة لا تشبع . ولن أنسى صورة تلك المرأة التي كانت في جملها أشبه ما تكون بفزال شارد فأذكر ملاحظها والسخرية تبدو على شفيتها والأشجار من حولها تبكي والسماء في صفائها ينحدر منها لعاب الشمس كنقط الطل المترقرة فوق الازهار في الصباح وكان لهذا التصوير أريجاً أخضر يتضوع منه عبير أوراق ندية »

ولقد تلمح هذه الباعثة التي تعلن عن نفسها في فن سعيد اذا ما تبينت صورةً للأشخاص فهو يمثلهم تمثيلاً صادقاً بل هو يتحدث عن عواطفهم ومشاعرهم . وهو المصور الذي يدرس النفس « ومنحهاها الخلقى » ليجلوها في ظاهر الوجه . فهو شبيه بهذه الطائفة من المصورين الشخصيين الذين ظهروا في إنجلترا حوالي منتصف القرن الثامن عشر وكلفوا بتصوير الشخصيات وعلى رأسهم رينولدز Reynolds « ولورنس وغيرهم . وكما أرى ذلك الشبه العظيم بين صورة « ذات الثوب الرمادي » لمحمود سعيد وبين صورة « الطفل صموئيل » وهي التحفة الفنية العظيمة لرينولدز رغم ما فيها من تكلف . ولقد امتازت صور « رينولدز » للرجال بما فيها من قدرة عظيمة في تصوير الرجولة ووقارها . ولعلني واجد هذا في صورة « أحد الانبياء » لمحمود سعيد فهي مثل أعلى في قوة الأداء والتثيل . فصور « محمود سعيد » إذن آيات ينات تتحدث عن استقلال المصور وابتكاره بل هي تمثل شخصيته تمثيلاً قوياً يجعلنا كما يقول الاستاذ الكبير راسم « لا نستطيع ان ننسبها الى غيره من اصحاب هذا الفن » . ولم يكن فنه مصرياً لاشتماله على المناظر التي تمت لمصر بسبب وانما كان فنه مصرياً بما تستلهمه روحه من لون السماء والنهر وما ينبعث منهما من حرارة وقوة . وبما يشع على قلبه من ذياك الضياء الذائب في اعماق النهر والسماء وهاتان الخاصتان هما وحدهما اللتان يمكن « سعيد من تسجيلهما في جو لوحاته المدهوب » فإذا ما أبرز ذلك سعيد على لوحة نهر أو سماء اشعرك بان هذا النهر وهذه السماء هما في مصر حقاً دون ان يلجأ الى اضافة منظر شيخ معمم أو غادة محجبة ليسجل للمنظر طابعه المحلي

يهم « محمود سعيد » بتمثيل المشاعر وتأكيد الناحية الروحية في فنه وهو بهذا يدل المشاهد على المناحي الخاصة التي يستقر فيها جمال « الموضوع » ان كان انساناً او نهراً أو منزلاً أو مقبرة .

وهو لكي يصل الى صميم الفكرة التي يتخيلها يستجمع الألوان التي تتفق والهاماته الداخلية بل انه ليستجمع هذه الألوان التي تستطيع ان تخلق وهيء الجو الطبيعي « للموضوع » حتى اذا تم له ذلك فقد خرجت الفكرة من حيز القلب والعقل فاذا هي صورة مختصرة من جمال الحياة وروعها . هو لا يلجأ الى « الاغراب الفني » وهو لا يحتال على ابراز « القالب » والاكثر من العناية به حتى يخرج عن طبيعة الشعور أو التمثيل الصادق المألوف والا لكان من اصحاب مذاهب الغموض يفتح الفيلسوف ديوي « John Dewey » فصله الذي عقده عن « الموضوع والقالب » Substance and Form من كتابه « الفن كاختبار » بهذه الجملة . لما كانت موضوعات الفن تعبيرية — فانها بمثابة اللغة أو بالأحرى عدة لغات فلكل فن وسيلته الموضوعة لناحية مفردة في التعبير . وهذه الوسيلة المعبرة ليس من المستطاع النطق بها او بما تتضمنه تماماً في أية لغة »

ولعل خير ما يمثله الناظر الى فن « محمود سعيد » هذه الفاحية التي عبر عنها الاستاذ احمد راسم بقوله . « ومن أجمل هذا النوع من التصوير صورة « الحاج علي » البواب التي راعى فيها بالذات شيئاً جديداً وروعة خفية لم يسبق له معالجتها من قبل وهما الشيطان الذان يفهمان جو الصورة بتوازن خاص وبرنين موسيقي لا يدرك سببهما الا كل من ادا من انعام النظر فيهما . فقد عاجل سعيد في هذه الصورة مسألة الظلال بطريقة جديدة تعجب الراي دون أن يلم بالسبب . ولكن الواقع ان هناك سبباً فنياً يرجع الى ان المنظر الذي خالف « الحاج علي » يحكي عن صورة نهر يسير فيه قاربان ذو شرعين صغيرين وانه اتخذ من شكل الشراع صورة مكررة ورددها بتصرف في ظلال الصورة جميعها . فتجد في فتحة صديريته وفي أكاميه وفي أطراف عمامته ما يدرك شكل الشراع كما انك اذا دقت النظر تجد هذه المعالجة بينة واضحة على وجهه ايضاً فكأنما هو موسيقي يرجع النغم الحلو في انحاء اللحن وهذه هي الروعة التي تعطي للصورة ذلك التوازن وذاك السحر اللذين يفرق فيها الراي إعجاباً وافنائاً »

ولقد برع سعيد « في عملية التأليف كما برع في وضع الألوان بقيمتها الحقيقية وهي بعض الميزات التي تميز الفنان النابغ عن المصور العادي . وهكذا يكلف سعيد بتخيل المناظر الطبيعية وهو في هذا كالمصورين الفنانين في كل جيل لم يبلغوا من مراتب الفن ما بلغوا حتى استعانوا بالطبيعة فاتخذوا من محاسنها تلك الروعة وذلك الجلال المقدس ولم يبلغ منهم « قمة » الفن الا من نال من الطبيعة المدد الاعظم . يقول العالم السيكلوجي « الفريد ادلر » Adler ان العبقرية ثمرة « لمركب النقص » ويعني بذلك ان العبقرين يحسون بموطن ضعف فيهم فيتجهون الى اخفائه والتغلب عليه ببروزهم في ناحية من النواحي . والامثلة وإن كانت لكثرتها تؤيد هذا الزعم الا أن « مركب النقص » وحده قد لا يكون سبيلاً للعبقرية اذا ما نظرنا الى الكفايات

الآخرى أو الظروف أو المسببات . على أنه من الثابت أن التسامي « Sublimation » وهو رفع الغريزة الى حب الفنون أدعى الاسباب الى هذا النبوغ الملموس في فن « محمود سعيد » فانه ذلك الفنان المصري الذي سخر غريزته الجنسية طيلة شبابه نحو « التصوير » هذا الفن العظيم من فنون الجمال ولعل الافتتان بفن من هذه الفنون الرفيعة يتيح للفنان هذه المتعة النفسية التي قد يجدها في هيامه بالمرأة

نبح « سعيد » نبوغاً لاسبيل الى الشك فيه فقد وصل الى القمة التي لا يتسنىها مقلد بفضل استقلاله الفن وابتداعه حتى انك لتلمس روحه وطابعه في الاثر الفني دون غيره من اصحاب هذا الفن . وابتداع سعيد وخلق مظهر من مظاهر التجديد للوصول الى المثل الاعلى في رحاب الحياة وانما ننظر الى « مخلدات » محمود سعيد وفي ضائرتنا تلك الخواطر التي تمت اليها بنسب من الاحساس والتفكير بل من العطف والتقدير . فتعود بنا الى ذكريات عديدة . تهيئها الاطوار المختلفة التي تمر بالنفس الانسانية . ومرجع هذا واساسه الفهم الصحيح والتعبير الصادق كتب شاعر الشرق الأكبر والمصور العالمي « جبران خليل جبران » تلك النفثة الشعرية بل الحكمة الابدية ولعلها خير تحية يرفعها الادب الى الفن . قال : الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الابدية . الوحي يُنشر دائماً فيها والوحي لا يُفسر البتة والحقيقة لا تتجزأ » فهل لي ان احملها عنواناً لهذا المجد الفني بل المجد القومي الذي أقامه « محمود سعيد » اني لا ارى هذا الفنان يستل جمال الطبيعة من نفسه الكبيرة ليلقيها على الناس وكأن الطبيعة تصفى في نفوس الفنانين فتخرج منها كما تنبعث المعاني الغزلية من عيني الحسناء الفاتنة . ولكل معنى طابعه الخاص في النفس وان كان المصدر واحداً

لقد سجل سعيد صفحة من أزهى صفحات الفن خدمة للقومية المصرية فهو يعمل مجداً ناهضاً قرابة ربع قرن لقي فيها من عنف النقد الشيء الكثير على أنه وفق من وراء اتاجه الى ان يضطر النقد ليجعلهم الى اثبات ما يستقل به من طرائق فنية خاصة تضعه جنباً الى جنب مع قادة الفن الاوربي الحديث

واني لا أختتم هذا البحث فأثني على الشاعر الفنان الأستاذ « احمد راسم » الثناء المستطاب فقد كان أول من قدّم « محمود سعيد » الى الجمهور المثقف في مصر بأبحاثه النقدية المستعنة باللغتين العربية والفرنسية . ثم اني أثبت في هذه العجالة ما يسديه هذا الشاعر الكبير الى الفن بهذه الخواطر والآراء التي يصدرها في كتب مصورة عن الفنانين المصريين عامة وفي هذا من العناية والجهود ما تنوء به الجماعات فضلاً عن الأفراد ولقد أشاد بهذا الفضل حافظ عفيفي باشا في كلمته التي كتبها كمقدمة لرسالة الأستاذ احد راسم عن المصور « جورج صباغ »

الزجاج والحضارة

وصناعته في مصر قديماً وحديثاً

لطبيب الكنز

ناظر القسم الثانوي بجامعة القاهرة الاميركية
ومدرس الكيمياء فيها

الزجاج والحضارة

الزجاج مادة من افيد المواد واكثرها اتصالاً بجميع اعمال الانسان . فتراها في مساكنه كما تراها في مكاتب عمله . وتجدها في ادوات طعامه كما تجدها في اواني شرابه . وتشاهدها في ملابسه وحليه وادوات زينته كما تشاهدها في معاهد علمه ودور بحثه ودرسه . وعلى الجملة انها قد تغلغل في جميع مرافق حياته . ولها فضل عظيم في تهئية اسباب وقايتها وراحته وهنائته . كما ان لها أثراً كبيراً في ثقافته وتوسيع دائرة علومه ومعارفه . وكفى المرء ادراكاً لفضلها ان ينعم الفكر قليلاً في فضل زجاج الاستضاءة والتسخين وزجاج النوافذ وزجاج العدسات الابصارية وزجاج انايب الاشعة الطبية ، المستخدمة في المستشفيات . وزجاج المرايا . فهل تنظم للانسانية ، راحة او سعادة اذا زالت هذه الادوات الزجاجية ؟ ألا يجوز أن نرجع لولاها ، قروناً كثيرة الى الوراء نكافح تقلبات الطبيعة وتغيرات الجو وفترات الامراض المقلقة للراحة ؟ . ولادراك أثر الزجاج في تقدم الثقافة الحديثة كفى ان يفكر المتعلم منا في مبلغ العلوم والمعارف والاسرار الكونية والنتائج العملية والنظرية التي اهدى اليها الانسان بالميكروسكوب والسبكتروسكوب والفوتوغراف والسينماتوغراف والاجهزة الكيميائية . ألا يندك ركن من اركان الثقافة المصرية ويتقوض شطر كبير من صرح المدنية الحديثة اذا ما زالت من الوجود نتائج هذه الاجهزة الزجاجية . ألم يتمكن الانسان بالعدسات الزجاجية من كشف بملكية الاجسام المتناهية في الصغر والتوصل الى البحث في عالم الميكروبات والوقوف على اسرارها وافعالها ومقاومة امراضها الخبيثة . ألم يتوصل الانسان بالعدسات والمنشورات الزجاجية الى درس النجوم والكواكب التي نراها في الليل كالنقط

منتشرة في السماء فعرف اجرامها وحركاتها ووقف على تركيبها وما فيها من عناصر كيميائية ؟
 يستطيع الرجل المتدين في هذا العصر أن يستغني عن التصوير الضوئي او السينما . أليست
 هذه مصادر تسليية وغطية ومسرة لبني الانسان ناهيك بالاجهزة الكيميائية وما كشف فيها من
 كشوف نافعة للطب والزراعة والصناعة . وما الى ذلك من ادوات الرقي الانساني . واذا
 ذكرنا ذلك وجب ان لا يغيب عنا ان الفضل في كشف هذه المسادة وتعميمها يرجع الى
 اجدادنا الاقدمين

تاريخ الصناعة

بدأت معرفة الزجاج في وادي النيل منذ نيف وأربعة آلاف عام قبل التاريخ المسيحي في
 زمن كانت فيه الامم الاخرى تائهة في عالم الوحشية والجهالات . ولم يأت كشف الزجاج دفعة
 واحدة بل له حلقات متسلسلة ودرجات متعاقبة . واول حلقة من حلقاته متصلة بصناعة الآجر
 بنغ المصريون القدماء قبل مطلع التاريخ في صناعة الآجر وشيئه ولا حظ الخزاف المصري
 القديم بعد تهيته الآجر وشيئه في القن أن النار الشديدة الحرارة تكسب بعضه طبقة زجاجية
 صقيلة . فاسترعت هذه الطبقة البراقة نظر الصانع المصري فامتحنها حتى اهتدى الى سرها وتوصل
 بذكائه وقوة دهائه الى عمل كتل صقيلة من الآجر واقدم أثر لهذه الكتل المتزججة وجد
 بمدخل الهرم المدرج في منفيس (سقارة) الذي شيد في عهد الاسرة الاولى منذ نيف واربع
 آلاف سنة قبل التاريخ المسيحي . وهذه الكتل التاريخية موجودة فعلاً في متحف الآثار ببرلين
 وهي اقدم أثر صناعي في العالم

تدرج المصريون من صناعة الخزف المتزجج سطحه الى صناعة كتل صرفة من الزجاج المعتم
 والملون وصنعوا منه عقوداً واقراطاً للزينة والحلي . ثم ساروا في طريق الارتقاء والتقدم حتى
 وصلوا الى صناعة زجاج ارقى وعملوا منه كؤوساً مختلفة الاشكال والخزاف والالوان . وفي
 دور الآثار كثير من هذه الاواني يرجع عهدها الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وعجب من كل
 ذلك انهم وجدوا على جدران بعض الهياكل القديمة في بني حسن بمديرية المنيا صوراً تمثل
 الصناع المصريين وهم يعالجون صناعة الزجاج ٢٠٠٠ ق.م بطرق لا تختلف في جوهرها عن بعض
 الطرق المستعملة في عصرنا الحاضر . ومن اجل ما روته بعض المجالات العلمية خبر الثور على وثائق
 تاريخية تنبئ بأن المأمون بن هارون الرشيد لما زار مصر في سنة ٨٢٩ م دخل مقبرة خوفو في
 هرم الحيزة ووجد فيها نقائس اثرية من بينها سلاح من حديد لا يصدأ وأدوات من زجاج مارن
 يمكن له وبسطه دون ان يصيبه كسر . فكان قدماء المصريين قد توصلوا بحذقهم الى حل مسألة

يسعى علماء العصر الحاضر بما أوتوا من حذق وما لديهم من وسائل إلى حلها ولم يهتدوا إليها إلا في السنة الأخيرة وهي عمل الزجاج المارن الذي لا يتكسر . فسبحان الله الذي يهب العلم من يشاء ولقد تعلم الاشوريون والفينيقيون صناعة الزجاج من المصريين لتوثق العلاقة بينهم في ذلك العهد . ولكن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ معلمهم المصريين . ولقد ساعد الفينيقيون بتسلطهم على البحار وجوبهم الأقطار والامصار على تحسين صناعة الزجاج المصري ورواج سوقها في بلاد الغرب . وهذا سبب وجود كثير من الحلي الزجاجية التي أصلها من مصر في كثير من المقابر القديمة في أنحاء أوروبا ولا سيما في بلجيكا وانجلترا وألمانيا والمجر والدانمارك

ولما نقل الفينيقيون مصنوعات مصر إلى بلاد الغرب شغف الغربيون بعظمة مصر وبهرت عقولهم مصنوعاتهم الزجاجية النفيسة . فكانت مصر مطمح أنظارهم ومطمع غزواتهم . ونجم عن ذلك ان غزا الرومان مصر وكانت وقتئذ أقوى أمة حرية تهاجمها سائر الشعوب . وأرغم يوليوس قيصر الفلاح الروماني المصريين على دفع الجزية إلى روما من مصنوعات الزجاج

وفي التاريخ أدلة وشواهد كثيرة على مبلغ أهمية مصنوعات زجاج مصر ونفاسته في عيون الرومانيين . نروي منها ان الامبراطور اديانوس في أثناء رحلته من رحلاته إلى مصر سنة ١٢٠م أهدى إلى القنصل سرفانيوس مجموعة من فنجانات الزجاج التي كانت تصنع في الاسكندرية وشفعها برسالة يقول فيها « قد بعثت إليك مجموعة مختلفة الألوان من أنفاس الفنجانات مما اهداهُ إلى كاهن المعبد . وإني أبني بارسالها إليكم ابقاءها في حوزتكم اتم وشقيقي لتتمكنوا من تقديمها إلى الضيوف في الأعياد والمواسم »

وكان الامبراطور نيرون كلفاً بالزجاج إلى حد عظيم حتى انه استدعى صناعاً مصريين أقاموا له مصنعاً للزجاج في روما . وهذا المصنع الذي شيدته وادارته أيد مصرية كان النواة الأولى لصناعة الزجاج في أوروبا

ولما فتح الرومان بلاد الغال (فرنسا) وأسبانيا أدخلوا فيها صناعة الزجاج التي تعلموها من الصناع المصريين الذين جاءوا إلى روما . وظلت مصانع الزجاج زاهية في أسبانيا والغال حتى سقطت الامبراطورية الرومانية . ولما نقل قسطنطين الأول عاصمة ملكه إلى مدينة بيزنطة سنة ٣٣٠ م (التي سماها القسطنطينية) استدعى كثيراً من صناع الزجاج من روما وأسبانيا والغال وغمرهم بالعطايا والهبات . فزهت صناعة الزجاج في القسطنطينية وذاع صيتها في العالم وكان الملوك والأمراء في ذلك العهد يفخرون بما يقدم لهم هدايا من زجاج القسطنطينية

ولما استولى الأتراك على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ م . هرب صناع الزجاج مع من هرب وألقوا عصا الترحال في مدينة البندقية فأنهز أهل البندقية هذه الفرصة وافاضوا عليهم العطايا

ومنحورهم الامتيازات ترغياً لهم في الاقامة لاحتكار هذه الصناعة الغالية . وعندئذٍ اشترع مجلس العشرة الذي كان يحكم في ذلك العهد مدينة البندقية اشد القوانين للحفاظ على سر هذه الصناعة خشية وصولها الى الامم المجاورة فيضيع بذلك مصدر ربح عظيم من ايديهم . فخصصوا للصانع جزيرة مورانو وأقاموا فيها مصانعهم التي لا تزال باقية حتى يومنا هذا . وانخذوا كل الوسائل الفعالة حتى تمكنت مدينة البندقية من الاستئثار بصناعة الزجاج والمرايقرونأ عديدة . والى مدينة البندقية يرجع الفضل في عمل الزجاج بنفقات قليلة ساعدت على تعميم استعماله . وأخيراً ذاع سر هذه الصناعة في البلاد الاجنبية مع ما اتخذ مجلس العشرة من اليقظة والحراسة الشديدة وقصارى القول ان صناعة الزجاج نشأت في الشرق على ضفاف نهر النيل وكانت زاهية يالعة ومنها وصلت الى روما ثم الى الغال واسبانيا وفيما بعد عادت الى الشرق في القسطنطينية ومنها الى البندقية ثم الى فرنسا والمجترات وبوهيميا وبلجيكا والمانيا . ومن ذلك العهد بدأ انتشار صناعة الزجاج في اوربا والمحطاتها في الشرق وبالاخص في مصر . وقد احياها العرب ردحاً من الزمن عند فتحهم مصر ولكنها ما لبثت ان تقهقرت . وقد جمع صناع الزجاج العرب بين اتقان الصناعة وقوة الخيال في ابتداء أشياء جديدة بديعة الالوان تتم على سلامة الذوق وتشهد على ذلك خلفاتهم في دار الآثار العربية بالقاهرة

في مصر الحديثة

ومن عهد العرب حتى وقتنا الحاضر وصناعة الزجاج مندثرة في مصر او تكاد . ولقد ظهر في مصر الحديثة محاولتان لحياء صناعة الزجاج احدها في عهد ساكن الجنان الخديوي توفيق والثانية في سنة ١٨٩٧ وكان الاخفاق حليف كليهما لان الذين قاموا بالامر منا كانوا مالين فحسب . فسلموا زمام العمل الى فنيين من الاجانب انتهزوا فرصة جهلنا وتواطأوا مع اصحاب المصانع في الغرب وعملوا على خنق هذه الصناعة في المهد فقد كانوا يستوردون كل شيء من الخارج حتى (القش) مع ان في متناولهم كنوزاً وفيرة من الخامات الجيدة لم يكفوا انفسهم مشقة البحث والتنقيب عليها واستغلالها . وقد ترك اخفاق هاتين المحاولتين أثراً سيئاً في نفوس المصريين ازاء فكرة احياء صناعة الزجاج في مصر حتى قبض الله لنا رجلاً مصرياً من خيرة الرجال العاملين هو الدكتور عبد الله بحري نصوحي الاخصائي في صناعة الزجاج . شغف هذا الرجل بصناعة الزجاج واقام بأوربا سنوات طويلة وتنقل في معاهد ومصانع كثيرة حتى وقف على دقائق هذه الصناعة . ثم فخص فحماً كيمياوياً ما في البلد من خامات زجاجية وحللها ووازنها بالخامات الاجنبية . فكانت نتائج بحوثه مشجعة له على المضي في اقامة مصنع بجوار غمره بذل فيه كل ماله وجهده مستعملاً خامات

مصرية لحياء هذه الصناعة واعادتها الى وطنها الاول بعد ان غابت عنه طويلاً ففتح مشروعها وظهرت منتجاتها فاذا بها لا تقل في انتاجها وصفاء مادتها عن نظائرها في بلاد الغرب رغم حداثةها . وقد انشأت الحكومة من عهد قريب مصنعاً نموذجياً للزجاج لتعليم صناعته على اصولها الفنية وعني كذلك السيد ياسين بتأسيس مصنع كبير في شبرا ظهرت مصنوعاته في السوق المصرية وأحرزت نجاحاً عظيماً

تركيب الزجاج

يتركب الزجاج المعتاد من ثلاث مواد رئيسية وهي الحجير والصودا والسلكا او مادة الرمل النقي . والمادة الأخيرة هي أساس الزجاج . وقد أضافوا اليها الصودا لتكسيبها شفوفة ولتسهل انصهارها . غير ان المادة الناتجة عن صهر المادتين معاً واسمها سلكات الصوديوم وان كانت زجاجية المظهر شفافة فهي تذوب في الماء كما يذوب الملح مكونة محلولاً لزجاً يسمى الزجاج المائي ويستعمل في صناعة الصابون وحفظ البيض ووقاية الخشب من الحريق . كذلك اضافوا الحجير الى السلكا والصودا ليكسب الزجاج خاصية عدم الذوبان

تطحن هذه الخامات جيداً وتوضع في بواق او قدور من الحجر الناري وتسخن في أفران حتى ينصهر المحلول وتكون منه عجينة نصف سائلة تؤخذ وهي رخوة وتصاغ أشكالاً متنوعة بالنفخ او الدلك او الكبس . ويختلف نوع الزجاج باختلاف نسب مقادير خاماته الثلاثة . فالزجاج المحتوي على قدر وافر من السلكا (الرمل) ينصهر في درجات حرارة عالية ومنه يصنع زجاج التسخين والمصابيح . والزجاج المحتوي على مقدار وافر من الحجير متين مقاوم ومنه تصنع القناني المعتادة . والزجاج المحتوي على قدر كبير من الصودا يلين على النار في درجات حرارة قريبة ومنه تصنع الانابيب التي تلوى بسهولة على النار

واذا ما استعضنا عن الحجير بأكسيد الرصاص في المحلول السابق نتج الزجاج البلوري المعروف بالكرستال المستعمل في الزينة وعمل العدسات والادوات الابصارية . واذا زادت نسبة الرصاص نتج نوع رائق من الزجاج البلوري يؤخذ منه الالاماس الكاذب . واذا استبدلت البوتاسا بالصودا نتج الزجاج البوهيمي وهو أقل قبولاً للانصهار في النوع الاول ويستعمل عادة في عمل الدوارق والكاسات الكيماوية

يتضح مما تقدم ان المواد الاولية اللازمة لصناعة انواع الزجاج المختلفة لا تتجاوز الخمسة الأكاسيد وهي السلكا والصودا والحجير والبوتاسا وأكسيد الرصاص . والاساس فيها السلكا : وبعد الزجاج من الوجهة الكيماوية مزيجاً من بعض سلكات الصوديوم والحجير والرصاص والبوتاسيوم

هذا وهناك أنواع أخرى كثيرة للزجاج يدخل في تركيبها عناصر غير ما ذكر لا متسع للكلام عليها ويلون الزجاج بمزج المحلوط بقليل من مركبات المعادن واكاسيدها مثل اكسيد الحديد (أخضر) واكسيد الكوبلت (أزرق) واكسيد المنجنيز (بنفسجي) واملاح الذهب (احمر) وكبريتور السكاديميوم (اصفر) وهكذا . لذا وجب ان يكون الرمل المستعمل في عمل الزجاج نقياً فاللون الاخضر القاتم الذي تشاهده في القناني المعتادة سببه ما يلوث الرمل من اكسيد الحديد

عمل الادوات الزجاجية

اذا تأمل الانسان في الادوات الزجاجية المستعملة كل يوم في الحياة الفاهامتنوعة الاشكال الى حدٍ عظيم جداً . فمن صفايح رقيقة . الى الواح صفيقة . الى قضبان مصمتة . الى أنابيب جوفاء . الى قناني ودوارق مختلفة الى كؤوس واقداح متنوعة . الى ادوات عديدة للزينة والمائدة . الى عدسات ابصارية . الى ترمومترات . الى حلقات مفرغة . الى خرز وأساور (غوايش) الى مصابيح كهربائية . الى أجهزة علمية بسيطة وأخرى معقدة . الى غير ذلك مما لا يدخل تحت عد او حصر بحسب ارادة الانسان الذي في استطاعته ان يشكل عجينة الزجاج ويسخرها في اغراضه غير المحدودة

وتختلف العمليات المتبعة باختلاف هذه الانواع . فهناك آلات وطرق خاصة لعمل زجاج النوافذ واخرى لصنع الزجاج الصفيق واخرى لعمل القناني والكؤوس وهكذا بل ان هنالك مصانع خاصة تشغل بنوع واحد فقط . ولما كان الكلام عليها جميعاً متعذراً رأينا ان نقصر القول على وصف صناعة اكثرها رواجاً واستعمالاً في الحياة العامة

عمل القناني والاقراص

كانت تنفخ القناني في العصور الأولى في مصر بالقم واليد . وكان العامل يأخذ قطعة من عجين الزجاج على طرف قضيب اجوف من الحديد وينفخ بالقم من الطرف الآخر . فتنفخ العجينة . وتستحيل كروية أو اسطوانية الشكل . والعامل الماهر يستطيع بالنفخ وحركة اليد أن يصوغها أشكالاً عجيبية وأواني جميلة غير أن الطريقة المتبعة اليوم هي النفخ بالهواء المضغوط في قوالب وذلك بان تنفخ العجينة بعد احاطتها بقالب فتأخذ شكله . ثم يفتح القالب وينزع الجسم الزجاجي وتقطع قننه ويسوى على النار . وبعض الآلات الحديثة تشتغل بسرعة فائقة فتخرج ما معدله ١٧ ألف زجاجة في اليوم

زجاج النوافذ

أول من اخترع زجاج النوافذ راهب الجولوسكوني يدعى ثيوفيلوس كان يعيش في القرن الثاني عشر . ولا تختلف طريقته في جوهرها عن الطريقة المتبعة الآن وتلخص في اخذ عجينة على طرف ساق جوفاء من الحديد ثم ينفخ في الطرف الآخر حتى تكون منها اسطوانة كبيرة تشق شقاً طويلاً وتبسط على سطح مستوٍ من الحديد في افرانٍ مخصوصة وبعد ما تبرد تدريجياً تقطع قطعاً مختلفة بحسب الطلب . وفي بعض الآلات الحديثة استبدل النفخ بالآلات بالنفخ بالفم يبلغ قطر الاسطوانة قديمين وطولها ٤٠ قدماً وهذه الاسطوانة تقطع اسطوانات صغيرة باسلاك مسخنة بالكهرباء ثم تشق الاسطوانات شقاً طويلاً وتبسط على سطوح مسخنة من الحديد ولما كانت عمليات النفخ والشق والبسط تتطلب وقتاً فقد توصل بعض المهندسين الى عمل آلات تحول مصهور الزجاج الى صفائح مباشرة بعملية واحدة تستطيع الآلة الواحدة عمل كميات وافرة من زجاج النوافذ بسرعة تعادل ٤٠ عاملاً مشغولين بأيديهم

الزجاج الصفيق

يصنع الزجاج الصفيق بصب مصهور الزجاج على سطوح مستوية من الصلب ثم يدلك بعد ذلك بمدالك اسطوانية من الحديد وبعد ان تبرد تنعم وتصلق وفي بعض المصانع الحديثة آلات تؤدي جميع العمليات في عملية واحدة كما في زجاج النوافذ هذا وهناك نوع من الزجاج الصفيق يسمى الزجاج المسلح ويعمل بوضع شبك من السلك بين طبقتين من الزجاج المنصهر . او يلصق طبقات عديدة من الزجاج الصفيق بمواد لاصقة تحت ضغط عظيم . وقد يطلق على هذا الزجاج الاخير اسم الصلب الشفاف لانه متين جداً فان رصاصة البندقية لا يمكنها ان تخترقه أو تال منه شيئاً وهو يستعمل بنوع خاص في نوافذ المصارف المالية والغرض الرئيسي من عمل الزجاج المسلح والزجاج الاخر المتين هو عدم تطاير شظايا منه في حوادث اصطدام السيارات لان هذا الزجاج يشقق ولا يتطاير قط

الزجاج في المطبخ

يوجد الآن في الاسواق اوان زجاجية تستعمل في الطبخ مصنوعة من زجاج مقاوم للتغيرات الحرارية المفاجئة وهذا الزجاج يحتوي على حامض البوريك (الذي يستعمل محلوله في غسل العيون) ونسبة قليلة من الصودا ولقد توصلوا بالفرن الكهربائي الى صهر السلك النقية وعمل اجسام شفافة منها يمكن تسخينها الى درجة الاحمرار وغمسها في ماء بارد دون ان يصيبها كسر . وهذه المادة تنفذها جميع انواع الاشعة الضوئية والحرارة والاشعة الطيبة حتى الاشعة السينية . وهي شفافة الى حد عظيم تقرأ هذه الكتابة من خلال كتلة منها سمكها ٢٥ سنتيمتراً

سر شكسبير

صور الحياة شتى . فمنها هذه الصور التي يصح ان نسميها أدبية — هي اختبار الناس في سالف الزمن تذوقوه وجعلوه جوامع كلم — هي هذه الحكمة تحيي شعراً أو نثراً ، ولا تعدو في الواقع ان تكون صوراً لما يحول في عقول الناس وفي عواطفهم

هذه الصور هي هي عند كل جيل من أجيال البشرية منذ القدم حتى الآن
نجدها عند الصينيين وفي آثار المصريين والفينيقيين . ونقرأها في كتب الاغريق ثم في كل الآداب التي نشأت بعد ذلك في كل لغة من اللغات فكانها ميراث البشرية يتوارثها الأديمون صاغراً عن كبار لم يزد عليها المتأخرون حرفاً وما أضافوا إليها صورة أنما تغير الاسلوب وبقي الجوهر فهذه الحكم والأمثال تضرب للناس بمجدها في شكسبير ومجدها في المتنبي ومجدها كلها في أدب الاغريق . فلو جمعوا ما يتشتمل به انجليزيو اللغة من حكم شكسبير لما زاد عمارته في ديوان المتنبي وترى أمثاله على قلة في ديوان شوقي ذلك ان ابراز هذه الصور في اللغة ضرب من الأدب يتصل بما في الانسان من ميل الى الدين والفلسف ومقاومة قسوة الطبيعة ، فكانت ملكاً شائعاً في البشرية لم يختص بالعقري دون آخر وأما الصور الأخرى — تلك الصور التي تريك صاحبها ماثلاً أمامك تسمعه ولا تراه — تلك الصور التي تكون الشخصية ويميز الواحدة عن الأخرى — تلك الصور من الحياة الحقيقية ، فقد امتاز شكسبير على الجميع في تصويرها . وقدرته في هذا الفن سر من أسرار العبقريته لم يجارها فيها بحار حتى الآن فشكسبير لا يتكلم ولا يبدي رأياً فكانه يقف وراء ستار لا تشعر به ولا تراه ولكنه يشير الى اشخاصه فيبرزون الى مسرح الحياة ويمرون بك ممثلين هذه الحياة حلوها ومرها وخيرها وشرها ، تارة في زي ملك وأخرى في زي صعلوك أو امرأة أو مجنون فكانه المصور يرسم لك الحياة بألفاظ وكلمات لا بريشة وألوان

فان قوام العبقريته الأدبية هو في هذه القدرة على إخراج الحياة على السنة أقوام يتكلمون فتعرف أخلاقهم ونحدهم « شخصيتهم » مما يقوله الواحد للآخر . فترى الضعف والتردد والحسد والغيرة والبخل والرجولة والمسكر والمجون ماثلة أمامك أناساً يأكلون ويشربون ويعيشون فتعرف البخيل أو الغيور ، ليس لأن الشاعر وصفه لك أو لأن أمراً من أشخاص الرواية نعت الآخر بهذا النعت ، بل لأنك ترى الرجل يقول « ويعيش » أمام عينيك فتحكم أنت حكمك مكرهاً وتضعه حيث يكون . فشكسبير لا يضحك ولا يبكي ، بل يسير أمامك الضاحك والبكاكي والمحب والحسود والبهلول ، فتخرج بعد عرضهم وقد ارتسمت على لوحة ذهنك صورة رجل حي ذي خلق معلوم . فهو يمحو شخصيته ويظهر شخصية رجال رواياته وهذه هي كل عبقريته ، فانه لم يعط لا ديب ما أعطته الطبيعة لشكسبير من هذه القوة التي تخترق طبائع الأديمين وتظهرهم كما هم | من مقدمة المترجم لرواية هنري الخامس : تأليف شكسبير : ترجمة سامي الجريديني : نشر دار الهلال |

ذاكرة الالوان

نظرية جديدة لباحث مصري

عرضت هذه النظرية على

المؤتمر الدولي لعلم النفس

« سنة ١٩٣٦ » وأقرها مكتبه

المظهر سميح

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية اصول الدين

وجدت في أثناء دراستي لعلم النفس بالجلترة ان علماء النفس قد استطاعوا بتجاربهم الواسعة النطاق وأجهزتهم ومعاملهم ان يهدموا بالدليل القاطع مذهب الملكات العقلية الذي نادى به افلاطون بادىء ذي بدء . وظل الناس يدينون به ويتخذونه أساساً للتربية والتعليم الى القرن العشرين فأثبتوا أولاً ان الذاكرة ليست ملكة عامة أو قوة موروثة إذا وهبها الله انساناً ما ، كان سريع الحفظ قوي التذكر ، يذكر كل شيء من أتفه الامور الى أجملها خطراً ويتعلم بسرعة واتقان . ومن حرمها كان بطيء التعلم ضعيف التذكر سريع النسيان . وانما هناك انواع من الذاكرة كل منها يستقل في وظيفته الى حد كبير أو صغير ، ولكنه مستقل على كل حال ، عن الانواع الأخرى . بحيث يصح ان يكون الانسان قوياً جداً في نصف الذكريات وضعيفاً جداً أو متوسطاً في النصف الآخر ، من غير ان يقال عنه انه قوي الذاكرة أو ضعيفها على وجه العموم . وان التعلم استعداد عقلي آخر غير التذكر . وان كان تنظيم طرق الحفظ والتحصيل له أثر مباشر في التذكر والاسترجاع . ولكل حاسة من الحواس المعروفة ذاكرة قائمة بذاتها فهناك الذاكرة البصرية للبرئيات وصاحبها يكون سريعاً في استقبال الآثار البصرية سريعاً في تذكرها ، ولذلك يفضل ان يذكر ويحصل عن طريق القراءة والنظر . والذاكرة السمعية صاحبها يفضل طريق السمع والانصات او يحفظ بصوت مرتفع . ثم ذاكرة الحركة والشم والذوق وغيرها . وخطا البحث التجريبي خطوات أخرى . فتوصل الى ان الذاكرة البصرية تضم تحتها انواعاً أخرى مستقلة بعضها عن بعض كذاكرة الحروف وذاكرة الأشكال والألوان والأسماء والوجوه فلكل منها استعداد خاص أو عامل خاص بحسب الاصطلاح اي أن مجرد الصفة البصرية لكل منها لا تؤثر أثراً كبيراً في الاستعداد الخاص لكل منها . فيصح ان يكون الانسان قوياً جداً في تذكر

أرقام التلفون وضعيفاً في تذكر سني الوقائع المشهورة في التاريخ مع أنها كلها أرقام. ووقف البحث عند هذا الحد. فبدأت بحثي من هذه النقطة وكان موضوعه ذا كرتي الألوان والأشكال. فأختبرت آلافاً من الطلبة والطالبات في مدارس إنجلترا وجامعاتها ومصر بمختلف الوسائل المستعملة في معامل جامعة برمنجهام ومعهد التربة. وطبقت القواعد والمعادلات الرياضية التي لا يتسع الحال لذكرها في هذا المقام. فتوصلت من هذا البحث الواسع الى النظريات الآتية، التي ايدها التجارب وأثبتتها المقاييس الرياضية الخاصة

١ — ان ذاكرة الألوان ليست استعداداً خاصاً واحداً أو ملكة أو ذاكرة واحدة عامة كما قررت النتائج السابقة لهذا البحث. وانما هناك عامل واحد عام (لونية) يدخل في كل عمليات الألوان من تذكر وتميز وادراك أطلقت عليه الرمز (Cl) أي لون. وبذلك اضيفت الى العوامل التي كشفها العلماء السابقون عاملاً جديداً

٢ — لكل لون من ألوان الطيف الشمسي درجاته المختلفة من خفيف وثقيل أو غامق وفتح وباهت أو لامع وبالحمة كل ما يتصل به أو بعبارة أخرى مجموعته استعداد خاص يجعله مستقلاً عن غيره من الألوان الطيفية في وظيفته من حيث الادراك والتميز والتذكر بحيث يكون الانسان قوياً جداً في تذكر الألوان الحمراء وضعيفاً جداً في تذكر الزرقاء. وأطلقت على هذه الاستعدادات العوامل الخاصة (R, Or Y, G, Bl, V) وهي أوائل أسماء الألوان (الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والازرق والبنفسجي)

٣ — هذه الألوان مع استقلالها بعواملها الخاصة يربطها عامل واحد عام يؤثر الى حد ما ولكنه لا يتعادل مع درجة العامل الخاص لكل منها وهو عامل (الونية) Cl الجرد

٤ — التمرين على حفظ وتميز وتركيب لون خاص أو مجموعة خاصة لمدة طويلة يؤدي الى تحسن كبير في هذه المجموعة ولكن أثر هذا التحسن لا ينتقل البتة الى المجموعات الاخرى التي لم يحدث فيها أي تمرين

وقد أدت هذه النظرية الجديدة الى تغيير كبير في أساليب البحث العلمي وفي ميدان التربية والتعليم وكشفت كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها العلماء السابقون الذين بحثوا موضوع الألوان في علم النفس. أهمها: —

١ — ان العلماء كانوا يستخدمون أي لون من الألوان ويجرون عليه تجارب ثم يتخذون نتائج هذه التجارب دليلاً على ذاكرة الألوان على وجه العموم باعتبارها استعداداً واحداً عامّاً ووجه الخطأ في هذا — كما قدمنا — ان كل مجموعة طيفية لها استعداد خاص فلا يصح ان تتخذ مقياساً في أي ناحية من النواحي العقلية للمجموعات الطيفية الاخرى باعتبارها كلها شيء واحد.

ما دامت كل مجموعة مستقلة عن الأخرى . ولا أجل ان يكون البحث كاملاً يجب ان تمثل فيه كل المجموعات الطيفية

٢ — وكذلك كانوا يتخذون تمييز الالوان على وجه العموم بصرف النظر عن الالوان المختارة في التجارب مقياساً عاماً لتمييز الألوان . في حين أنه ليس هناك استعداد عقلي واحد لتمييز جميع الالوان وانما لكل مجموعة استعداد خاص للتمييز

٣ — وايضاً اعتبروا تمييز الالوان ناحية من نواحي الذكاء العام او القدرة العقلية العامة على التصرف والفهم . وقد اختبرت ذكاء جميع الاشخاص الذين اجريت عليهم التجارب في مصر وانكثرتا فوجدت درجة الارتباط بين الذكاء العام كما يقاس بالمقاييس العقلية الصرفة المتفق عليها وبين تمييز الالوان وتذكرها كما يقاس بالالوان الحسية ضعيفاً جداً بحيث لا يكاد يذكر . فتمييز الالوان وتذكرها لا صلة له بالذكاء أو التصرف العقلي العام . أما من ناحية التربية والتعليم فمن الآثار المباشرة لتطبيق هذه النظرية في التعليم الفني على الخصوص : —

١ — ان استعداد كل تلميذ او فنان لا يكون واحداً في جميع مجموعات الالوان بحيث يستخدم كل الالوان في لوحاته أو رسومه أو ينتظر منه أن يرسم صورة من الذاكرة ويضع فيها جميع الالوان في اوضاعها ودرجاتها الطبيعية . فهو عرضة لان يذكر الالوان التي يكون استعداده فيها قوياً وينسى او يخطئ في الالوان التي يكون استعداده فيها ضعيفاً

٢ — في استعمال الالوان في الرسم والاشغال اليدوية يجب ان يراعى استعداد التلاميذ وأعمارهم فتعطى لهم الالوان التي يكون قد اكتمل استعدادهم لها . لان لكل لون عمراً خاصاً لا يستطيع الطفل ان يدركه تماماً الا اذا وصل اليه

٣ — يجب كذلك ان تفرق بين البنين والبنات . فأن الاستعداد الجنسي يختلف . والالوان التي يدركها الاولاد في شيء خاصة هي غير التي يدركها البنات . فالبنات مثلاً أضعف في تذكر اللون الأصفر من الاولاد . ثم انهن يصلن الى تمام الاستعداد لأدراك الالوان في سن ١٢ في حين ان الاولاد يتأخرون الى سن ١٥ — ١٨

٤ — لا يكتفى في تمرين ذاكرة التلاميذ والطلاب في مدارس الفنون الجميلة على بعض الالوان اعتقاداً بأن اثر هذا التمرين سينتقل حتماً الى الالوان الاخرى ما دامت كلها ألوان . وانما يجب ان يكون التمرين الخاص بكل لون على حدة . او يكون التمرين على عدة ألوان معاً بشرط ان تكون المجموعات الطيفية ممثلة جميعها

هذه هي اهم النتائج التي يمكن لجمهور القراء غير الفنيين ان يفهموها . وعساني وفقت الى ان اضيف شيئاً جديداً الى جهود العلماء العاملين

اللذة والسلوك

مهد فلسفة اللذة وخواطر من حولها

لـ سامعيل مظهر

« شاء القدر ان يظل مذهب ارسططس Aristippus غير معروف عند
« العرب الاً لماماً ، شأن اكثر المذاهب التي تفرّعت عن دوحة سقراط العظيم »
« وشاء القدر ان يحاول ارسطوطاليس ألا يذكر اسم ارسططس بالرغم من انه »
« ناقش في مذهبه مناقشات طويلة في كتاب الاخلاق الى نيقوماخس ، بل وأخذ »
« ببعض مبادئ المذهب القوريني فحوّلها وأدجها في مذهبه . وشاء القدر ان »
« لا يذكر » برتلمي سنتلير « هذا المذهب في المقدمة المستفيضة التي وضعها »
« لترجمة كتاب ارسطوطاليس في الاخلاق تعيناً كما انه لم يناقش في مذهب الرواقين »
« وهم فرع من دوحة ارسططس وحلقة انتقال في المذاهب الاخلاقية ، أساسها »
« المذهب القوريني ... وما كان ارسططس اول فيلسوف أساءت اليه الاقدار ، »
« وما كان اول انسان » ظلم حياً وميتاً « . . . وقد عني صديقنا اسماعيل مظهر
بتأليف كتاب ضمنه بحثاً مبتكرة في فلسفة اللذة والالم من عهد اليونان الى الآن ،
والصفحات التالية مختارات من بعض فصوله

المحرر ا

قورينة : مهر فلسفة ارسططس

في مقاطعة « بَرْقَة » ، وعلى شاطئ طرابلس الغرب ، نزل عدد من اليونان ليستعمروا
تلك البقاع التي لم يكن ينقصها من شيء لتكون رقعة من رقاع الفردوس ، إلا مهارة الصانع ،
وقدرة الفنان ، وخيال الشاعر ، وإقدام الرائد . وعلى مدى الزمان شيّد هؤلاء اليونان الذين
نرحوا إلى تلك البقاع ، ليزودوها بما كانت تحتاج اليه من الكفايات العليا ، خمس مدائن كانت
« قُورِيْنَة » Cyrene أقدمها وأزهارها وأعمرها

وقد اتفق كل من زار مدينة « قورينة » من الأقدمين ، كما جارهم كل من زار أطلاها من المحدثين ، على أن تلك المدينة قد تفرّدت بموقع جغرافي تأنّست يد الطبيعة في إبداعه ، وأنفقت فيه كل ما كمن في تضاعيفها من مهارة القطع والتخطيط ، كما زوّدت البقاع المجاورة لها بجبال ، يكفي أن تقول فيه إنه جمال الطبيعة ، إذ تخطّه يد القدرة على لوحة من الجبال الشاخنة ، ينسبط من تحتها بحر لجي كأنه السندس ، وتراعى من جنوبها صحراء لا يحدها الجبال ، وكأنها التبر المنشور . ولقد حمت تلك المدينة الفريدة سلسلة من الجبال ، كانت ترد عنها غائلة الصحراء برمضانها صيفاً ، وزمهريرها شتاءً ، واستوت « قورينة » على قسّتين ، منحدره على سفوحهما المنخفضة ، مطّلة من سماء ألبي متر على ذلك الحضم الذي يطاولها ، فلا يطولها . فكان ذلك سبباً في اعتدال أقليمها على مدار الفصول ، كما كان لها من بنايعها المتفجرة من خلال الجبال التي حملت عرش « قورينة » نبعا للجبال فائضاً لا يفيض ، ومنهلاً عذباً سائغاً للشاربين . فكانت في موقعها هذا ، أشبه بالدرة العصماء ، تقذف بها اليد المترامية ، ليتلقاها البحر بالراحتين وكان للسحر الذي ينفث به عرش « قورينة » في النفوس ، جاذبية قوية . فأعياها الملاحون من مختلف أنحاء العالم المتمدين ، يمحرون بسفنهم عباب البحر ، ليزودوها بما تحتاج إليه من الزاد والعتاد ، او ليتزودوا منها بخيرات حسان ، او ليحملوا إليها نزلاء من جزر « ثيرا »^(١) و « الفلوبيونيز »^(٢) والقسقلاد^(٣) ، والكل مستبين بدمه في سبيل ان يرد عن المدينة هجمات قبائل البربر ، التي تكتنفها مواطنهم التاريخية ، بل ليدفعوا عن جمال الطبيعة ، وعن آثار الفن الذي تفرّد به إذ ذاك أبناء اليونان ، وعلى الاخص في المائيات ، وتخطيط الطرق وتعبيدها . فان هذه القدرة كانت قد بلغت في « قورينة » أقصى مبالغها ، وأرفع منازلها . فان السفوح المنحدرة التي كانت تترامى تحت « قورينة » قد ردت طرقاتاً معبدة مذلّلة المسالك ، تتعرج ثم تمتد ، وتمتد ثم تتعرج ، وتلتوي ثم تدور من حول القمم في وضع حلزوني ، حتى تبلغ الذروة التي استوت عليها المدينة مطّلة على البحر ، وكأنها « نرجس » في أساطير اليونان الاقدمين^(٤)

(١) جزيرة في جنوبي ارخبيل الاسفوراد ، وتسمى الآن سنطورين Santorin وقد استمرت معروفة باسم ثيرا Thera الى ما بعد الحرب الصليبية الرابعة وبعد ذلك أصبحت إحدى جزر دوقية الارخبيل
(٢) الفلوبيونيز Peloponnese اسم قديم لشبه جزيرة تكون جنوبي بلاد اليونان وتقع جنوبي برزخ قورنتية ، وكانت تدعى (موريا) في القرون الوسطى ، من طريق مشابها في الشكل لكرة التوت ، ولشبه جزيرة المورة علاقة معروفة بتاريخ مصر الحديث (٣) جزر الققلاد Cyclades جمع من الجزر المتجاورة في ارخبيل اليونان يكون كتلة حول جزيرة سوريا Syra أو صوروس Syros وعاصمتها هرموبوليس (٤) أسطورة الصدى و نرجس Echo and Narcissus في المثلوجيا اليونانية ان نرجس كان فتى سيل الهين من آلهة الماء فأجبه الصدى فصد عنها وجفاها فشكت امرها الى الالهة هيرا زوجة أبولون ، فل بدعن . ولذا مسخه أبولون زهرة هي زهرة النرجس فكانت على غرار مصوبة برأسها ، لانه كان يقف على حوافي الغدران وينكس رأسه ليستجلي جماله في ماؤها . اما الصدى فأصابها الهزال حتى لم يبق منها الا القدرة على ترويد الاصوات

وترى الجبال وقد قطعت صخورها بيد الطبيعة فجأةً ، فكانها الجدران المشمخة ، شاحخة بأنوفها الشم نحو السماء . ولكن يد اليونان لا تترك هذه القطوع الراسية من غير أن تمتد إليها ، ومن غير أن يتعهدا الفن بزخرف جميل ، تتكره عبقرية الفنان ، أو نقش رائع ، يحفره إزميل المثال ، أو صورة مخطها ريشة المصور على الصخر الجليمد ، فتلقى عليك ظلالاً من مختلف ما ترى في الحياة من صور وألوان . وقد استغلت المياه المنحدرة من ينابيع الصخور ، إستغلالاً منع على الشمس أن تبخر منها ، إلا القدر الذي تعجز المهارة البشرية ، عن أن تغالب فيه فعل الطبيعة . فاختوضرت من حول « قورينئة » الحقول ، وترنحت في سفوح جبالها أشجار السرو والصنوبر والحوار ، نشوانة متميلة ، كأنها القدود الهيفاء . وفي المروج رتعت قطعان من الماشية والأغنام ، زودت الدنيا القديمة بأثمن أنواع الصوف ، ولدت سلائل من الخيل ، عرفت في ملاعب أئينا بأنها لا يشق لها غبار

وفي هذه البيئة نشأ الفيلسوف «أرسططس» صاحب الفلسفة المنسوبة إلى تلك المدينة المهجورة ، التي تركتها يد الحداث في وحدتها الأئمة : « تبكي في الليل بكاء ، ودموعها على خديها » (١)

الضمير بين العقل والشهوة

إنّ تحصيل اللذة الراهنة — كما يقول أرسططس — هي القاعدة في الحياة . على الضدّ مما يقول « كانت » — Kant على أن الفارق بين الاثنين أن فلسفة « كانت » تحتطّ للانسان خطّة في حساب النفس ، يرجع فيه إلى الضمير ، والتساؤل عند مباشرة أي عمل ، « أيجوز أن يكون هذا العمل قانون الانسانية الأدبي » ؟ « وهل ينطبق هذا العمل على ما تحيز الفضائل » ؟ في حين أن فلسفة «أرسططس» لا تنقيد الا بالمشاعر التي تستولي على النفس في ساعة بعينها . فتحصيل اللذة الراهنة ، سواء أكانت لذاتها أم للتحرر من ألم عارض ، هي عنده قاعدة الحياة وناموس السلوك إذا استولت اللذة (إيجاباً) أو التحرر من الألم (سلباً) على الانسان وهو يزاول أي عمل من أعمال الحياة ، فإن صوت ضميره يخفت تماماً . حتى إذا تمّ الفعل ، وكان على غير ما تحيز شرائع الآداب أو العرف استيقظ الضمير ، وأخذ يحاسب النفس على ما اقترفت من استسلام للشهوة . فالضمير قوّة ثانويّة ، والشهوة قوّة أولية . غير أن « أرسططس » احتاط لهذا ، فقال بأن اللذة لا يجب أن تكون مرجوحة بالألم الذي يعقّبها من حساب الضمير

(١) من مراني ارميا في العهد القديم — « كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب . صارت كأرملة العظيمة في الامم . السيدة في البلدان ، صارت تحت الجزية . تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها . ليس لها من معز من كل محبيها . كل اصحابها غدروا بها ، صاروا لها أعداء ، الخ — و مراني ارميا قصيدة منشورة من امتع ما اخرجت القرائح

عَبثًا يُحَاوِلُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَوْقِظَ ضَمِيرَهُ ، إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ . وَعَلَى قَدَرِ مَا تَكُونُ قُوَّةُ اسْتِيلَاءِ الشَّهْوَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَكُونُ عَجْزُ إِرَادَتِهِ عَنْ إِيقَازِ ضَمِيرِهِ لِيَصُدَّ عَنْ فِعْلِ بَعِيْنِهِ ، أَوْ لِيَحْضُرَ عَلَيْهِ . فَبِئْسَ الْحَالَاتُ يَخْفُتُ صَوْتُ الضَّمِيرِ بَلْ يَكُنْ وَيَسْتَخْفِي ، وَفِي غَيْرِهَا يَعْنِي بَعْضُ الْوَعْيِ ، وَفِي ثَالِثَةٍ يَصَارِعُكَ : فَأَمَّا لَهُ ، وَإِمَّا عَلَيْهِ . وَهَذَا عَلَى نِسْبَةٍ مَا يَكُونُ تَحَكُّمُ الشَّهْوَةِ فِي الْمَشَاعِرِ أَنْ تَحْصِلَ اللَّذَّةُ الرَّاهِنَةُ ، قَدْ يَكُونُ مَتَجِّهًا لَهَا نَعْتَبِرُهُ خَيْرًا ، وَلِلْخَيْرِ الْأَسْمَى . كَمَا يَكُونُ مَتَجِّهًا لَهَا نَعْتَبِرُهُ شَرًّا ، وَلِلشَّرِّ الْأَدْنَى . وَالْإِنْسَانُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ خَاضِعٌ لِلشَّهْوَةِ أَوَّلًا . فَإِذَا اسْتَقْوَتْ وَكَانَتْ بَوَاقِهَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ قَعْمُهُ ، تَغَلَّبَتْ . وَإِذَا لَمْ تَسْتَقْوْ ، فَشَلَّتْ . وَلَكِنْ الشَّهْوَةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَكْثَرُ انْتِصَارًا ، وَأَقْلَى مِنَ الضَّمِيرِ انْدِحَارًا . وَالشَّهْوَةُ لِلْخَيْرِ ، أَقْلَى مِنَ الشَّهْوَةِ لِلشَّرِّ ، كَمَا وَكَيْفًا ، مَعَ تَقْدِيرِ اعْتِبَارِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي مَفْهُومِنَا ! كَمَا أَنَّ لِلشَّهْوَةِ مَنَازِلَ وَدَرَجَاتٍ . أَبَانَ عَنْهَا أَرِسْطُطِسٌ فِي مَذْهَبِهِ كُلِّ يَانٍ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّهْوَةَ أَقْوَى مِنَ الضَّمِيرِ فِعْلًا فِي النَّفْسِ ، أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا نَادِرًا وَبَعْدَ وَقُوعِ الْفِعْلِ فِي الْغَالِبِ . وَأَنَّ اسْتَيْقَازَ الضَّمِيرِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِقَمْعِ شَهْوَةٍ تَقُومُ فِي النَّفْسِ أَوْ مُحَاسَبَةٍ عَلَى فِعْلِ أَتَمِّهِ ، خُضُوعًا لِشَهْوَةٍ مَا . فَالشَّهْوَةُ أَذْنُ أَقْوَى مِنَ الضَّمِيرِ أَثَرًا فِي السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ . وَإِذَا قُلْتَ أَنَّ كُلَّ أَعْمَالِ النَّاسِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الشَّهْوَةِ ، أَوْ بِالْآخَرِ أَنَّ أَعْمَالَ الْإِنْسَانِ شَهَوَاتٌ ، تَوْضِعُ مَوْضِعَ التَّنْفِيزِ ، كُنْتَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنَ الْوَاقِعِ يَحْتَاجُ الضَّمِيرُ إِلَى حَكْمِ الْعَقْلِ أَوَّلًا لِيَسْتَيْقِظَ . فَإِنَّ الْحَكْمَ عَلَى فِعْلِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، بِأَنَّهُ مُخَالَفٌ أَوْ مُوَافِقٌ لَشَرَائِعِ الْأَدَابِ ، يَحْتَاجُ إِلَى مُوَازَنَةِ الْعَقْلِ . وَالْعَقْلُ قَدْ يَخْطِئُ . كَمَا أَنَّ حَكْمَهُ نَسْبِيَّ اعْتِبَارِي ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ ، وَبِاخْتِلَافِ الْأَفْرَادِ ، وَبِاخْتِلَافِ الْجَمْعِيَّاتِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَقْلَ خَاضِعٌ فِي غَالِبِ أَمْرِهِ لِلتَّقَالِيدِ وَالْوَرَاثَةِ وَالْأَوَاضَاعِ الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا كُلُّ جَمَاعَةٍ مِنَ الْجَمَاعَاتِ . وَأَذْنُ فَالضَّمِيرُ خَاضِعٌ لِحُلَّةٍ مِنَ الْمُؤَثِّرَاتِ . وَهُوَ عَرِضٌ لِتَضَارِبِ أَحْكَامِ الْعَقْلِ ، أَوْ لِلْإِخْطَاءِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي وَرِثَتْ وَلَبِسَتْ مَعَ الزَّمَانِ ثُوبَ الْقَدَاسَةِ . فَقَدْ اتَّفَقَتْ كُلُّ الشَّرَائِعِ وَتَقَالِيدِ الْجَمْعِيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُتَحَضَّرَةِ ، عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ جَرِيمَةٌ . وَلَكِنَّهُ جَائِزٌ فِي الْحُرُوبِ ، فَيَقْتُلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَرَّكَ الضَّمِيرُ بِوَاذِعٍ يَصُدُّ الْإِنْسَانَ عَنْ ارْتِكَابِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ . وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الضَّمِيرَ يَخْضَعُ لِلتَّقَالِيدِ وَالْأَوَاضَاعِ . وَهَذَا تَسْتَوِي شَهْوَةُ الْقَتْلِ عَلَى النَّفْسِ ، غَيْرُ مُتَوَرِّعَةٍ عَنْهُ بِصُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ . وَإِذَا افْرَضْنَا أَنَّ الْقَتْلَ فِي الْحَرْبِ دِفَاعٌ عَنِ النَّفْسِ ، كَمَا يَذْهَبُ الْبَعْضُ ، فَنَلِيسَ الدِّفَاعُ عَنِ النَّفْسِ إِلَّا فِعْلٌ عَكْسِيٌّ أَصِيلٌ ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَتَحَوَّلَ سَرِيعًا إِلَى فِعْلِ عَكْسِيٍّ مُتَحَوِّلٍ ، هُوَ حُبُّ الْقَتْلِ وَالْفَتْكَ بِالْأَرْوَاحِ خُضُوعًا لِمَقَرَّرَاتِ پَافُوفٍ . كَمَا أَنَّ الدِّفَاعَ عَنِ النَّفْسِ ، لَيْسَ كُلُّ مَا فِي الْحَرْبِ مِنْ بَاعِثٍ . فَقَتْلُ الْأَسْرَى وَالضَّعْفَاءِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالتَّخْرِيبُ وَقَذْفُ الْمِدَنِ الَّتِي تَجَرَّدَتْ مِنْ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ بِالْقَنَابِلِ الْمَدْمُورَةِ ، شَهْوَةٌ تَسْتَوِي عَلَى الْمُحَارِبِينَ ، بَعْدَ أَنْ يَنْقَلِبَ

حب الدفاع عن النفس ، الى فعل عكسي متحول ، كما أوضحنا . وإذن يصبح القتل في الحرب شهوة . والشهوة تدفع الى تحصيل لذة القتل وسفك الدماء . وهذه هي لذة الساعة التي أنت فيها ، أو اللذة الراهنة ، كما اصطلاحنا أن نسميها . على الضد من الضمير في احتياجه إلى احكام العقل تجدان الشهوة لا تخضع للعقل ، بل هي نائرة ملحة ، ترمي الى غرض معين لا يمكن بحال من الاحوال ، إذا استقوت على المشاعر ، أن يقرب الغرض الاصلي الذي ترمي إليه غرض آخر ، مهما كان في الغرض الذي ترمي إليه ، من تنافر مع احكام العقل ، ومهما كان في اي غرض آخر ، من اتفاق مع المنطق السليم . إذن فالشهوة هي القوة المحتكمة في أفعال الانسان ، وتحصيل اللذة الراهنة هي القاعدة التي يجري عليها سلوك الانسان ويخضع لها ^(١)

إذا كان اللذة والالام أصليين ضروريين في الحياة ، وإذا كانت الحياة الانسانية قد قيدت آدابها ببواعث الشهوة التي تدفعنا الى تحصيل اللذة الراهنة ، فهل من امل في تقويم الخلق البشري بأن يتحرر من انفعالاته وشهواته ، الى درجة يستقوى فيها حب الخير على الشر ، وتستعلي فيه الفضيلة على الرذيلة ! سؤال يجب أن نفكر قليلاً قبل أن نحاول الاجابة عنه ، ولكن لا بد من الرجوع الى تاريخ نشوء الانسان من الحيوانات التي هي أحط منه ، ليتمكن أن نعرف إن كان الانسان سائرًا في تطوره نحو الارتقاء الشعوري ، أم أن ارتقاء العقل فيه ، قد تابعه تطور في العواطف والانفعالات والشهوات ، أشعلها وجعلها تخضع العقل إخضاعاً . ولكن الظاهر أن لاعلاقة بين تطور العقل ، وتطور المشاعر . فكلاهما على ما يظهر يرتقي ويتطور في ناحية بعينها . ولا شك في أن المشاعر تنتحي في تطورها السمت الأعلى من فضائل الأخلاق ، على ما تحتاج الطبيعة البشرية أن تكون الفضائل الخلقية ، باعتبار الزمان والمكان

ولا شبهة في أن الحيوانات العليا من الرئيسات — Primates — تحوز كل الصفات التي نراها في الانسان ، ولكن بدرجة أقل . فهي تتفق مع الانسان في أن لها غرائز وميولاً وعقولاً وانفعالات وشهوات . غير أن هذه الظواهر فيها ، أحط منها في الانسان . والدليل على هذا أن حس الجمال في الانسان أقوى ، والمطامع أطغى ، والآمال أوسع وأشهى . واتصال الانسان بالمستقبل البعيد ، صفة تفقدها الحيوانات حتى القروء العليا ، أبناء عمومتنا الاقربين . وكثيراً ما يتطور احساس الانسان من حيث صلته بالمستقبل ، الى صورة من الجشع الاجتماعي ، تقوي انفعالاته وتوقظ شهواته . لهذا نحكم بأن الانسان سائر نحو المادية الأدبية . ونقصد بها تغلب الشهوات على الحس الأدبي ، والتخلص من محكمة الضمير ، على مقتضى حاجات الزمان والمكان ، وتحكم الاقتصاديات الرأسمالية

(١) يقول مكندوجال « لا يغرب عنا ان العقل قد يمثل دوراً ذابال ، ولكنه لا يلبث ان ياتي على المشكل الذي يواجهه ضوءاً جديداً ، حتى يبعث شهوة جديدة ، أو يوظف اخرى كانت نائمة »

يدلنا على ان الانسان آخذ في سبيل التخلص من محكة الضمير ان اكثر المرافق التي تكون حضارة الانسان ، كالتجارة والصناعة والزراعة ونظام الاحزاب والديمقراطيات بانواعها والحريات على مختلف ألوانها اكثر ما تحركها الانفعالات ، وتقودها الشهوات، وتحتكم فيها المطامع والاغراض ، وقل ما تكون خضوعاً لمحكمة الضمير ، ولو أن إخضاع هذه المرافق لمحكمة الضمير أجدر بالنوع البشري وأجدي . ولكنك لا تجد لها من أثر إلا في المثاليات ، دون الواقع ولا نريد بهذا أن نقول ان تحصيل اللذة الراهنة هي القاعدة المثلى الجديرة بحياة الانسان الادبية ، باعتباره إنساناً ، على ما يدرك من هذا المعنى في أرفع منازل . بل نقول إنها القاعدة الضرورية . وبهذا نستطيع أن نعلل الاوامر والتواهي التي جاءت بها الاديان . فلما كانت الشهوة أقوى ما يستولى على النفس ، كان لا بد لقمعها من مؤثر آخر يوازنها قوة وأثراً . فليجأت الاديان إلى الايمان توقظه في النفس . فاذا استيقظت ، غرست فيه نواهيها وأوامرها . وهنالك يقوم العراك بين نواهي الايمان ، وبين بواعث الشهوة . ومع الأسف ، ان بواعث الشهوة لا تزال في الكفة الراجحة حتى اليوم . وبين كل شعوب الارض قاطبة

ولا يقمع الشهوة إلا الايمان . إذن فالنوع البشري يحتاج الى الايمان . الايمان في الدين . لأن الدين بلا ايمان لا أثر له في خارج النفس . ويحتاج إلى الايمان في بقية مرافق الحياة . في العلم والأدب والفن والفلسفة ، وفي السياسة والتجارة والصناعة والزراعة ، وعلى الأخص الايمان بقدسية الحياة الانسانية ، وحريتها ، وحقوقها ، وواجباتها . فإنا بالايان نستطيع ان نقمع كثيراً من الشهوات التي تفسد علينا الحياة الآن . وبقدر ما نحتاج الى الايمان محتاج الى الشك . لان التسليم بلا شك ، قاعدة فاسدة الاساس ، بل نستطيع ان نقول ان الايمان لن يكون تسليماً على اطلاق القول . وما ندعوه ايماناً في الغالب ، ليس الا تسليماً ، اساسه حمق وغباء وتقليد ، ليس من الايمان في شيء . وقد يحيل الى الذين لم يتعمقوا في درس الفلسفة ، ان أرسطبس انما يدعو الى اتباع الفلسفة التي توحى بها فكرة تحصيل اللذة ، الراهنة ، كيفما كانت هذه اللذة ، وعلى أية صورة وقعت ، وانه يرى ان هذه القاعدة هي القاعدة المثلى في السلوك الاخلاقي . ولكن الحقيقة على نقض ذلك فان أرسطبس انما يقول بأن تحصيل اللذة الراهنة ضرورة نفسية ، نخضع لها قسراً عنا . وان الاعتراف بذلك خير من نكرانه . لانا باعترافنا وادراكنا حقيقة كياننا ، نستطيع ان نرفه شيئاً من حدة ميولنا ، وان تنظمها ونروضها على ان تتحول الى فعل الخير على قدر المستطاع . ذلك على الضد مما نكون ، اذا اهملنا الاعتراف بها ، ومضينا نقول بأن حكم الضمير كاف للتهذيب ، من غير ان نغير الشهوة ، وأثرها في الحياة ، التفاتاً . فالفرق بين « أرسطبس وكانت » ينحصر في ان الاول يعترف بالواقع ، والثاني يدعو إلى المثل العليا

الحضارة الحثية

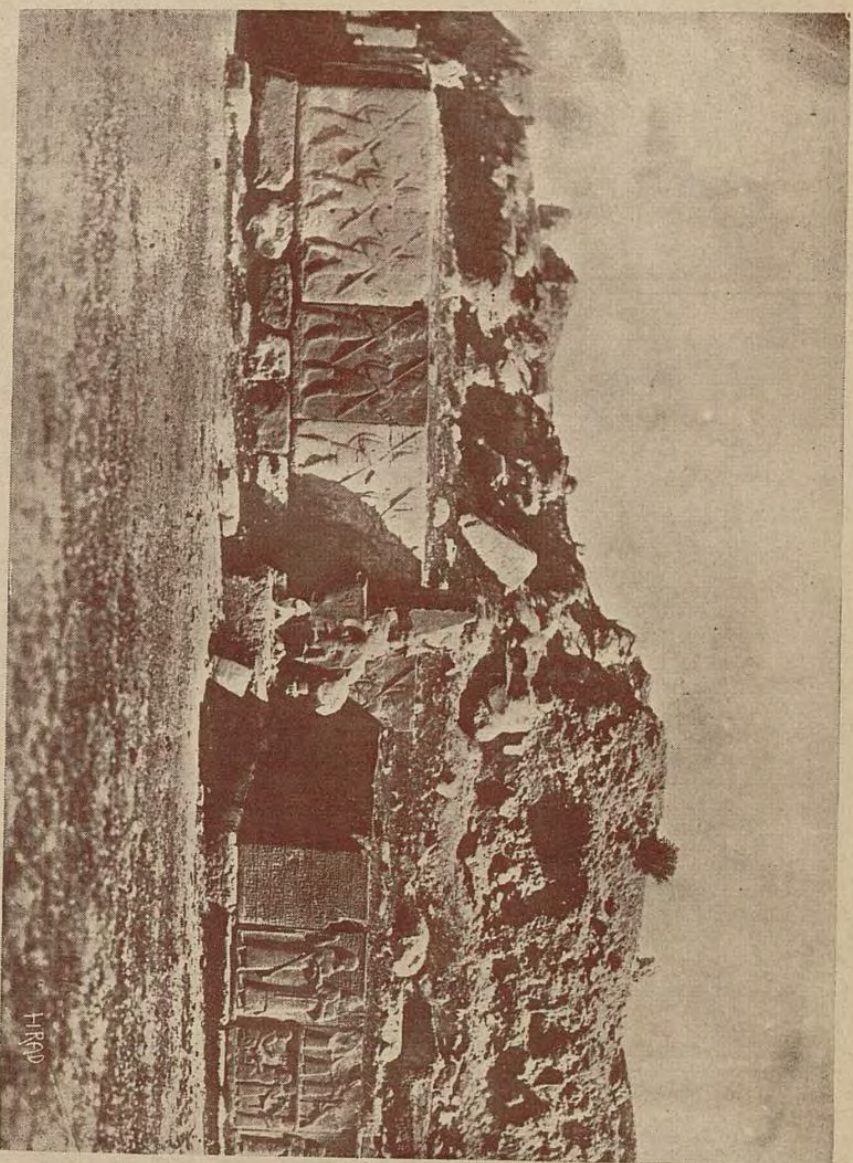
أقدم آثار آسيا الصغرى وسوريا الشمالية

بقلم قبصر صادر

عضو جمعية العاديات السورية

ليس أدلّ على حضارات الأمم البائدة من آثارها الراسخة في بطون الاحجار الدفينة .
فهما تقادم العهد عليها فلا بدّ إن يأتيها يوم تنهض فيه من باطن التّرى وتبعث الى عالم الوجود ،
نافضة عن نفسها غبار الأجيال السحيقة ، فتبوح نقوشها البارزة بأسرار العصور الغابرة وتنطق
زخارف أنصافها الضخمة بعظمة الماضي الطويل الذي خلقه الانسان وراءه في ثنايا القرون
المظلمة . ومن أقدم تلك الآثار التاريخية التي توصل العلم الى انتشارها من جوف الاطلال وأماط
عن خفاياها حجاب العفاء هي آثار الحضارة الحثية التي ازدهرت منذ أربعة آلاف سنة في سهول
آسيا الصغرى وشمالى سوريا وبلغت من الرقي شأواً بعيداً . وقد غنينا بدراسة هذه الحضارة العريقة
على ضوء أوثق المعلومات المقتبسة من الأسفار القديمة ومؤلفات فحول الأثرين واستعنا على
معرفة ما بقي في متحف حلب المختص بجمع العاديات الحثية من هذه الآثار المكتشفة في
سورية متبعين مراحل الاكتشافات خطوة خطوة

فقد كان الرحالة الفرنسي لاروك أول من أشار في سنة ١٧٢٢ م الى وجود مخطوطات
هيريوغليفية في مدينة حماه بوصفه عموداً شامخاً من المرمر استرعى نظره في حديقة جامع على
شط العاصي بما ازدان به من نقوش بدیعة تمثل رؤوس أناس وطيور وحيوانات وأزهار شتى ثم
قدم بعده بنحو قرن العالم بوركهاردت الى حماه باحثاً عن ذلك العمود المرمرى فلم يعثر له على
أثر إلا أنه اكتشف هناك مخطوطات غامضة منقوشة على بعض أحجار سود مُعاد بناؤها في
زوايا عمارة في البازار تشبه بخطوطها الهيريوغليفية المصرية بعض الشبه فسميت هذه بمخطوطات حماه
وبينا كان بعض السيّاح الأميركيين يمرون بهذه المدينة في سنة ١٨٧٠ لاحظوا المخطوطات
المدكورة ثم سافروا الى حلب فعثروا فيها على لوح حجري كبير مخطوط على النمط نفسه ففككوه



خرائب قلعة کرکیش کا بندو فی الوقت الحاضر

HR90

من محله وكادوا يأخذونه معهم لو لم يتصد لهم الأهالي ويحولوا دون مأربهم على أنهم ما لبثوا ان نهوا اليه قنصل دمشق السير وليم رايت فاستأذن القنصل الحكومة بنقل اللوح المذكور مع مخطوطات حماء الى متحف استانبول وأتم ما أراد في عام ١٨٧٢ وقد أثار تلك الكتابات المغلفة إعجاب علماء الآثار فأقبلوا عليها يتفحصون عنها ويحاولون حل رموزها وتعيين نسبتها فذاعت شهرتها وتطرقوا الى مسامع المستر سكين قنصل بريطانيا في حلب اذ ذاك فهب يستقصي مصدرها منقبا عن أمثالها فاقناده حسن حظه الى زيارة قضاء جرابلس الواقع على ضفة الفرات الغربية شمالي مدينة حلب وعلى بعد ١١٩ كيلو مترا منها فوقف في باحة قلعة الترامية الأطراف على كثير من أمثال هذه المخطوطات منقوشة على أحجار سود تتخلل الانقاض المبعثرة تحت الردم فتساءل عما عسى ان تكون تلك الاطلال البالية التي تهم آثارها الضخمة على أبنية على غاية من العظمة واتفق في تلك الآونة ان الأستاذ سايس الذي أكب على دراسة مخطوطات حماء المغلفة منذ بداية عام ١٨٧٦ عزاه الى الحثيين فحذى ذلك بالمستر سكين الى الظن بأن تكون تلك الاطلال الدارسة منطوية على خرائب مدينة كركميش إحدى عواصم الحثيين الواقعة على ضفة الفرات كما تشير اليها نصوص الفرعنة القدماء فطار صيت هذا الاكتشاف الخطير وسرعان ما أيدت صحته علماء الآثار فنهت الأذهان الى هذه المخطوطات الحثية وتوغل البحث عنها في أنحاء سوريا وآسيا الصغرى كافة . فظهر للباحثين آثار كثيرة على مثالها من عند اطلال كركميش الى ازمير وفي وادي الحليس منطقة ملاطيه وارضروم فأخذت تتسابق البعثات الاثرية الى هذه البلاد وشرعت عن ساعد الجد منقبعة عن عاديات تلك الدولة العظيمة التي جهلها التاريخ زمانا طويلا وقد بدأت اول بعثة انكليزية بحفريات منتظمة في كركميش سنة ١٨٧٦ م فدامت اعمالها اربع سنوات ثم استأنفتها في سنة ١٩١٢ م بمعاونة المستر (السر الآن) لنزد رولي والداهية المعروف الكولونل لورنس وقد كان من هواة الآثار بيد ان الحرب العظمى حالت دون اتمام حفريتهما . على انه ما كادت تحط هذه الحرب اوزارها حتى واصلت تلك البعثة اعمالها من دون لورنس الذي شغلته عن الآثار شواغل فكانت المكتشفات خصبة وافرة من مخطوطات ونقوش وتماثيل واصنام فنقلت برمتها الى المتحف البريطاني ولم يبق لسوء حظنا العاثر اثر منها بين ايدينا يصلح للدراسة اللهم غير تلك الاركان الحجرية الضخمة التي سلبت معظم نقوشها وطمس معالمها

وكذلك عملت بعثة المانية عام ١٨٨٨ م في خرائب زنجيرلي الواقعة في شمالي غربي كركميش فوفقت فيها على آثار حثية كثيرة توزعت بين متاحف استانبول وبرلين ثم عقبها حفريات عديدة كان معظمها في آسيا الصغرى فنقلت آثارها المهمة الى متاحف اوربا من غير ان ندرى بها نخص منها بالذكر التنقيبات التي شرع بها ميسو شانتر الفرنسي عام ١٨٩٤

في قرية بوغازكوي الواقعة على مسافة ٢٠٠ كيلو متر من شرقي انقره وفي قرية هويوك الكائنة على مقربة منها وقد اسفرت حفريات بوغازكوي التي تابعتها بعثة المانية في سنة ١٩٠٦ م عن اكتشاف خطير يعد من اعظم الاكتشافات الاثرية اذ توصل العالم الاثري هوغو فنسكلر بالتنقيب في تل تلك القرية الاسيوية المجهولة الى حسر النقاب عن آثار حاتوشا عاصمة الحثيين القديمة وقد عثر في هيكل الآلهة مخشوب على مكتبة كبيرة تضم نحواً من عشرين الف لوحة من اللين المشوي مخطوطة بالقلم المسهاري كانت مصدر معلوماتنا القيمة عن الحضارة الحثية لان معظمها وجد مكتوباً باللغة الاكادية السامية مما سهل معه تفسير بعض نصوصه ومن اهم ما عثر عليه بين هذه الألواح نسخة المعاهدة المعقودة في سنة ١٢٧٨ ق.م. بين الفرعون رمسيس الثاني والملك حاتوشيل الحثي مكتوبة باللغة الاكادية وكان قد سبق واكتشفت ترجمتها المصرية في حفريات تل العمارنة وقد اقتفت بعثة انكليزية اثر ذلك الاكتشاف الخطير ونشرت اطلال ساقجي كوزي القائمة على مقربة من قرية بوغازكوي في سنة ١٩٠٨ م فتوفقت الى العثور على آثار حضارة عريقة ترتقي الى اقدم عهود الحثيين كما ان اكتشاف كركيش أهاب بالعلامة الاثري المسيو تورد رانجان الفرنسي الى اجراء حفريات بجنوبي تلك العاصمة في ناحية كانت تدعى تل احمر ثم عرفت بتل برسبب قائمة على ضفة الفرات اليسرى فاكشفت فيها خلال سنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كتابات ونقوشاً واصناماً حثية تحت طبقة من انقاض قصور اشورية وآرامية رائعة بضخامتها ورسومها الملونة استدل منها على احتلال هذا التل من قبل الدول المذكورة تباعاً مع تعاقب الايام

ويجدر بنا ان نشير كذلك الى الحفريات غير الناجزة التي اجراها مسيو هروزني في كول تيه قرب القيصرية عام ١٩٢٧ فأبانت آثار فجر العصور الحثية ولا يفوتنا ان نلمع الى تنقيبات بعثة شيكاغو منذ عام ١٩٢٧ على روابي اللي شهر الواقعة على مسافة ٧٠ كيلو متراً من شرقي بوغازكوي والى اعمال مسيو دولاپورت في تلول آزهويوك عام ١٩٣١ وفي ارسلان تيه عام ١٩٣٢ تلك التي كشفت عن خرائب قصور حثية وعدة نقوش تمثل طقوساً دينية وضم ملك حثي مطبوع بمسم فن اشوري وآنية من فخار وخزف تمت بصناعتها الى الحثيين القدماء وقد خدم الاتفاق بعض المنقبين في قلعة حلب وجوارها وفي مدينتي حمص وحماه وفي معظم البلاد التركية بالعثور على آثار حثية تحت طبقات كثيفة من انقاض حضارات أحدث تاريخاً دلت على ايفال تلك المدن العامرة في القدم وما برح معول التنقيب ينبش التلول المنتثرة في سهول آسيا الصغرى وسوريا الشمالية باحثاً عن



في الوسط : نصب حتي كبير من الحجر البركاني الازرق (٣.٠٣ × ٩٨.٠ × ٨٥.٠) اكتشف في حفريات تل برسيب عام ١٩٢٨ ونقل الى متحف حلب يمثل يحشوب اله الصواعق بلباسه الحي المعروف واقفاً على الثور الذي يرمز خواره الى هدير الماصفة وقد شهر بيده اليمنى فأساً وامسك باليسرى رمز الساعة المثلث الشعب والنصب متوج بقرص شمسي داخل هلال مزدان بجناحين على شكل النقوش المصرية. وفي اسفل النصب خل حلزوني الشكل كثيراً ما حفر على النقوش الحثية . وفي الطرفين مسلتان عليهما كتابة هيرغليفية قديمة ترجع الى القرن الثاني عشر ق م وقد وجدتتا مع النصب المذكور في تل برسيب وارسلتا الى متحف اللوفر

آثار تلك الدولة العظيمة التي قدم رجالها من جبل النكام وطغوا على شعوب هذه المناطق فاستعمروا بلادهم وأخضعوها لسلطانهم

وقد اتجهت في المدة الاخيرة جهود علماء الآثار الحثية الى التنقيب في سهول العمق فأوفدت جامعة شيكاغو بعثة منظمة الى قرية حطل هويوك الواقعة على طريق حلب الاسكندرونة لتبحث بين خرائبها المطمورة تحت الردم عن مدينة (كلنة) احدى حواضر الحثيين القدماء في سوريا الشمالية كما شرعت بعثات أخرى في تنقيب تل الریحانية وبعض الاطلال المجاورة لانايطا وسويدية فزفّ الينا مؤخراً نبأ عثور هذه البعثات على آثار حثية قيمة لم تنشر بعد لوجوب بقائها مدة قيد الدرس والتحصيل ولعله لا يبعد ان تتحسر مئات التلول التي تغطي سهول العمق عن آثار بقية المستعمرات الحثية المندثرة فيتسنى للعلماء ان يستطلعوا منها بعض اسرار التاريخ الغامضة التي ما برح جوابها معلقاً على نتائج البحث والتنقيب

عند ما نهض العلم من باطن الثرى يبقايا تلك الصناعات المهيبة التي لم تكن تعرف نسبتها انصرف علماء الآثار الى مراجعة الأسفار المقدسة فتوصلوا بفضلها الى نزع لثام الغموض عن وجه تاريخ الحثيين القديم ومن اهم النصوص التي ساعدت على التعرف الى تلك الشعوب ومنازلها ما جاء في الفصل الاول من سفر يشوع بن نون من أن الرب عاهده على ان يجعل تخوم ملكه من البرية ولبنان الى الفرات جميع ارض الحثيين ، ثم ما نقرأ في الفصل الثالث من سفر الخروج من ان اله اسرائيل بعدما انقذ شعبه من نير عبودية المصريين اسكنه ارضاً واسعة طيبة تدر لبناً وعسلاً كانت موطن الكنعانيين والحثيين والاموريين

وبما ورد ايضاً في الفصل الثالث عشر من سفر العدد ان موسى عندما نزل مع جماعته في بركة فاران أوفد رؤساء اسباط اسرائيل ليجتسوا الأرض من بركة صين الى رحوب عند مدخل مدينة حمّاه فوجدوا تلك المناطق خصبة وشعباً قوياً ومدنها حصينة عظيمة وقد كانت تقيم العالقة بجنوبها والحثيون واليبوسيون والاموريون يقطنون الجبل والكنعانيون متبسطون في سواحل البحر وقد انتشروا حتى عدوة الاردن

وهناك شهادات أخرى في الكتاب تتصل بموضوعنا منها ما نخبرنا به سفر التكوين من ان ابراهيم اضطر عند وفاة زوجته سارو في قرية حبرون الكنعانية الى ان يشتري من عفرون بن صوحر الحثي مغارة المكفيلة وحقلها بأربعمائة مثقال فضة ليجعلها مدفناً لعائلته

وان عيسوبن اسحاق لما بلغ من العمر اربعين سنة اتخذ يهوديت بنت برّي الحثي وبسمة بنت ايلون الحثي امرأتين له ويلوح ان النساء الحثيات كن جميلات يستهوين حتى عطاء اسرائيل كما ثبت ذلك اسطورة في سفر الملوك الثاني تروي لنا علاقة غير شرعية للنبي داود مع امرأة

تدعى بتشابع زوجة اوريا الحثي . على ان هذه الاسانيد وحدها لم تكن كافية لعلماء الآثار من اجل وضع تاريخ الحثيين لو لم يجمعوا اليها سائر معلوماتهم المستقاة من اللوح الهيروغليفية المصرية ومن الكتابات الاكادية والاشورية ومما تيسر حل رموزه من مخطوطات الحثيين انفسهم فقد ورد ذكر البلاد الحثية لأول مرة من ايامنا في الواح تل العمارنة المكتشفة سنة ١٨٨٧ في عاصمة مصر القديمة وهذه اللوحات انما هي رسائل متبادلة بين فرعون النيل وملوك آسيا وبعض الامراء السوريين الذين كانوا خاضعين لسلطة مصر في القرن الرابع عشر والخامس عشر ق.م. ثم عثر في سنة ١٩١٣ على لوح آخر مكتوب باللغة الاكادية ربما كان اقدم اثر تاريخي عرفناه على الاطلاق يشير الى حملة عسكرية قام بها سارغون ملك اكاده المحارب العظيم في سنة ٢٢٢٥ ق.م. على امارات آسيا الصغرى وتوغل في جبال الفضة ويعني بها موطن الحثيين القدماء وقد اكتشفت في بوغاز كوي ترجمة هذا اللوح باللغة الحثية النيزية كما ظهر له في خرائب اشور نسخة مبثورة . وفي لوح حثي آخر مخطوط بالقلم المسماري يشيد الملك نارام سان من سلالة ملوك اكاده بالنصر الذي احرزه على سبعة عشر ملكاً اسيوياً حاربوه متحدين منهم پامبا ملك البلاد الحثية وهو اول من عرفناه من سلالة الملوك الحثيين وقد ورد ذكره مراراً في الواح اخرى مكتشفة في كركوك مما يدل على شيوع اسمه في كل انحاء آسيا الصغرى . ومن الملوك الحثيين القدماء الذين تواتر ذكر اعمالهم في تلك النصوص العهدية زيباني ملك بلدة كانص التي كشف النقاب عن انقاضها في كول تيه قرب القيصرية ويتسبنكي ملك بلدة غصورا التي يخال ان موقعها الجنوبي غربي انقره في الخرائب المعروفة بكادور قلعه سي وهناك اسماء ملوك واعلام عديدة توصلنا الى معرفتهم وسنورد ذكرهم تباعاً فيما يلي مقررنا باعمالهم الخطيرة

بالاستناد الى الادلة والبيانات التي توافرت لدى علماء الآثار اجمعوا على ان الحثيين انحدروا من عرق آري طغى رجاله على آسيا الصغرى في قديم الزمان فأقاموا اولاً بجبال الامانوس المعروفة بجبال اللكام ثم تكاثروا فتدافعوا الى اودية الجبل وتبسطوا في سهولها على انهم تفرقوا الى فصيلتين سكنت الاولى في الكبادوك وفي سائر انحاء آسيا الصغرى ثم انتشرت بمرور الايام من الفرات الى حلب فحماه فقادش ورحلت الفصيلة الثانية الى ابعد من ذلك فاستوطنت معظم بلاد كنعان من قبل عهد ابراهيم اي في اواخر القرن الحادي والعشرين ق.م. بدليل حادثة شراء ابي المؤمنين مدفون عائلته في حبرون من غمرن الحثي وقد عرفت الاولى بالفصيلة الشمالية والاخرى بالجنوبية بيد ان هنالك من يدحض وجود علاقة ثمة بين الفصيلتين في غير تشابه الاسم . فيبقى حل الغموض في هذه النقطة المهمة متوقفاً على مستقبل الاكتشافات الاثرية

على انه يظهر ان كل من اطلق عليه الاسم الحثي كان قوي الشكيمة ذا سوؤدد في مواقفه الحربية اذ يخبرنا الكتاب ان الشعوب الحثية الجنوبية قاومت استيلاء الاسرائيليين على ارض كنعان مقاومة عنيفة وحاربتهم حروباً شعواء ولكنها لما غلبت على امرها لم تبرح البلاد بل اتفقت مع بني اسرائيل وتوطدت العلاقات ما بينهم فانضوا تحت رايتهم وناصروهم في سائر فتوحاتهم أما في الشمال فقد قضوا بصولتهم على العناصر السامية التي اجتاحتها بلادها وشادوا فيها مملكة عظيمة منذ أوائل الألف الثانية ق.م ضمت تحت لوائها تدريجياً كل الشعوب الآسيوية العديدة التي كانت منتشرة في آسيا الصغرى وفي السهول الممتدة ما بين الفرات والعاصي وان من أقدم الآثار التي تدلنا على سطوتهم لوح مخطوط بالقلم المسماري أشار اليه العالم الاثري السيد هروزي يتضمن أسطورة فتوحاتهم الأولى في آسيا الصغرى بين سنة ١٩٥٠ وسنة ٢٠٠٠ ق.م. ومقادها ان يتحانا ملك بلاد الكوثر استولى على مدينة نازا التي سكنها الحثيون القدماء واشتقت منها تسمية لغتهم القديمة بالفريزية وان غيتا بن يتحانا ألحق بالمملكة التي استعمرها والده مملكتي زلبا وحتى وكبسر مدينة نازا ونصب عند بابها مسلةً تذكارية لا تصاراته الكبرى استمد فيها العون على تأييد ملكه من اله الذرى والصواعق. بيد ان حاتوشا عاصمة مملكة حثي المغلوبة لم تحدد الى الخضوع والسكينة فقاواً مليكها المدعو بيحوشي جيوش الملك غيتا الظافر فنكلوا به شرّاً تكيّل ونقلوا مغانم مملكته الى معابد نازا وكوثر فكان بينها الكثير من الذهب والفضة مع مجموعة من أغرب الحيوانات المتوحشة

فيستفاد مما تقدم انه كان لدولة الحثيين القدماء اربع حواضر في آسيا الصغرى منذ الالف الثانية قبل المسيح وهي كوثر ونازا وزلبا وحاتوشا التي مرّ بنا ذكرها على انه لم يتسنّ للآثرين بعد تعيين امكنة هذه الحواضر الاربع بيد انه يغلب على الظن ان تكون خرائب الحضارة الاولى هي المعروفة اليوم باسم كادور قلعه سي غربي انقره. اما نازا فمن المرجح انها مطمورة تحت تلّ مرادلي هويوك على بعد ١٥٠ كيلو متراً من كادور قلعه سي كما انه ينبغي البحث عن الحضارة الثالثة زلبا في قلب آسيا الصغرى بجوار منطقة الكبادوك بالنظر الى تواتر ذكرها في كتاباتهم ويلوح انها كانت من اعظم الممالك القديمة بالنظر الى ان الملك غيتا عند استيلائه عليها لقب نفسه بالملك الاعظم. اما حاتوشا فهي العاصمة الوحيدة التي كشف ليومنا عن خرائبها في بوغاز كوي جنوبي ولاية سينوب التركية ويفهم ان هنالك ايضاً مدينة عامرة مسماة عارينا كانت تحت حماية آلهة الشمس وقد ورد ذكرها في بعض الواح بوغاز كوي مما يدل على انها كانت على مقربة منها وقد تكون خرائب هويوك الواقعة على بعد ٢٨ كيلو متراً من شمالي شرقي تلك العاصمة

الكهربائية البشرية (١)

هل يمكن تصوير الاحلام والافكار

بنفس الزكي في درسي مسكنة

ما من الطاقة الكهربائية أقل

مما ينفض البليبر الزهن

بظلم عوض جهنرى

أمّ حديثاً وفد من العلماء ، مختبرات لوميس العلمية في تكسيدوبارك من أعمال نيويورك
بولايات أميركا المتحدة ، ليعقدوا أول اجتماع في أميركا للبحث في ميدان طريف من ميادين
المباحث العلمية وهو الأول من نوعه في أميركا

وكان ذلك الوفد مؤلفاً من ستين خبيراً من خبراء « الأمواج الكهربائية الحية » فجعلوا
يتناقشون في النبضات الدقيقة التي تنمُّ على التيار الكهربائي الذي ينبعث من بلايين خلايا المخ البشري
وقد تذرّعوا الى مباحثهم بألات حساسة لتسجيل الكهربائية ، تستطيع تدوين أقل من
جزء من مليون من وحدة التيار الكهربائي المحرّك فتبيّنوا حقائق مذهشة ، في الأدمغة البشرية ،
ووقفوا على أسلوب قيامها بوظائفها ، إذ استطاعوا إنجاز أعمال رائعة ومنها (تصوير الأحلام)
ومراقبة الأفعال الكهربائية التي تأتينا خلايا الدماغ عند حل المسائل الحسائية وشاهدوا ما يسمى
(بالعاصفة الكهربائية) التي تؤثر في مخ المصروع ثم توسلوا بما تكشف لهم من الحركات النظامية
في تلك التيارات الكهربائية الضئيلة ذات الطاقات المختلفة ، الى اكتساب براعة فنية جديدة من
كل الوجوه ، في اكتشاف الأدواء المختلفة التي تصيب المخ وتمثيلها

كان فليشل فون ماركسو Fleischle von Marxow الألماني أول عالم تمكّن من تحويل
بعض تيار تلك القوة الضئيلة عن مجراه الطبيعي اذ اكتشف في سنة ١٨٩٠ نبضات كهربائية
طفيفة تمرُّ في جماجم الحيوانات ، متوسلاً الى ذلك بجهاز ضعيف الاحساس ، غير متقن الصنع ،
بمقابلته بما يوجد الان على شكله

(١) أشرنا الى هذه الكهربائية في باب الاخبار العلمية في مقتطف اكتوبر الماضي (وقد ذكرناها ايضاً
في مقالتنا على العلم واحياء الموتى في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٥) ثم قرأنا في مجلة العلم العام الاميركية مقالا
نقيساً في أحدث التجارب التي قام بها العلماء في هذا الموضوع فأبنا نقله بتصرف يسير الى قراء المقتطف

وكان علماء الفسيولوجية قد أدركوا قبل ذلك بقرون ، أن أداء وظائف كثير من الاعضاء الجسدية ، يصحبه تيار كهربائي ضئيل . فاذا غمرت عيناك أو أطبقت فيك أو تنفست الصعداء كان كل حدث منها ، مصدراً لتيار كهربائي دقيق ملائم له . وعقب ذلك أظهرت المختبرات العلمية ، عدة مرات ، العلاقة بين الكهربائية والحياة الحيوانية

وأوصل الدكتور أدريان E. D. Adrian الأستاذ بجامعة كامبردج بانكترا ، وحاز جائزة نوبل ، عصب قدم سنور ، بجهاز مقوّر للتيار الكهربائي ، وبجلفانومتر (آلة تحدد مقدار قوة التيار الكهربائي) فكتشف له أن الكهرباء تسري في العصب ، كلما التوى أصبع قدم السنور وجربت في جامعة برنستون الاميركية تجربة نظرية ، قام بها الاستاذان ويفر G.E. Wever وبراي C. W. Bray إذ جاءا بأرنب وفصلا عصب السمع من دماغه ، فأوصلاه بأنايب مفرغة من الهواء ، وبتليفون ، وذلك بأقطاب كهربائية . فكانت الكلمات التي تلقى في أذن الارنب ، تسمع بالتليفون ، فثبت من ذلك أن الأذان ، ميكروفونات حقيقية تحول ذبذبات الصوت ، الى نبضات كهربائية

وتبين للعلماء في مختبر علمي آخر ان خفقان قلب الفرخ وهو في بيضته ، يكفي لتوليد تيار يؤثر في جلفانومتر حساس . وأعجب من ذلك جداً ، الجهاز الذي اخترع في انكلترا لتسجيل حركات المرايا . وذلك بأن نزع قلب ضفدعة ، ووصل بجلفانومتر عاكس متصل بمراة صغيرة وقعت عليها شعاع من النور ، فاذا تغيرت قوة التيار اهتزت المراة فاحرقت الشعاع

وقد ظلت نبضات التيار الكهربائي المنتظمة ، تحرك مراة الجهاز ، حتى بعد زوال جميع الأدلة الظاهرة التي تدل على الحياة في ذلك القلب ، واستمرت بقعة النور المعكوسة على الحائط تنذبذب ذبذباتها العجيبة الصامتة ، ساعات متوالية في سكون تلك الغرفة المعتمة فتسجل الخفقان الكهربائي في ذلك القلب الميت موتاً ظاهرياً !!!

ويستطيع الاطباء المتخصصون في امراض القلب ، تدوين التقلبات التي تحدث في التيار الكهربائي المتولد من القلب البشري ، في جهاز رسام يسمى الكتروكارديوجراف اي مصورة القلب الكهربائي فتسجل امراض القلب وتدل اختلافات الخطوط المنحنية في تلك الرسوم التخطيطية على مصادر الداء ، وتساعد على وصف الدواء الناجع

وبعدا اكتشاف فون ماركسو للامواج الكهربائية الخفية بعشرات السنين ، لبثت المباحث في ذلك الميدان رهينة التحسين في اجهزة البحث حتى اخترع الراديو اذ آتى بالانايب المفرغة من الهواء التي تقوي النبضات الكهربائية الضئيلة مئات الوف المرات فأصبحت التجارب العلمية فيه هينة

وفي سنة ١٩٢٩ قام هانس برجر Hans Berger في جامعة يينا Jena بالمانيا بالبحث الاول

من سلسلة مباحثه المستفيضة في الامواج الخفية ، فكانت أساساً متيناً ، شيد عليه من قفا أثره من العلماء ، صروح مباحثهم ، اذ قام بتجاربه الابتدائية في احوال شتى وفي أشخاص مختلفي الامزجة من العصبيين وعديمي المبالاة ، وفي غيرهم من الضعفاء والاشداء والنائمين والمنومين ، فكان يدخل غرف العمليات الجراحية فيقوم بتسليط قطبين كهربائيين على المخ مباشرة . وذلك من ثقب ينقبها في الجمجمة . وقد فحص بهذه الوسيلة طوائف من الطلاب الاذكاء والتلاميذ البليه ، فشاهد في احدى تجاربه تموجات في التيار ، حينما فقد الشخص (الذي كان يمتحنه) وعيه بجرمانه من الهواء

وفي الولايات المتحدة الاميركية عشرات من العلماء في معاهد مختلفة مكبون على هذا البحث الساحر . وقد شاهد المستر إدوين تيل الكاتب الاميركي منشئ هذا المقال ، تجربة من التجارب التي جربها الدكتور ماكس في جامعة نيويورك من عهد قريب ، فوصفها قائلاً : — شهدت احدى تجاربه ، عن كثب ، في مختبره العلمي الخاص بالامواج الكهربائية الخفية ، فرأيت معاونيه مكين على اشغالهم في مراقبة البطاريات الكهربائية ، يستخون الاقطاب الكهربائية ، ويعدون آلات التصوير التي تسجل تلك التقلبات الخفية المدهشة ، وكانوا يستغرقون احياناً ساعتين في تسخين وتركيب الآلات الدقيقة وما يصحبها من الادوات اللازمة للتجارب

واذ ذاك كان يؤتى بالمرء المزمع امتحانه فيرقد على سرير خاص . ثم يدلك أحد ساعديه بالصابون والماء دلوكاً جيداً ، ويغسل بالكحول ثم يدلك بالايثير ليزول منه جميع الزيوت الجلدية ، وبعدئذ يؤتى بشقق من القماش وتشعب بمحلول ملحي ويلف بها الساعد لتضغط القطبين الكهربائيين على الجلد عند المعصم وعلى الساعد ، ويلبس الشخص عمامة بيضاء (مثل الطاقيّة) محتوية على القطبين الكهربائيين الفضيّين الخاصين بالرأس ، فتضغطها الطاقيّة على فروة الرأس . ويجرب الآن الدكتور ماكس سلسلة تجارب مدهشة في الصم البكم ، اذ تبين له انهم « يعقلون بايديهم » أي ان التأثير الكهربائي الذي يتولد في الدماغ ، يساويه تأثير مثله ، يتولد في اليدين ، وان لم تأتيا بأية حركة من الحركات . وهذا لا يصدق على الاشخاص المستعين بنعمة النطق ، اذ يحل محلها تأثير كهربائي مساو له في الدماغ واللسان . وهذا أساس موضوع خطير وهو « هل ندرك بأدمغتنا فقط أو بأجسامنا كلها ؟ » وهي المعضلة التي آلى الدكتور ماكس على نفسه حلها ، فأسفرت مباحثه وسجلاته الكهربائية عن كوتنا ندرك بأجسامنا بأسرها !!

ففي إحدى تجاربه الاولى ، تبين له ان نبضات كهربائية عجيبة ، متعاقبة تسري في الآلات التي كان يستعملها وقتئذ . فخار لبه في تعليلها ، فشبك سماعة مزدوجة بالدائرة الكهربائية ، فظهر له انه كان يلتقط أمواجاً قصيرة مذاعة !! وتعليل ذلك ان جسم الشخص

الذي كان موضوعاً وضعاً أفقيّاً ، كان يقوم مقام موصل جوي antenna لاسلكي . ولكن الاشخاص الذين تجرب فيهم التجارب ، نحاط أجسامهم باطار مثل النعش ، مغطى بستار من النحاس الاحمر ، يُلقى عليهم وهم في السرير . ثم قام اثنان من معاونيه بتدلية ذلك الاطار الى مقمره . وسرعان ما أطفئت الانوار الكهربائية حتى أخذ الدكتور ما كس يلقط النبضات الكهربائية الطفيفة بالقطين الكهربائيين ، فتسري في اسلاك معزولة الى مقويات مودعة في صندوق في زاوية غرفة الآلات حيث تقوم صفوف من الانابيب المفرغة من الهواء ، بتقوية هاتيك النبضات الكهربائية الضئيلة الصادرة من دماغ المرء (موضوع التجربة) وساعده فتدير الجهاز المقيد لها بطريقة كلها ابداع

ذلك ان النبضات تسري الى اوسيلوغرافين من طراز اينثوفن أي جلفانومتري حساسين جداً مجهزين بأسلاك دقيقة جداً من البلور الصخري مصفحة بالذهب ، لا تزيد ثخانتها على جزء من الف من العقدة . وتلك الاسلاك معلقة في مجالات مغناطيسية تتولد من مغنطيسين كهربائيين ضخمين ، على شكل حذاء الفرس . وتسري النبضات الكهربائية المقواة ، الصادرة من ساعد الشخص ودماغه ، في الاسلاك البلورية الخيطية الشكل ، فتَهزها هزاً يطابق قوة التيار ومتى اهتزت تلك الخيوط تجاه مصابيح العرض القوية الضوء تقع ظلالها على فيلم المصورة Camera فتسجل ذبذبة التيارات الكهربائية المختلفة على الفلم متى شاء المجرّب . تموج هذه الخطوط القائمة نحو عشرين دقيقة ، تموجات غير منتظمة ، ثم يستقر خط الدماغ في حركة منتظمة ثابتة مما يدل على ان صاحبه قد نام . وقت النوم مفضل في التجارب ، اذ تستقر فيه احوال الدماغ والجسم برمته كل الاستقرار . وقد تمكن الدكتور ما كس ، اكثر من عشرين مرة ، من تدوين الاحلام على الشرط الفوتوغرافية . وسئل الشخص الذي صورت احلامه . فقال انه كان يحلم في المرة الاولى بأنه تجول في جزيرة كوني (احد شواطئ مدينة نيويورك) وفي المرة الثانية كان الحالم يشترك في ملاكمة . فأضحت تلك الصورة المؤلفة من خطوط متموجة ، الاولى من نوعها للاحلام في العالم اجمع . فأثارت البحث في معضلة طال زمن المناقشة فيها في علم النفس وطالما تساءل العلماء بشأنها وهي : كم من الزمن يستغرق الحلم ؟

قال الكاتب الاميركي : — وقد راقتني ذلك البحث خاصة لاني كنت اختبرته بنفسي منذ بضع سنين اذ حلمت اني كنت اصارع لصاً في مطبخ مظلم . فسقط من المطبخ في اثناء الصراع إناء من اواني الطبخ ، كان معلقاً في خطاف فاستيقظت عندئذ وصوت الاناء الساقط على الارض يتردد في اذني . وأخبرني فيما بعد صديق لي من علماء النفس في جامعة هارفرد ان الصراع كله قد تم في هنيهة اي في اللحظة نفسها التي استيقظت فيها على صوت الاناء الذي

سقط فجأة من الخطاف ثم اجتمع علماء النفس على ان الحلم يتم في ثمانية او ثانتين من الزمن . وتدل سجلات الدكتور ماكس الخاصة بالتأثيرات الكهربائية التي تحدث في الدماغ « على ان الحلم قد يستغرق دقيقتين او دقيقتين ونصف دقيقة أو أكثر »

ورب سائل يسأل : — وكيف يستدل العلماء على ان النبضات التي يحصلون عليها صادرة من الدماغ حقيقة ؟ فيقول الدكتور ماكس إن لذلك الاستدلال عدة أسباب ، اذ أن شكل النبضات وحركاتها النظامية ، التي تصدر من العضلات والدماغ ، يختلف بعضها عن بعض اختلافاً شديداً . وعدا ذلك فان برجر البحاثة الالماني وضع قطبيه الكهربائيين على الدماغ مباشرة في غرفة العمليات الجراحية ، فحصل على تيارات أقوى مما حصل عليه عند وضعهما على خارج الجمجمة فلو كان التيار منعماً من أي مكان غير الدماغ نفسه ، لاختلفت حاله عن ذلك

وتكشف لبرجر في خلال مباحثه ايضاً ، ان الامواج الدماغية تنحصر في طائفتين عموميتين وهما حركات الفا النظامية ، وكل منها تتموج نحو عشر مرات في الثانية . وحركات بيتا النظامية ، وهذه تتموج عشرين مرة او اكثر في الثانية . وكل نوع من تلك النبضات الكهربائية يبقى على حاله تقريباً في أي شخص يوماً فيوماً . ولذلك يرجو هذا العالم الالماني انه يكتشف الموجة السويّة التي يسترشد بها او بالانحراف عنها الى تمثيل أمراض الدماغ تمثيلاً كهربائياً أسوة بالاطباء المخصصين لأمراض القلب اذ يمثلونها بواسطة الالكترودوكارديوجراف ، كما تقدم القول وعلى تلك الوتيرة اتضح للباحثين في جامعة هارفرد ان داء الصرع يمكن اكتشافه بالامواج الخفية الشاذة التي تصدر من المصاب به . وأن نوبة الصرع عواصف عصبية يتولد منها تراكم شحنات كهربائية عظيمة ، ففي اثناء النوبة يزداد تدفق الكهرباء من المخ ٣٠٠٠ في المائة ، عليها حينها يكون الدماغ مستريحاً وفي حالة طبيعية . واذا أصيب امرؤ بالاعماء ، قل عدد الموجات الخفية فيتراوح بين ثلاث او خمس في الثانية

وبان للدكتور ماكس في مختبره العالمي ، انه كلما اشتغل الدماغ بحل المسائل الحسابية العويصة اشتدت الكهرباء الصادرة من سواعد تلاميذه الصم البكم . وقد شاهد ان حل المسائل الرياضية الصعبة يحدث تياراً جسيماً اشد منه عند حل مسألة سهلة . وان استظهار جملة من الجمل المطلوب حفظها غيباً يقتضي اتفاق قدر من الكهرباء اكبر منه عند قراءتها فقط

وظهر من التجارب التي جربت حتى الآن ، انه كلما اشتد ذكاء امرئ ، قل تولد التيار البدني في جسمه عند ادراك اي موضوع . وانه عند اقشعرار جسمه ، تشتد فيه وحدة القوة الكهربائية المحركة ، عنها في إبان دفعه جيداً

ومن دأب الدكتور ماكس في غضون تجاربه ان يفتح نافذة مصوره في المسائل الجلية

حيث ترى ظلال الاسلاك البلورية النابضة تترك خطوطها المتعرجة الثابتة على الفيلم الحساس وهو يرجو ان يجد حلاً لمعضلة اخرى من معضلات علم النفس وهي درجة استغراق المرء في النوم من دراسة تلك الخطوط . ويتوقع أنه يصل الى مقاييس كهربائية مضبوطة يقيس بها درجات النوم وفي الولايات المتحدة الاميركية ستة مختبرات علمية ، على ذلك المثال . ففي مختبرات لوميس في تكسيدو بارك في نيويورك تشاهد اتقن الاجهزة العلمية لدراسة هاتيك التيارات الغامضة . وقدرت فيها — بدلاً من المصورات المسجلة ، وما يتبعها من الاسلاك البلورية المتذبذبة — اسطوانة افقية ، طولها ثمانية أقدام وقطرها ٤٤ عقدة وتستطيع استيعاب سجل مستمر يستغرق ثمانى ساعات

ولذلك يوضع في غرفة نوم الشخص المزعم امتحانه ، ميكروفون حساس ليلتقط كل صوت يصدر منه ، ويصحب الميكروفون بصاصة كهربائية اي بطارية كهربائية حساسة بالضوء تقيد كل حركة من حركاته وهو على فراشه فيقوى التيار الصادر من القطبين الكهربائيين المثبتين على فروة رأس النائم فيحرك آلات سريعة مسجلة مزدوجة . وهي بمثابة أقلام جوفاء يتدفق عليها المداد باستمرار فترسم خطوطاً متموجة ، كل منها على بعد خمس عقدة مما يليه وذلك على ورقة مثبتة على الاسطوانة الدوارة فترسم خطاً بالمداد الاحمر وآخر بالمداد الاخضر ، فيدل الخط الاحمر على كل خفقة من خفقات القلب ، وعلى كل حركة من حركات التنفس وحركات الشخص النائم على السرير ، على حين يسجل الخط الاخضر ذبذبات التيار الكهربائي المنبعث من الدماغ . ويمر القلمان على الاسطوانة بمعدل قدم واحدة في كل ساعة

وتركب هذا الجهاز يمكن المجرّبين من ارسال منه ما الى النائم في فترات معينة ثم مراقبة تأثير ذلك المنبه في التيارات الصادرة من الدماغ كما تدوّن في سجلّ الخط الاخضر

والدكتور لوميس على يقين بأنه قد أتيج له بدراسة تلك الرسوم العلمية اكتشاف ستة اشكال من الموجات الحية . يمتاز كل منها اما بخطوط متعرجة جداً ، مسماية الشكل ، واما بخطوط كروية . ويرى ايضاً أنه في خلال بعض ساعات الليل ، يحدث في الدماغ انفجارات مجهولة ذات تأثير كهربائي ، اذ تظهر متعاقبة هنيئة تتراوح بين خمس ثوانٍ واثنتي عشرة ثانية . ومن المشاهدات الغريبة التي شوهدت ان الشخير الدائم ، لا تأثير له في التيار الكهربائي المنبعث من المخ . ولكن الشخير البعيد الذي يزج النائم ، قد يحدث في دماغه ، نبضات متعاقبة تزيد رويداً رويداً وان كثيراً من الاصوات كصرير الابواب البعيدة ، عند اغلاقها تحدث تأثيراً كهربائياً متزايداً في خلايا المخ حينها يكون المرء نائماً ولكنها لا تفعل ذلك في اليقظة . اذن يقوم الباحثون بتلمس منهاج جديد في هذا العلم الحديث . وقد اسفرت مباحثهم الاخذة حتي الآن عن كونها اساساً لما ينتظر من المعلومات الجليلية في هذا الميدان العلمي المتراخي الاطراف

هتلر وفيشته

ما بينهما من شبه واختلاف

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

ان المآرب السياسية والاقتصادية التي نادى بها الفيلسوف فيشته (Fichte) سنة ١٧٩٥ ، تشبه من حيث نزعتها الى « الاشتراكية الوطنية » مبادئ هتلر التي جاء بها فيما بعد الحرب العالمية على ان « اشتراكية » هتلر مركزة في تلك العبارة البارزة من برنامج ، التي تنص على « اننا نطالب بجعل كل المؤسسات التي في حوزة الشركات ملكاً للدولة » ، بينما نجد « اشتراكية » فيشته قائمة على وجوب استيلاء الدولة على أهم مؤسسات الانتاج ووسائله ويقول هتلر : « اننا نطالب باصلاح الاراضي ووجوب وضع قانون لالغاء ملكية الارض ، وما ذلك الا لاستغلالها استغلالاً جماعياً يتفق وحاجتنا الوطنية » . وقال فيشته مثل ذلك ولكن في غير ايهام ، اذ دعا الى وجوب تقسيم الاراضي تقسيماً عادلاً وكلاهما يظهر « اشتراكية » غير التي وصل اليها كارل ماركس (K. Marx) القائل بتحريم الملكية . فهما يخولان لكل فرد ان يمتلك من الارض قدرأ لا يزيد عما في وسعه ان يفلحه . واشتراكية هتلر الوطنية تأبى على الرأسمالين استبقاء ملكية ما استحوذوا عليه عن طريق اللصوصية (يشير الى المضاربات في أعمال البورصة) ، رغبة منه في وضع حد لتكدس الثروة في أيدي اقلية صغيرة . وأدق من هذا رأي فيشته القائل بحق كل فرد في الملكية على شريطة أن يكون هذا الحق مكفولاً لكل مواطن

كذلك نرى فكرة « وجوب اتاحة عمل لكل فرد ، وحق حصوله على عمل » ، ماثلة عند كل منهما . وكذلك يتفق كلاهما في اعتبار الانانية مصدر الجباث ، ويجب القضاء عليها . ولكن الانانية عند هتلر تتمثل في « اليهودية » القائمة على انواع المضاربة المالية والتجارية . بينما نراها عند فيشته ممثلة في مختلف انواع « شهوة الانتفاع الذاتي »

كذلك يتفق برنامج كل من هتلر وفيشته في تقدير النفع العام ، وأنه مفضل على النفع الذاتي . غير ان النفع العام عند هتلر هو ما يعود على الدولة ، بينما هو عند فيشته النفع الذي يعود على الشعب ولعلّ اجلى تشابه بين الاثنين يتجسم في مقترحاتهما الاقتصادية الخاصة « بسياسة النقد » . ففيشته يقول بوجود تعميم عملة من مادة لا قيمة لها ، بينما يقول هتلر بتداول عملة قيمتها الفعلية منقطة ، على ان الرأي الغالب اليوم في الدولة الالمانية هو رأي معارضة الدكتور شاخت مدير بنك الدولة — وبمثل هذه العملة التي لا رصيد لها تبقى المانيا غير خاضعة للعالم الاقتصادي ومؤثرات السوق العالمية . ويقول الهر فيدر (Feder) مستشار هتلر في الامور الاقتصادية « انه تحاشى في فكرة العملة هذه التي اقترحها كل خطر ، اذ توقع ان لا بد للدول الاخرى من مجازاة المانيا في هذا العمل . وبهذا يتم التقارب بينها وبينهم على اساس وطني جديد ، غير ذلك الاساس الذي اوجدته البورجوازية » . أما فيشته فلم ير حاجة الى إخفاء غرضه وصارح بوجود انفصال المانيا انفصالاً اقتصادياً تاماً عن بقية الدول ، كما تصبح « دولة تجارية قائمة بذاتها »

وما تقدم يتبين مبلغ التشابه في تفكير كل من هتلر وفيشته . غير ان « اشتراكية » هتلر ليست الا مجرد « تمويه » ، الغرض منه استدراج الفلاحين السذج لقبول مبادئ هتلر ، الذي يتعاون سرّاً مع « الرأسماليين » الذين نعتهم من قبل بالصصوص . ولم يبق هذا الامر بخاف على احد من حزبه . اما « اشتراكية » فيشته فلها اساس دعمت بنتائج الاحوال التي احاطت بشخصيته منذ نشأته . فقد انحدر من عائلة اشتغل افرادها بالحياكة . وبدأ بالعمل لكسب قوته وهو لم يتجاوز بعد سن الطفل فاشتغل برعي الأوز ، ثم أصبح فيما بعد مدرساً متنقلاً بين المنازل . وأتاحته حياته هذه ان يفهم « الاشتراكية » تفهماً عملياً فأصبحت في دمه ، ولم تكن هنالك قوة تستطيع ان تمحو أثر تجاربه من ذهنه . ثم هو الى جانب ذلك قد امتدح الثورة الفرنسية وناصر أحرار المانيا العداء . بينما هتلر لا زال على نزله اليهم رغم سقوطهم عن عروشهم

ولقد كان فيشته ميالاً كل الميل الى « الديمقراطية » ، بينما هتلر ينفذها كل البفض ، وينعها « بالانسانية الوضيعة » . وفيما كان فيشته يحس ويؤمن « بمبدأ حق التساوي » ، لا يتحرج هتلر عن ان يهزأ بهذا المبدأ . ومن هذا كله يتضح لنا ان « اشتراكية » فيشته كانت عنده بمثابة العقيدة وليست مجرد أوضاع اقتضاها التمييق في البرنامج لأغراض معينة

ولا يقل التفاوت بين « وطنية » فيشته « ووطنية » هتلر عما لمسناه من تفاوت بين اشتراكية كل من الرجلين ، مع الاعتراف بوجود تشابه ظاهري في تفكيرهما السياسي ، وتشابه أشد منه في التفكير الاقتصادي . فكل من فيشته وهتلر يسعى الى الحرب مدفوعاً في ذلك بعوامل متشابهة هي هزيمة سابقة في ميدان الحرب ، وصالح شائن ، وضغط عدو يزيد على المانيا في العدد

والعدة . وكان فيشته قد انتظم وهو في الخمسين من عمره في « فرقة الهجوم » ، وما لبث ان ظهر والسيوف في يده داعياً في بيان له الى التسليح . وتتجلى خلاصة عقيدته في ذلك البيان وقد يتشابه مظهر الاشياء عند الاثنين ، ولكن قل ان تتفق أصولها عندهما . فدوافع الحرب عند الأول غيرها عند الثاني . فكان فيشته مثلاً يكره نابليون ، ولكنه لا يكره « المتصر » . وكان يكره أعداء وطنه ، ولكنه لا يكره « الناس » . اما الديكتاتور هتلر فانه يجعل شخص الديكتاتور الايطالي ، ولكنه لا يأبه للشعب الايطالي . وقد ذكر ذلك في كثير من خطبه

وكان فيشته يعتبر نابليون ليس فقط عدواً لألمانيا ، بل هو عدو العالم اجمع ، وفرنسا في المقدمة . لان نابليون ، في عرْفه ، لا يهم بشيء سوى شخصه ومستقبله الذاتي . فالإنسانية كافة ، هي عند نابليون ، كما يصفها فيشته ، مجاميع من الناس لا ارادة لهم ، له حق التصرف فيهم كيف يشاء . وكانت ارادته هي القانون ، وكان لا يأبه للحق ، ولكنه دائم التفكير في القوة . وكان يريد لها لنفسه لا لغيره ، ويريدها الى ما شاء الله . وهكذا هزأ نابليون بفرنسا وبالشعب الذي هباً الثورة وقام بها . وقد استعان نابليون بهذه القوة في الحرب من أجل الحرية فبلغ من المجد أعظمه ، ولكنه نخبط في السير ، اذ لم يتعود الحرية بعد ، فضل الطريق وسدّه بالاشلاء . وعلى الرغم من ان الحرية كانت تنقص الزعيم نابليون فقد عمد متعمداً الى تجاهلها ، عوضاً عن ان يعيد اقامتها مرة أخرى . كذلك عمل على ان يجعل من مواطنيه مدهنين أذلاء ، فأساء بهم التصرف ليسأسد . وكذلك حال دون بزوغ يوم الحكم الصحيح بعد ان انبثق على باريس فجره . ذلك اليوم الذي كان قد رلان يسود فيه المنطق فينتصر الحق وتتغلب كرامة الفرد وتنصر قوة الضمير الانساني الحي ، وهو يوم تمام نضوج ثمار الثورة . ولكنه فرض على الناس ان تصحى بكل شيء الا « بمقترحات نابليون التابعة في تقلباته لنزواته » اما انه يضحى هو بمقترحاته هذه فأمر لا يليق « بنبله » المكذوب ، « فضحى بحرية الجنس البشري ، ونحن منهم ، واضطررنا مثلي وكل من على شاكاتي في تفهم العالم الى ان يعقب فرحاً حينما يقدم نفسه قرباناً للنار المقدسة » — هذا هو قول فيشته

ومن ذلك كله يتضح لنا الآن مقدار الهوة العميقة والتباعد الشاسع بين اشتراكية فيشته الوطنية وبين الفاشيزم الالماني او الاشتراكية الوطنية التي دعا اليها هتلر وليس من شأن ذلك التباعد ان يحجب عنا احساس فيشته الوطني الحاد ، ولا دعوته الى الحرب . ولكن فيشته يعني الكفاح الفكري والحققي أكثر مما يعني الحرب المادية لمجرد الأخذ بالثأر او التحرر الشكلي . ثم هو يعني ذلك الانتصار الأعلى : انتصار الحرية على القوة . وهو يعتقد ان هذه هي رسالة الالمان من دون الذين انتصر عليهم نابليون . ولكن كيف يعلل ذلك ؟

يقول فيشتہ : « أَلَمْ تعمل فرنسا وتجهد لبلوغ هذا الغرض الاسمي بأقصى ما استطاعت من قوة ؟ » لا شك انها فعلت ذلك . ولكن ، كما يقول فيشتہ « دون ان تصل الى بغيتها ، لان الدأب كان ينقصها . وهكذا قضى على تلك المحاولة ، لان العصر لم يكن قد تهيأ بعد للحرية » ، « فرجل الفكر الحر لا بد ان يكون في صميمه متحرراً ، والدولة الكاملة لا تكون الا باناس كمئل » والآن ما هو مركز المانيا ؟ ان فيشتہ يشير الى « كانت » (Kant) ، والى ماله من « فلسفة جديدة » تهيء وتنشئ انساناً احراراً حقاً . ولم تكن فلسفة « كانت » الجديدة هذه نتاج الصدفة ، بل انها نمت وترعرعت على مدى الايام ، منبعثة من طبيعة الالمان وخلقهم . ومن ثم ادرك بالعقل ما كان مستقرّاً في العقل الباطن مئات السنين . ويشير فيشتہ الى دفاع الشعب الشروسكي من اجل حريته (Freiheitskampf der Cherusker) . فيتساءل : لم يحارب الرومان ؟ ولم دافع عن نفسه ؟ لقد قدمت اليه روما كل اسباب الرقي ، ولكن بقاءه المانياً كان عنده مفضلاً ومرجحاً فوق كل شيء . وهكذا احتفظ بطبيعته سليمة

ويرى فيشتہ ان هذه الظاهرة قد استبانت جلية في عهد الاصلاح ، وعلى الاخص في شخص « لوثر » . ولقد كان لوثر في كفاحه وعقيدته وفي تشبثاته وجميع احساساته المانياً صميماً . ثم استبان لغيره ما تجلّى للوثر من تهاون بعض القساوسة وتضليل النفوس البشرية فتألبوا على الهزؤ بهم ، وكتبوا كثيراً في هجائهم . ولكن عزيمة لوثر كانت تنقصهم . وما كانوا ليدركوا سهولة تناول مسائل معينة من الناحية السياسية اذا ما تعمست معالجتها من الناحية الدينية . وكان لهم بعد التحقق من ذلك فصل الخطاب . وهذا التحايل كما يقول فيشتہ هو من طبيعة الالمان . وكان لنجاحهم هذا صدًى في البلاد لا يستهان به

وقد يصح القول بانه ليس من السهل إلهاب عواطف الالمان . ولكن هذه الحالة ترينا انه اذا ما مسّ فرد مصالحهم ، فسرعان ما تتأجج النار في نفوسهم وان كان هذا كذلك ، فهل الالمان هم « شعب الله المختار » ؟

يقول فيشتہ في ذلك ان لكل شعب رسالته ، ورسالة الشعب الالمانى تعني العالم اجمع ، اذ هي تتأخص في تحمل مسؤولية تطور البشرية

ولهذا كان واجب المانيا المحافظة على جميع البلدان كما تحافظ على كيائها سواء بسواء ، وكان فرضاً عليها « ان تحمي فرنسا من نابليون . » -- وهذا تفاوت آخر بين « وطنية » كل من فيشتہ وهتلر . فوطنية هتلر محلية ضيقة محدودة ، ووطنية فيشتہ عالمية غير محدودة

ولقد جعل فيشتہ وظيفة الامّة الكفاح من اجل الحرية وتقوم البشرية ، وبهذا اشعر الناس بادماج مآربه الوطنية في المآرب الاجتماعية ، فكانت « اشتراكيته الوطنية » المنمازة .

ويمتاز فيشته ايضاً بفكرته العالمية التي تجعل الهوة بينه وبين هتلر عميقة غاية في العمق ولنا ان نسأل الآن ما هي فكرة فيشته العالمية؟ وماذا يقصد في برنامج من الحرية وتقويم البشرية؟ وماذا تمتاز دعوته هذه؟ وكيف انبثقت الفكرة عنده ونمت؟

لقد وجد فيشته ان عصره كان مادياً بحتاً، وان حب الذات هو السائد في كل الامور. فاحتقر تعاليم عصره في اسعاد النفس البشرية. ولكنه لم يعرف لهذه الحالة علاجاً. ولم يوفق الى رأي يدحض به آراءهم، ولا وسيلة يقضي بها على تعاليمهم. واهتاجت عواطفه وتعطل تفكيره. والادهى من ذلك انه عاون اعداء فكره، اذ قال بان الانسان لا يسيء المعاملة، وليس الذنب بواقع عليه اذا اساء، اذ البيئة المحيطة به هي التي تسوقه الى ذلك. فهو تابع للعالم، «وهو اشبه ما يكون بكرة للعب في يد الحياة». واحس فيشته ان رأيه هذا ضعيف، ولكنه على كل حال رأي لا سبيل الى معارضته. وكل اعتراض عليه لم يكن سوى رغبة غير مسببة. ولقد كان فيشته آخر من يخطط بين الرغبات والحقائق، فلم يكن ليفعل يوماً عن الحقائق الثابتة، بل كان الامر الواقع عنده في المقام الاول. وهكذا عاش تحت ضغط كابوس لا أمل بالتزحزح عنه. وما لبث ان عكف على فلسفة «كانت» فوجد فيها اثباتاً علمياً قوياً المنطق، بعيداً عن العاطفة، يؤيد حرية الناس. ولم يكن فيشته ذلك المدرس المشرد، الغارق في آلامه، البائس المحتاج، القابع في خزي على أشياء تشعره العبودية، — لا، لم يكن هذا فيشته بكامل ما في اعماق نفسه، اذ ان وحي الخير في صميم نفسه كان يتفجر قوياً ليقينه منذراً وبشيراً. وكان هذا الوحي جاءه من العالم العلوي الذي تربطنا به صلات خفية مجهولة

هنا تنفس فيشته الصعداء، ومال عنه الكابوس اذ أدرك ان الانسان ليس بخاضع للاحوال والاشياء المحيطة به، وان القدر لا قدرة له على تحطيم النفس البشرية مهما قسى وغلظ، وان الارادة لا يمكن ان تذروها «الجبرية» مع الرياح. وما ذلك الا لان تلك الرغبة الطائشة ليست بصادرة عن ذاتنا الحقيقية. فقد تعمل الاحوال والاشياء المحيطة بنا على ارغامنا ولكنها لا ترغم من كانت له نفس حرة أبية خالصة من الانانية. ولا بد لهذه النفس الالية من ان تتعذب في الحياة. ولكن عند ما تصبح قوة قائمة بذاتها يمكنها ان تكيف المصير كما تشاء وتهوى، — وهي في عملها هذا لا تقوم الا بمسيرة التطور الحقيقي لسعادة البشرية. وهذه النفس الالية تعيش في ذاتها لذاتها، اي انها تعيش للحرية مستقلة عما حولها. وهي في خدمتها للغير انما تخدم ذاتها وتحمي نفسها وتتوسع في حريتها

ومن ثم شعر فيشته بأنه يحيا في عالم جديد. ولا شك انه مدين في ذلك لـ «كانت» الذي انتزع منه تعاليم الانانية، فلما تبينت له حقيقة النفس البشرية، تأكد من وجود صدى

يتجاوب في اعماق نفس كل انسان، ويجمع بين الاحساس وصوت الارادة . « والنفس الصادقة في حريتها . لا تأبه لغير ما ينبعث عنها من أوامر ، ولكنها تقر وتعترف بالاوامر المنبثقة اليها من صميمها » . ولقد كان « كانت » اول من احيا في نفوس الالمان الايمان الصحيح والتوجه الى الآله دون غيره ، كما اثار فيهم النزعة الى الصوفية ، وجاء لوثر فخرهم من هذه النزعة ، الا أنه اعادهم اليها ثانية في صورة اخرى . وهكذا تدرجوا من الانقياد الى التنافس في القيام بالواجب ، ومن مجرد قراءة ما في الكتاب المقدس الى وعيه في الصدور ، ومن الاعراض عن الراي الصائب الى الاقبال عليه وجعله قانوناً

« ولكن اي فائدة من ذلك اذا كان وعي هذا كله قاصراً على فئة قليلة ؟ » — كما يقول فيشته في حين ان الاولى بالشعب كله او بغالبيته العظمى ان تعي هذه العقيدة ، بل تعيها وحياً بمقتضاها وانتهى فيشته الى الراي بأن مهمته هي اتمام ما قام به (كانت) ، والعمل على تحقيقه . ولقد أدى عمله هذا بعزيمة اولي الحزم غير مقيد بحزب او متأثر بمذبح ، مجرداً نفسه لخدمة الحقيقة المنبثقة من الحياة في اشكالها التي وقف عليها . ويؤكد فيشته ان طريقته ليست الا طريقة (كانت) نفسها ، وان اختلفت من حيث العرض . والواقع ان (تعاليم الحرية) كما ذكرها (كانت) هي عند فيشته اجل اعماله ، وهي لب مؤلفاته وروحها . وقد حل فيشته لواءها مغتبطاً ولكن كيف كان الراي عند « كانت » ؟

ان الانسان عند ما يرى حقيقة نفسه يبدأ بالارتحال عن نفسيته الوضيعة التي لا تعرف الا الشهوات . ومن ثم يدرك ان عليه واجبات نحو نفسه : اي انه حينما تتكشف له طبيعته العالمية يؤدي طوعاً ما عليه من واجبات . والواقع انه حينما تبدو لنا طبيعتنا غير كاملة نعمل حملاً على استكمالها ، لاننا مطالبون بذلك ، بل ومجبرون عليه ، مادمننا نستمع لصوت ضميرنا الدائم الترداد ويقول فيشته : (ليس عندي ما له ثبوت الابدية سوى شيئين : صوت ضميري ، واتباع وحي نفسي . بأولهما يخضع لي عالم الفكر وانطوي عليه كجزء مني . وبالثاني اسمو في هذا العالم بروحي فأشرف على اسعاده)

وهذا وحده كاف لرؤية عظم الهوة التي تفصل ما بين فيشته وهتلر . وهذه الهوة هي الفارق بين الوطنية الاشتراكية كما وضعها فيشته ، وتتلخص في التوجه بالتطور البشري نحو الكمال ، وبين وطنية هتلر الاشتراكية التي تهزأ من ذلك . ففيشته يرى عدوه قابلاً في صميم نفسه ، فيريد لنفسه الكمال لا السكوت على التدنس . بينما يرى هتلر عدوه كما يراه الرجل الساذج ، غريباً عنه ، فيراه في الروسي والفرنسي واليهودي وأقصى ما يطمح اليه فيشته في ميدان السياسة هو توطيد نظام الجمهورية . فهو كما يقول ،

« أكل نظام تتحقق فيه الحريات بأوسع معانيها »، أما هتلر فغاياته السياسية هي الديكتاتورية — أي الرجعية في أسوأ ميادينها وأقصى حدودها . وهما في ذلك على طرفي نقيض ولا شك أن الانسان ليخطئ الخطأ كله إذا ما قابل بين كلمات صدرت من هتلر ولها أصل عند فيشته ليثبت التشابه بينهما . فبرنامج فيشته تغلب فيه النزعة العالمية . وبرنامج هتلر تغلب فيه النزعة المحلية . ولا تتفق المقاصد الاجتماعية والاقتصادية التي دعا إليها فيشته مع تلك التي لهتلر ، لأن الأخير لا ينظر الى هذه المقاصد نظرة جدية . أما ما قيل عن الدولة التجارية المنعزلة ، فأمرها لا يحتمل وجهاً للموازنة ، لأن مثل هذا الرأي كان لعهد فيشته ممكن الوقوع ، أما اليوم فألمانيا ليست عضواً في أوروبا الاقتصادية فحسب ، بل هي كذلك عضو في العالم الاقتصادي . ولهذا كانت فكرة الدولة التجارية المنعزلة لا معنى لها في عصرنا هذا

وكان فيشته يريد ولا شك الحرب ، وكذا يريد هتلر . ولكن تباعد الزمن بينهما جعل المواجهة في حكم المستحيل . ومع ذلك فما كانت لتخبو آمال فيشته يوماً في السلام . وكانت الحرب إذ ذاك مكافئة ومنازلة ، وليست افناء للجيوش والشعوب كما هي الحال اليوم . وكانت الشجاعة والقوة والاصطبار ، وهي اسمى الصفات ، عوامل الانتصار . أما اليوم فوسائل الانتصار هي التفوق في نوع العلوم الرياضية والكبالية التي تسخر لقتل أكبر عدد من الناس . ولهذا كان الانتصار اليوم رهين من يكون أشد وحشية من غيره حتى النهاية غير أن الخراب المحقق هو نهاية الحروب اليوم ويقول فيشته : « يجب أن لا تنتصروا على أعدائكم بأسلحة قتالة ، بل يجب أن تغلبوا عليهم بأفكاركم » وكان فيشته صريحاً في تطبيق هذا المذهب ، إذ رأى أن التربية الصحيحة اسمى من الكفاح بالحديد والنار . ولهتلر كذلك حديث عن التربية ، ولكن ما أشد الفارق بين الاثنين . فترية الخلق عند هتلر تقع في المنزلة الثانية . يؤيد ذلك بيان الذي جاء فيه (أن الحياة الخاصة لا تباعى امر لا يعني) . أما أبطال الضرب بالعصي الحديدية والطعن بالمدى ، فأهل لأن يحقق بهم كربة الشعب الألماني . ويكفي أن يقول فيشته (بوجوب خلق الناس خلقاً جديداً قبل أن يتولوا العمل السياسي) لنرى فيه نقيضاً لهتلر

وليس أصلح لحتام هذا البحث من كلمة قالها الأديب العالمي توماس مان (Thomas Mann) في ندائه (إلى أولي الألباب !) أكد فيه (عدم إمكان الجمع بين نبل الفكر والدعوة الاشتراكية الوطنية الهتلرية التي إذا ما أزيل عنها الستار فظهرت عارية ، انكشفت عن انطلاقة الهمجية من عقالها)

مراجع البحث: —

- I.) Friedrich Franz von Unruh :
Fichte und der Nationalsozialismus
- II.) Adolf Hitler : Mein Kampf.
- III.) Prof. Jonas Cohn: Fuerende Denker
- IV.) Prof. Paul Deussen: Geschichte der Philosophie



السمك الراعي عن مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

السماك الرامي

يقتذي بحشرات يقتنصها رمياً

بقذف قطيرات ماء عليها (١)

بلغ علماء اوربا في القرن الثامن عشر ، انباء غامضة عن سمك شرقي عجيب يقتذي بهوام وحشرات يقتنصها رمياً بقطيرات ماء يقذفها عليها من فيه . ولما كانت هذه الانباء غير معززة بأسانيد يرتاح اليها العلماء ، شك في صحتها علماء الحيوان وجمهور الناس الذين سمعوا بها . ولكن في ١٥ مارس من سنة ١٧٦٤ قرأ الدكتور جون البرت شلوسر Schlosser عضو الجمعية الملكية رسالة في تلك الجمعية عرض في خلال قراءتها هيكلًا عظيمًا لسمكة قال في وصفها انه يعتقد ان احداً من الباحثين في التاريخ الطبيعي لم يصفها قبلاً . وقد بسط الدكتور شلوسر في رسالته تلك ، طبائع تلك السمكة ، مستنداً الى مشاهدات المستر هممل Hommel مدير مستشفى في باتافيا بجزيرة جاوى . وقد سماها « السمكة الصيَّادة او السمكة القنَّاصة وهو اسم يشير الى احد طبائعها » . اما وصفها على ما جاء في رسالته فكما يلي ملخصاً : —

تختلف الى شواطئ البحر والانهار طلباً للقوت . فاذا لحت ذبابة على نبات ينمو في ماء ضحضاح تقرب منها حتى تصبح على اربع اقدام او ست ثم تقذف من فيها الذي يشبه الانوب قطرة واحدة من الماء فلا تخطئ في اصابة الذبابة فتقع الى البحر فتلتهمها السمكة . وقد كان ما روي عن هذه السمكة باعماً على استغراب الحاكم فاراد ان يتحقق الامر بالمشاهدة فأمر بوعاء كبير يملأ ماءً وصيدت سمكات من هذا السمك ، ووضعت في الماء فلما لبثت ان استقرت في بيئتها الجديدة ، وبعد ايام جيء بقضيب سمّرت في اعلاه ذبابة ووضع القضيب بحيث يرى السمك الذبابة ويستطيع ان يوجه اليها مقذوفاته ، وكان من بواعث بهجته ان يراقب هذا السمك يقذف الذبابة كل يوم ببراعة فائقة من دون ان يخطئ قصده مرة واحدة . ثم ظهرت مقالة أخرى

(١) ملخص بحث للمستر هوبس مستشار قسم المصايد في حكومة سيلام سابقاً وقد نشره في مجلة التاريخ الطبيعي Natural History التي يصدرها متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك

للدكتور شلوسر في وصف هذا السمك ، وقد وقع في الرسالة والمقالة أخطاء علمية ليس هنا مجال التبسط فيها . وأما همّنا ان نقول انه كان أول من وصفها في الغرب في رسائل مطبوعة والظاهر ان الباحثين لم يضيفوا شيئاً جديداً في خلال القرن التاسع عشر الى ما عرف أو قيل عن هذا السمك ومقدرته على اقتناص الحشرات والهوام برميها بقطيرات من الماء ، ولم يجد أحد ما يؤيد أقوال همل التي نشرت سنة ١٧٦٥ و ١٧٦٧ بل على الضد من ذلك ، كان الاتجاه بين علماء الحيوان الى انكار ما روي عنه . ومما عزّز هذا الرأي الأخير ، ان الدكتور بيتر بليكر ، وهو من أكبر علماء الأسماك ، وكان قد قضى خمساً وثلاثين سنة يدرس أسماك الشرق ، وقطن مدة مدينة باتافيا التي كان همل يقطنها ، أصرّح سنة ١٨٧٥ ان هذا السمك غير جدير بالشهرة التي إصابها ، وان وصفه بالقدره على اقتناص الحشرات رمياً بقذف قطيرات ماء عليها ، سببه خطأ بصري . وأنكر الدكتور فرنسيس داي الذي قضى ربع قرن في دراسة أسماك الهند وبرما قدرة هذا السمك على رمي الحشرات ، مع أنه أسند هذه القدرة خطأ الى نوع آخر من السمك يعيش في مياه جزائر المرجان . فقال في السمك الأول (اسمه العلمي توكسوتيس) : جاء في بعض الكتب ان هذا السمك الواسع الشهرة يصيد الحشرات بقطرات من الماء . وقد قال بليكر انه لم يشاهد هذا العمل وان أشداق هذه الأسماك عاجزة عن القيام به . وقال الاستاذ كنتغلي في كتاب « التاريخ الطبيعي السند » ج ٣ طبعة ١٨٨٥ عند الكلام على سمك التوكسوتيس : — من أنواعه نوع يُظن أنه يستطيع ان يقذف قطيرات من الماء على حشرات جائئة على أغصان متدلية فيسقطها ويلتهمها . ولكن يظهر ان شدة هذا السمك لا تحتوي على الخواص التشريحية التي تمكنه من هذا العمل فيجب التحفظ في قبول هذا القول وعلى كل حال لم نقرأ في الكتابات الحديثة ما يؤيد الرواية القديمة الناشئة على ما يظهر عن سوء فهم الأئمة أن القرن التاسع عشر انقضى ، والشك محوّم حول ما يقال من طبائع هذا السمك العجيب . ولكن في مستهل القرن العشرين عكف عالم روسي من علماء الأسماك يدعى زولوتنسكي Zolotinsky على دراسة هذا السمك فأيدت مشاهداته الحقائق الأساسية التي وردت في الروايات الأولى . فقد راقب هذا العالم نماذج من هذا السمك في حوض من الماء تسهل مراقبتها الدقيقة فيه ، فعزّز ما رآه بعينه ما رواه شلوسر عن همل ، وأضاف إليه حقائق جديدة عن طبائعه وأهم الحقائق التي ذكرها زولوتنسكي وحققها كاتب هذه السطور ، ما يأتي :

١ — هذا السمك يغتذي بحشرات تحوّم فوق الماء او تجثم على غصون متدلية وعندما تقترب السمكة حتى تصير على بعد معيّن من الحشرة تقف من دون حراك ، وتوجه رأسها وعينيها الى فريستها ، ثم ترفع شدقها فوق سطح الماء وتقذف منه قطرة واحدة او قطرات

متعددة على الحشرة التي تكون عادة على بعد يختلف من قدم الى قدم ونصف ولكن قد تكون على بعد ثلاث اقدام ونصف قدم او اكثر. والسلك تصيب قصدها في الغالب فتقع الحشرة وتلتهم ٢ — كثيراً ما تسبح السلك الى الوراء. وهذه الصفة تظهر في الغالب عند ما تحاول السلك

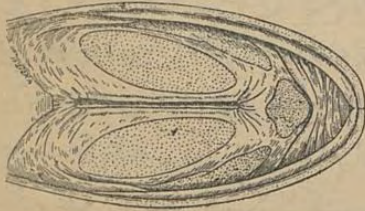
ان تستشرف حشرة ، فترتد عنها حتى تسدد قذيفتها

٣ — تلمع عينا السلك لمعاناً يدل على ذكاء ، وقدرتها على تحريكهما جديرة بالناية . فهي تستطيع ان ترفعهما وان تحركهما الى الجانبين او الى الوراء ولكنها لا تستطيع ان تخفضهما ٤ — قوة ابصارها عجيبة . فهي تستطيع ان ترى الحشرات الصغيرة على مسافة بعيدة وان

تسدد اليها قذيفتها ولما لم تخطئ

٥ — لا تصيد هذه السلك اية حشرة من غير تمييز ، بل يظهر انها تختار الحشرات التي تلذها فتصيدها . ثم انها تقدر المسافة وقوة القذيفة التي تطلقها بدقة عجيبة

وقد عني الدكتور ثيودور غل Gill احد علماء المعهد السنشوني يبحث العالم زولوتنسكي فكتب في سنة ١٩٠٩ ان بعض النتائج التي خلص اليها زولوتنسكي تثير شكوكاً وريباً عند علماء الفسيولوجية والسيكولوجية لانها تناقض بعض القواعد المسلّم بها عن قوة الابصار ومداه في الاسماك علاوة على ذكاء هذه الحيوانات الدنيّة وقدرتها العقلية . واذن فلا بد من التفريق بين الحقائق المشاهدة وتعليل بعض هذه المشاهدات ، والنتائج العامة المبينة عليها . ولكن حيواناً هذه بعض صفاته جدير بالناية



باطن الفك الاعلى وفيه القناة

فلما اتبح لكاتب هذا المقال ان يذهب الى سيام ، كان في مقدمة امانيه ان يتناول هذا السلك بالبحث الدقيق . فاتجه اولاً الى ما يمكنه من فهم الطريقة التي يستطيع بها هذا السلك ان يقذف قطرات الماء على الحشرات ، لان جل الشك الذي ساور العلماء في



اللسان الذي يقفل القناة فتصبح بمثابة انبوب

تصديقهم ما روي عنه ، انما كان مردّه الى عجزهم عن اكتشاف تركيب خاص في شدة السلك يمكنه من هذا . فاكتشف بالمشاهدة والتجربة ان في باطن الفك الاعلى قناة دقيقة يغطيها لسان السلك فتصبح بمثابة انبوب قطره ١/٦ من البوصة فاذا ملئت هذه القناة ماءً وغطيت باللسان وضغط على جانبها انقذف من الشدة قطرة او قطرات متتابعة من الماء او قد ينطلق الماء تياراً واحداً كما ينطلق من فتحة انبوب الماء في الحديقة

الآن هذا التركيب الخاص في فم السمكة لا يجدي نفعاً اذا لم توازره عينان حادتان البصر
 تمكنان السمكة من رؤية الفريسة وتقدير بعدها وهل هي تصلح للغذاء وهل هي جاثمة على غصن
 او على ضفة الماء او محوطة في الهواء . ومن عجائب هذا السمك قوة إبصاره . بل من بواعث
 دهشتي العظيمة سرعة هذا السمك الى رؤية الحشرات ومعرفة ما يجب معرفته عنها
 امام مقدار ما يرتفع رأس السمكة فوق سطح الماء عند ما تقذف الماء من شدقها فيختلف
 باختلاف الاحوال . فاذا كان الماء عكراً وجب ان تكون العينان فوق سطح الماء لتتمكن السمكة
 من رؤية الحشرة وتسديد القذيفة . واذا كان الماء صافياً لم يرتفع من رأس السمكة الا
 مقدمة حيث تنطلق القطرة منه

ولا تكتفي هذه الاسماك بالحشرات التي تصيدها غذاء لها بل تأكل كذلك بعض مافي الماء من يرقات
 الحشرات وغيرها . وقد حدث مرة ان وقعت قرية نمل في الماء فكفت سمك تلك البقعة غذاء
 ثلاثة ايام . وقد لا ترفض ما يرمى لها من قطع من اللحم النيء او المطبوخ او انواع الحيوانات المائية
 وأذكر انني رأيت مرة في بانكوك عظاية صغيرة تمشي على قذرة من الخشب قائمة على حافة الشاطئ
 بضع بوصات فوق سطح الماء . فاذا بقذائف التوكسو تيس تسدد اليها فتسقطها . ولكنني لا ادري
 ما كان مصيرها فاني اشك في استطاعة سمكة التوكسو تيس ان تلتهمها لضيق شدقها . والغالب في
 هذا السمك ان يصيد الحشرات الجاثمة . ولكنه يستطيع ان يصيد كذلك الحشرات الطارة
 ومن أبعث طبائع هذا السمك على الدهشة ، قدرته على اصابة الهدف . فهو قلما يخطئ
 اذا كانت المسافة لا تزيد على اربع اقدام . مع ان العلماء قد دونوا مسافات اطول من ذلك .
 ففي معهد الاحياء المائية بنيويورك ، تمكنت سمكة من هذا السمك من اصابة خنفساء صغيرة كانت
 جاثمة على خمس اقدام فوق سطح الماء . والغالب انه اذا أخفقت سمكة في اصابة هدفها عند ما يكون
 على مسافة تختلف من ثلاث اقدام الى اربع ، فرد ذلك الى اهتزاز الفصن الذي تكون الحشرة
 جاثمة عليه . ولكن السمكة لا تكتفي من الغنمة بالاياب بل تعيد الكرة بسرعة في الغالب
 اما قوة القطرات المقذوفة من شدة هذه السمكة فتكاد لا تصدق . فاذا أصابت حشرة
 جاثمة فقد تقذفها في الهواء او تسقطها على مسافة من الشاطئ . واذا أصابت وجه رجل من
 مسافة قريبة أحس بشيء يلسعه . وليس بالفادر ان يسمع صوت القطرات الخاطئة على سطح
 شرفة تطل على الماء وقد لا يكون ارتفاع سطح الشرفة عن سطح الماء اقل من عشر اقدام .
 ومما حدث لصديق لي غير مرة ، ان قطرات من الماء سددت اليه وهو يدخن لفافة من التبغ
 فاطفأت لفافته !

الشمس المحتضرة^(١)

من فصل للسرجيمز جيمز

بقلم فرهاد صمداه

ان في السماء بضع نجوم لا يكاد حجمها يفوق حجم الأرض ، ولكن معظم النجوم أكبر من الأرض مئات الآلاف من المرات ، وهناك بضع نجوم أكبر من الأرض ملايين الملايين من المرات ، أما عدد النجوم في الكون فانه على الأرجح بعدد ذرات الرمل على شاطئ بحار العالم ، فتأمل الى أي حد بلغت أرضنا من الحقارة والصغر اذا قيست بمادة الكون أجمع وهذه النجوم التي يفوق عددها حد التصوّر تسير في الفضاء في جهات مختلفة ، البعض منها يؤلف جماعات تسير سوياً ، ولكن معظمها يطوي الفضاء الرحيب منفرداً . والكون الذي تسير فيه واسع الأرجاء ، حتى ان اقتراب نجمة من الأخرى يعدّ حادثاً نادر الوقوع ، لا بل وراء حدّ التصوّر . فالنجوم تسير في الغالب في عزلة تامة كمركب في بحر خالٍ من المراكب . فلو شبهنا النجوم بالمراكب والفضاء ببحر واسع الأرجاء كان كلّ مركب يبعد عن الآخر أكثر من مائون ميل . فواضح اذاً لماذا يعدّ اقتراب مركب من الآخر حادثاً نادر الوقوع أجل هو حادث نادر الوقوع ، ولكننا نعتقد على الرغم من ذلك انه عين ما وقع منذ مدة تقرب من ألفي مليون سنة ، عندما اقتربت نجمة أخرى كانت تسير في الفضاء على غير هدى ، من شمسنا ، وكما يسبب القمر والشمس المدّ والجزر على أرضنا فقد أحدثت تلك النجمة الغريبة المدّ والجزر على سطح الشمس ، ولكنهما يختلفان كثيراً عما يحدثه القمر الصغير الحجم في بحارنا ، فاجتاحت سطح الشمس من جراء ذلك موجة جبّارة تحوّلت في النهاية الى جبل هائل علوّ ، أخذ يزداد علوّاً بدنو تلك النجمة المسببة لهذا الاضطراب وقبل ان تأخذ النجمة بالتراجع كانت قد ازدادت جاذبيتها ازدياداً عظيماً فتمزّق هذا الجبل وتطايرت منه الشظايا كما يتطاير

(١) وهو الفصل الاول من كتابه المشهور باسم « الكون الغامض » The Mysterious Universe

الزبد والماء عند التظام موجة بصخور الشاطئ ولم تزل هذه القطع سائرة حول الشمس الى الآن ، وهي أرضنا والسيارات الأخرى الكبيرة منها والصغيرة

ان حرارة الشمس والنجوم التي نشاهدها في السماء عظيمة جداً ، فمن المستحيل ان توجد عليها الحياة ، لأن الحياة لا تتمكّن ان تقاوم تلك الدرجات العالية من الحرارة . ولقد كانت القطع المنفصلة عن الشمس شديدة الحرارة في أول عهدها كحرارة الشمس التي انفصلت عنها ، ولكنها أخذت تبرد تدريجياً ، حتى لم يبق لها من حرارة ذاتية الا القليل ، وحرارتها الآن مكتسبة مما ترسله اليها أمها الشمس من اشعاع مستديم . وعلى مرّ الزمن ظهرت الحياة على احدى هذه القطع أي الارض ، ولسنا ندري لماذا نشأت ، وكيف كان ظهورها ومتى ، وكل ما نعرفه انها ابتدأت بنشوء عضويات صغيرة ، أهمها امتازت به من الخواص الحيوية النمو والتناسل والموت . ولكن من هذه المخلوقات الحقيرة تحوّلت على مرّ السنين احياء مختلفة لم تزل تتقدّم وتقرّع حتى نشأ منها أخيراً مخلوق يحسّ ويشعر ، يفرح ويتألم ، تسيطر على حياته اسمى العواطف والا مال ويحيش في صدره حبّ الابتكار في الادب والموسيقى والتصوير وسائر الفنون ، ويستحوز على نفسه الخشوع الديني الذي أودعه أقدس عواطفه وأسمى آماله

وها نحن سكان هذه الذرة الحقيرة من الرمل ، نحاول ان نكشف القناع عن كنه هذا الكون العجيب ، الذي يحيط بنا في الفضاء والزمان . أي شعور يستحوز على نفوسنا لاول وهلة ؟ خوف هائل ! أجل ان هذا الكون مخيف لاتساعه العظيم الذي لا يمكننا تصويره ، مخيفٌ للآزمان الطويلة التي مرّت عليه والتي ينبو عنها الخيال ، مخيفٌ لانفرادنا الموحش في الفضاء ولحقارة مسكننا وهو ليس الا جزءاً من مليون جزء من ذرة رمل من الرمال على شواطئ بحار الارض . ولكن أكثر ما يخيفنا ويهولنا منه هو عدم اكترائه للحياة كما نعرفها ، فالعواطف التي تحيى بها نفوسنا ، والايمان ، والطموح الذي يحثنا الى التفوق ، والابتكار الفني ، كلها تظهر غريبة عن الخطة التي بني عليها ، أو بالأحرى قل ان الكون يبين كأنه معادٍ للحياة . فعظم الفضاء بارد الى درجة ان الاحياء تتجمد فيه ، ومعظم الاجرام السماوية شديد الحرارة فبقاء الحياة عليها مستحيل . وفضلاً عن ذلك فالفضاء تحترقه دائماً أنواع مختلفة من الأشعة ، فتصيب الاجرام السماوية التي تعترضها في مسيرها ، وكثير من هذه الأشعة ربما كان مضرّاً بالحياة ، لا بل مميتاً لها . وكون الانظمة المشابهة لنظامنا الشمسي نادرة الوجود في الفلك حقيقة ذات شأن ، وهي حقيقة يجب ان نعيها اهتمامنا الزائد لان الحياة كما نعرفها على الارض لا يمكنها ان توجد الا على سيارات مشابهة لأرضنا فهي بحاجة الى حالات طبيعية صالحة لنشوتها ، أهمها حرارة موافقة تمكن بعض المواد من ان توجد في حالة السيولة

فالنجوم والحالة هذه غير صالحة لظهور الحياة ويمكننا ان ننظر الى النجوم كأنها مجموعات عظيمة من النيران موزعة في رحاب الكون تمد بالحرارة فضاء تقرب درجة حرارته من اربع درجات فوق الصفر المطلق اي ٢٦٩ تحت الصفر بميزان سنثيراد ودرجة حرارة الفضاء السكّان خلف المجرة أقل من ذلك . فبعيداً عن هذه النيران اي النجوم يوجد هذا الصقيع الذي لا يحدّه الفكر، وقریباً منها حرارة تبلغ آلاف الدرجات تقلي كل سائل وتصهر كل جسم صلب والحياة لا يمكنها ان توجد الا في منطقة معتدلة ضيقة تحيط بهذه النجوم على بعد معين خارج تلك المنطقة تكون درجة الحرارة منخفضة كثيراً، وداخلها عالية جداً، وفي كلتا الحالتين يتعذر على الحياة النشوء والبقاء . ويقدر مجموع هذه المناطق التي حرارتها صالحة للحياة بأقل من جزء من الف مليون مليون جزء من مجموع الفضاء، ونعتقد ان الحياة نادرة الوجود حتى ضمن هذه المناطق المعتدلة التي تؤلف هذا الجزء اليسير من مجموع الكون وذلك لان من الحوادث النادرة ان تطيق النجوم سيارات تدور حولها كما فعلت شمسنا، وكما رأينا في بدء هذا البحث، ومن المحتمل ان نجما فقط من كل مائة الف من النجوم له سيار يدور حولها في المنطقة الضيقة الصالحة لظهور الحياة . فليس من الممكن اذاً ان يكون القصد من خلق الكون وتنظيمه انتاج الحياة وترفيهها بالدرجة الاولى . حقاً لو كان الامر لكان ما خلقه الكون من آيات الحياة اكثر مما هو فالحياة تظهر كأنها متتوج عرضي ضئيل الشأن ونبدو نحن جماعة الاحياء كأننا خارجون عن نطاق النظام الاساسي الذي بني عليه الكون

اتنا لا نعلم هل الاحوال الطبيعية الملائمة كافية وحدها لان تنشئ الحياة . فن العلماء من يعتقد ان الارض عند ما بردت تدريجياً كان نشوء الحياة طبعياً لا بل محتملاً . وهناك فئة اخرى من العلماء ترى انه كما أتت الى عالم الوجود طبقاً لصدفة من الصدفة، فمن الضروري ايضاً ان تحدث صدفة اخرى تسبب ظهور الحياة . واما المركبات الكيميائية التي تدخل في تركيب الجسم الحي فهي مؤلفة من نفس العناصر التي تدخل في تركيب كثير من الجوامد . واهم هذه العناصر الكربون . وهي المادة التي نجدها في الهباب . والايديروجين والاكسجين وهما العنصران المؤلفان للماء والتروجين الذي يؤلف اربعة اخماس الجو وغير هذه من العناصر المألوفة . وجميع هذه العناصر الضرورية للحياة وجب ان تكون في الارض الحديثة التكوين، ومن الممكن أثناء الوقت الذي مرّ على الارض منذ تكونها ان تتحد ذرات مختلفة فتؤلف مركبات شبيهة بالمركبات الموجودة في الاجسام الحية، ولكن هل تكون هذه المركبات الناتجة خلايا حية؟ او بكلمة اخرى هل الخلية الحية ليست الا مجموعة من

العناصر العادية المرتبة بطريقة عجيبة ؟ أم هل هي شيء أكثر من ذلك ؟ هل هي ذرات مادية فحسب . أم هي ذرات مضاف إليها الحياة ؟ هل يقدر كيميائي ذو مهارة كافية أن يصنع المادة الحية في مختبره من العناصر الضرورية ؟ هذا سؤال غامض لا يمكننا الإجابة عنه ، وعند ما يتحقق هذا الحلم ، يظهر لنا بعض الأدلة عن إمكان وجوه الحياة على عوالم أخرى في الفضاء ، ويكون له أبعد الأثر في تأويل معنى الحياة . واليوم الذي نشهد فيه صنع المادة الحية في مختبر الكيميائي نشهد فيه أيضاً انقلاباً خطيراً في التفكير ، أعظم شأنًا ، وأبعد أثرًا من مكتشفات غليليو في الفلك أو نظريات داروين في البيولوجيا

قلنا أن المادة الحية مركبة من ذرات عادية ، لا تختلف في شيء عن الذرات المؤلفة للجماهد ، ولكن معظم الذرات المؤلفة للجسم الحي لها مقدرة خاصة على الاتحاد لتؤلف جزيئات ضخمة ، فمعظم ذرات العناصر لا تملك هذه الميزة . فثلاً يمكن لذرات الأيدروجين أن تتحد لتؤلف جزيئات الهيدروجين ، H_2 أو H_3 ، وذرات الأوكسجين لتؤلف جزيئات الأوكسجين O_2 أو الأوزون O_3 ، وذرات الأيدروجين والأوكسجين لتؤلف جزيئات الماء ، H_2O ، أو بيروكسيد الأيدروجين H_2O_2 ، ولكن ما من مركب من هذه المركبات يحتوي على أكثر من أربع ذرات . وأما إضافة النيتروجين فلا تغيّر من الوضع كثيراً ، فمركبات الأيدروجين والأوكسجين والنيتروجين كلها تحتوي على بضع ذرات نيتروجين ، ولكن عند زيادة الكربون يتغير الوضع تماماً ، فذرات الأيدروجين والأوكسجين والنيتروجين والكربون تتحد بعضها ببعض لتؤلف مركبات تحتوي جزيئاتها على مئات وأحياناً آلاف وفي بعض الأحيان عشرات الآلاف من الذرات . والجسم الحي يتألف في الغالب من مركبات كهذه معقدة التركيب . ولقد كان الاعتقاد شائعاً لمائة سنة مرت أن تركيب هذه المواد ، وأخرى شبيهة بها مما يدخل في تركيب الجسم الحي ، لا بد أن يحدث داخل حيوان أو نبات بتأثير قوة حيوية ، وبقي هذا الاعتقاد شائعاً في الأوساط العلمية إلى أن تمكن فوهرل Wohler من تركيب مادة اليوريا ، $CO(NH_2)_2$ ، وهي المادة التي تفرزها اللبونات مع البول ، في مختبره بالطرق العادية للتركيب الكيميائي . وتلا ذلك تركيب عدة مواد كان يُظن أنها لا تتركب إلا في أجسام الأحياء . والآن نشاهد الظاهرة تلو الأخرى من الظواهر الحيوية تُفسّر على أسس قوانين فيزيائية وكيميائية ، وكانت قبلاً تعزى إلى قوة حيوية ، ومع أن المسألة لا تزال بعيدة عن الحل ، فإن الاعتقاد يزداد رسوخاً بأن ما يميز مادة الأجسام الحية عن غيرها من المواد ، ليس وجود قوة حيوية ، بل وجود الكربون ، ذلك العنصر العادي الذي من ميزاته اتحاده بالعناصر الأخرى لتأليف جزيئات ضخمة تحوي عدداً كبيراً من الذرات

وإذا كان الامر كذلك ، فوجود الحياة في الكون يعزى الى ان ذرة الكربون لها بعض الميزات الفريدة الشاذة ، وربما كان الكربون مهماً من الوجهة الكيماوية لأنه حلقة الوصل بين الفلزات واللافلزات ، ولكننا لا نعلم من تركيب ذرة الكربون شيئاً يفسر لنا سلوك هذا العنصر الشاذ ، اي تلك المقدرة الفريدة على ربط ذرات العناصر الاخرى بعضها ببعض ، فذرة الكربون مؤلفة من ستة الكترونات تدور حول نواة في الوسط ، كسنة سيارات تدور حول شمس ، وتختلف عن جارتها في جدول العناصر الكيماوية وهما ذرتا البورون والنيتروجين ، بأنها تحتوي على الكترون اكثر من الاولى والكترون اقل من الثانية ولكن هذا الفرق الضئيل ينبغي ان يعلل لنا في النهاية الفرق بين الحياة وعدمها . ولا شك ان في نواميس الطبيعة النهائية شرح السبب الذي يجعل ذرة الكربون الحاوية ستة الكترونات تملك هذه الميزات العجيبة ولكن علم الفيزياء الرياضية لم يسر غور ذلك بعد

وهناك حالات اخرى شديدة الشبه بما قدّمنا معروفة عند علماء الكيمياء . فالمغناطيسية تظهر بصورة جسيمة في الحديد ، وبدرجة اقل في الكوبلت والنيكل ، وهما العنصران المجاوران للحديد في جدول العناصر الكيماوية ، فذرة الحديد تحوي ستة وعشرين الكتروناً ، وذرة الكوبلت سبعة وعشرين ، وذرة النيكل ثمانية وعشرين ، واما الخصائص المغناطيسية للعناصر الباقية فضعيفة جداً بالقياس الى هذه العناصر الثلاثة ، فهذه الظاهرة الطبيعية تتوقف اذاً على الخصائص الغريبة لذرات هذه العناصر الثلاثة الناتجة عن عدد الالكترونات المختص بكل عنصر ، ولا سيما الحديد الذي يحتوي ذرته على ستة وعشرين الكتروناً . ولكن علم الفيزياء الرياضية لم يتمكن من كشف الستار عن ذلك . ولنا في خاصة الاشعاع التي تنفرد بها العناصر التي تحوي ذراتها من ثلاثة وثمانين الى اثنين وتسعين الكتروناً عدا بعض الشواذ التي لا يعتد بها ، مثل آخر على الفكرة التي اوضحناها وهنا يجب ان نعرف اننا نجعل سبب ذلك ايضاً

وكذلك نخبرنا الكيمياء ان نضع الحياة في نفس المرتبة التي وضعنا فيها ظاهري المغناطيسية والاشعاع ، فالكون مبني لأن يسلك طبقاً لنواميس طبيعية ، وكنتيجة لهذه النواميس كانت الذرات التي تحتوي على عدد معين من الالكترونات ، ستة في الكربون ، وستة وعشرين في الحديد ، وسبعة وعشرين في الكوبلت ، وثمانية وعشرين في النيكل ، ومن ثلاثة وثمانين الى اثنين وتسعين في العناصر المشعة ، تنفرد ببعض الخصائص ، اي الحياة والمغناطيسية والاشعاع قلنا ان الحياة كما نعرفها لا تتمكن من البقاء الا في احوال موافقة من الحرارة والنور ، فنحن انما نستمر في البقاء لان الارض يصلها من الشمس قدر وافر من الاشعاع ، لزيادة فيه ولا نقصان ، فلو حدث اي احتلال في هذا التوازن من اقلال او اكثار في قدر الاشعاع ،

لتلاشت الحياة ، وما اكثر الاسباب التي يمكنها ان تؤدي الى هذه النتيجة
لنرجع بأفكارنا الى الانسان الذي كان يقطن المنطقة المعتدلة في بدء العصر الجليدي . لقد عاش
هناك مدة طويلة من دون ان يرى تغييراً غير اعتيادي في مناخ تلك المنطقة ، واذا به يرى العصر
الجليدي يبدأ ، فيتكاثر الجليد ، وتزحف الثلجات محتاجة الارض ، متوغلة في الوديان سنة بعد
سنة ، والجو يبرد تدريجياً فيشاهد كل شتاء ان شعاع الشمس آخذ في الضعف ، وان اشعتها
ليس لها تلك الحرارة الضرورية لادامة الحياة ، وأغلب الظن انه شعر كما نشعر الآن ان الكون
لا يشفق على الحياة ولا يرافها

ونحن في هذه القرون المتأخرة وسكان تلك المنطقة المعتدلة التي تحيط بالشمس ، ننظر بعين
خيالنا الى المستقبل ، فلا نرى الاّ عصراً جليدياً من نوع آخر يهدد كياننا . وكما ان الاقدمين
زعموا انه قد در على تنالوس ان يموت عطشاً وهو واقف في بحيرة يغمره ماؤها حتى خشي
عليه من الغرق ، كذلك ستكون مأساة هذا النوع البشري الذي سيقدر له الموت من
البرد ، في حين ان الجزء الاكبر من مادة الكون حار الى درجة ان الحياة لا يمكنها
البقاء فيه . فالشمس ليس لها مصدر خارجي تستمد منه الطاقة الحرارية ، ولذلك سيخمد
اشعاعها الذي هو اصل الحياة على ارضنا تدريجياً ، فمن الضروري والحالة هذه ان تقترب الارض
من الشمس المحتضرة اكثر فاكثراً ، كي تبقى موطناً ملائماً للحياة ، ولكن العلم يُظهر لنا ان
الامر على نقيض ذلك ، فالارض بتأثير نوااميس طبيعية لا تلبث ولا ترحم ، تبعد عن الشمس
تدريجياً نحو ظلمة حالكة وصقيع مميت ، وبقدر ما يمكننا ان نتخيل ، ستبقى هذه القوى مجدة في
عملها ، تبحث الارض في سيرها بعيداً عن الشمس ، الى ان يقضي الصقيع على الحياة ، الا اذا
حدث اصطدام فلكي او كارثة من كوارث السماء ، تبعد الحياة بموت معجل ، قبل ان يبيدها
الصقيع . وهذه النهاية المنتظرة لا تختص بأرضنا فحسب ، فشموس اخرى ستقضي نحبها كشمسنا
ومهما كان من حي على سيارات اخرى سيلاقي تلك النهاية المريعة عنها

ولو انتقلنا من علم الفلك الى الفيزياء لوجدنا الحقيقة عينها ، فبصرف النظر عن الاعتبارات
الفلكية ، يُظهر لنا القانون الثاني في علم الترموديناميكس ان الكون ستكون له نهاية واحدة ، وهي موت
حراري ، حيث تكون طاقة الكون الحرارية موزعة بالتساوي ، ومادة الكون بأجمعها لها نفس
الدرجة من الحرارة . وستكون درجة الحرارة هذه منخفضة فلا تسمح ببقاء الحياة . ولا يهنا
كثيراً الطريق الخاصة التي توصلنا الى هذه النتيجة ، فكل الطرق توصل الى رومية يقول المثل
السار ، فالنهاية واحدة وهي موت شامل محتتم

المدرسة النجف الثانوية بالعراق |

قصة شلي الغرامية

حقايقها اغرب من مبتدعات الخيال

تلخيص وتعليق : بقلم م. ع. الراهب شري

— ٣ —

حتى اذا ما كنا في الفصل الثالث من هذه المأساة المضحكة رأينا هؤلاء الثلاثة يسافرون على الاقدام من باريس ومعهم حمار هزيل كان قد اشتراه شلي ليحمل متاعهم . وعجز الحمار عن أن يقوم بمهمته لضعفه وسقط خائراً في الطريق واضطرت القناتان على أن تحمله حتى أقرب قرية ، وهناك باعوه واشتروا بغلة بدلاً منه

وضربوا في مقاطعة خربتها الحرب حديثاً ومن ثم لم يجدوا مأوى موافقاً فزعون إليه ويستريحون من وعناء هذا السفر الطويل . لقد كانت الخانات مرثة البناء ، وفي حالة سيئة من القذارة . وكانت جيوش الجرذان المستوحشة تزحف في الليل على غرف هذه الخانات مما جعل الثلاثة يقضون ساعات الظلام الطويلة في ركن من قناء مطبخ الخان

ولم ينس شلي « هاريت » على الرغم من هذه المشاكل الشاغلة التي كان يجب أن تصرف ذهنه عن كل شيء آخر عداها . لقد أخذ يفكر في حالها وأخذ يؤنبه ضميره على ما جرّه عليها من أذى وتعب . ومن المستغرب أنه أرسل إليها كتاباً طويلاً يدعوها فيه إلى الانضمام اليهم والاشتراك معهم في كل ما ينالون من سعادة ويتحصلون من متاع وسرور . ونحن نقبّس هنا بعض ما جاء في هذا الكتاب الطويل :

« هل لك أن تحضري الى سويسرا لتشتركي معنا في هذه الرحلات الجميلة ؟ إنك لن «
« تعدمي على الأقل صديقاً وفيّاً يتعاطف على آمالك وأحلامك ويحبها أن تصاب بضراً أذى »
وقرأت هاريت الكتاب ولكنها طرحت جانباً ولم تجب عليه
ووصل الجميع إلى سويسرا أخيراً ونزلوا في غرفتين من قلعة عتيقة مهتمة لم تصمم من

القلق والخوف . ولما استبان شلي أن ما بقي معه أصبح لا يزيد على ثمانية وعشرين جنياً أخذ يفكر في ذات غيبه ، وأخيراً عزم الجميع — باجماع الآراء — على أن يرحلوا إلى وطنهم . . . انجلترا ! وسافروا إلى روتردام وزلواها وجيهم صفر . وهنا وقفوا عن السير . ولكن شلي أغرى قبطان السفينة بأن يحملهم معه إلى وطنهم وعلى هذا وصلوا بعد عناء كبير إلى لندن حيث استأجروا مركبة لنقل العائلة كلها إلى مثابة ستمتهم ولكن شلي لم يكن معه نقود يدفعها إلى الحوذي وأخيراً — وبعد تفكير — تمكن من إيجاد حل لهذه الضائقة إذ أرسل في استدعاء زوجته فلما أتت اختفت الفتاتان وراء الباب واستقبل الزوج وحده هاريت واقترض منها قليلاً من الجنيئات . كانت هاريت — ما تزال — ترجو شلي ، ولم يؤيسها الرجاء في عودة زوجها إليها يوماً ما . إذ أنها كانت تعتقد أن حبه لماري إن هو إلا عاطفة هوجاء سوف تفر وتلاشي ويدب السأم إليه منها شيئاً فشيئاً ثم يعود بعد ذلك تائباً ملوماً إلى داره . ولكن كان هذا الأمل بعيداً عن الحقيقة — لقد كان حليماً خاطئاً . ورزقت « هاريت » ولداً ثانياً في آخر العام ولكن لم يؤثر بحبي الولد في شلي ولم يرجع الزوج الشارد إلى احضان زوجته . لقد كان شلي يحب ماري وبعدها وكان يجد في جانبها سعادة لا تعدلها سعادة على الرغم مما يكتنفهما من شدة وعسر ، ومما يجب ذكره هنا أن « چين » — أخت ماري — استبدلت اسمها « بكليز » واستصحب الزوجين ولزمتهما لزاماً وبدأت تحس في قلبها عاطفة نحو الشاعر الخيالي الجميل الذي تتم به أحلامها من دونها وساءت حال شلي بعد قليل من هذا الوقت واضطرت المحضرون الذين كانوا يلاحقونه ويتسمون أثره إلى الاختفاء عن أعينهم وإلى التقابل مع ماري في السر فقط دون العلانية . وكانا يتبادلان أثناء ذلك رسائل بديعة يسجلها الأدب والتاريخ بالفخر والاعجاب

وبينما كان شلي يعاني آلام الفاقة وبينما كانت جميع أسباب الرزق ومنافسه تتجه في وجهه إذ أتاه نعي جده سير ييسي فخطفت في حياته بارقة أمل اضاعت ما أكتأب وأظلم منها . وأصبح شلي الوارث الوحيد للبارونية . وقد خلف سير ييسي وراءه ثروة طائلة ونال شلي منها ألف جنيه في العام وعلى هذا رأى أن يرفع المبلغ الذي يدفعه إلى « هاريت » كل شهر ومد يد المعونة إلى حميه الذي كان غارقاً في الديون

ورزقت « ماري » ولداً ولكنه لم يلبث أن مضى بغير ثنية بعد شهر من ولادته فحزنت « ماري » حزناً شديداً وأصبحت تبغض اختها « كليز » ولا تطيق الإقامة معها في المنزل أكثر من ذلك . لقد بدأت الغيرة تنهش قلبها وتولد فيها الضغينة نحو اختها التي كانت تمتاز عنها بمجاذبية وحشية ساحرة مما جعل « ماري » تخشى أن يقع في أسرهما شلي يوماً ما على الرغم من صدق ولائه لها . ومما ضايقها أكثر وأثار ثارتها قيام الشاعر وكليز شطراً كبيراً من الليل معاً — أن

لم يكن الليل كله — يتذاكران في العلوم العالية. واخيراً نجحت «ماري» في التخلص من كلير وقتياً ولما وجدت هذه الفتاة الحياشة العاطفة — كلير — أنها لم تتمكن من كسب شلي عازمت ان تبحث عن حب في مكان آخر . . حب شاعري يضارع حب شلي . واتاحت لها الاقدار أخيراً اللورد بيرون الشاعر الارستقراطي الانيق

ولا يهمننا هنا ان تعرض للعلاقة الطويلة بين بيرون وكلير وانما كل ما يهمننا ان نقوله هو انه لما ضاقت الحال بشلي وماري فكرا في ان يرحا الى سويسرا ليجدا عيشة ارخص فيها وليبعد شلي عن الجو الذي يشيع فيه الموت له ولماري : وصحبتهما كلير في هذه الرحلة . وبعد قليل وقع التعارف بين الثالث وبين بيرون . وأحب بيرون كلير حباً عميقاً ولكنه لم يلبث ان سئم منها ولم تلبث ثمرة هذه العلاقة — أليجرا — ان قضت بحبها دون السادسة من عمرها

— ٤ —

وبينما كان شلي في سويسرا كان سوء الطالع يترسم اثره وكانت الاقدار تخطط في الخفاء نسيجاً اسود في افق حياته . لقد ظلت « فاني جودوين » المسكينة تعاني ألم الوحشة وتعنت امها وبدأت تحسد اختها — ماري وكلير — ان اصبحتا طليقتين من قيود المنزل واوضاعه الثقيلة وكتبت « فاني » الى شلي خطاباً لم تخف فيه حسدها وتوقها للحياة التي يحبوها جميعاً في ذلك الجو الخيالي الطليق

مسكينة « فاني » !! لقد كانت تحب شلي ايضاً !! وكانت حياة الوحدة التي تحياها ، والشقاء الذي يثقل كاهلها من جراء قسوة امها ، كان كل ذلك سبباً لاثارة اعصابها واشتعال هذا الحب وعلى أثر ذلك عزم شلي ان يرجع الى انكلترا ورحل الجميع — شلي ، وماري ، وكلير — الى « باث » حيث اعزموا ان يعيشوا . وقد قابلوا « فاني » في لندن وقضت معهم وقتاً سعيداً . ولما آن رحيلها جزعت وهي تصافح الشاعر جزعاً شديداً وقد سالت دموعها وهو يقبلها ! وتلقى شلي منها خطاباً غريباً كتبته من برستول . لقد كانت تودعهم وداعاً يقطر حزناً . . وتقول : —

« انني ذاهبة الى مكان ارجو ألا اعود منه ثانية ! »

ووقع الخطاب من نفس الشاعر وماري موقعاً اليماً فأسرع بالذهاب الى برستول ليلحق « بفاني » قبل ان تودي بنفسها . ولكنه وجد انها قد تركت برستول الى سوانسي . وفي اليوم الثاني وجدت ميتة وبجانها زجاجة ممتلئة باللودانوم « صبغة الافيون » تاركة خطاباً مؤثراً تصف فيه سبب انتحارها

واعتمدت مسز جودوين ان شلي هو السبب في هذه المأساة التي قوتت ما بقي من كيان

العائلة . لقد انتحرت الفتاة لأنها كانت تحب القتي الشاعر الذي اغرى احتياها من قبل
واثر ذلك في شلي تأثيراً كبيراً وحمله على التبتل الى اليأس من الحياة . ولكن خفف عنه
ان اقام مع اسرة صديقه « لي هنت » في منزله بهامستد وقضى زمناً كاد ينسيه شبح الماضي
الكئيب . ولكن الاقدار ما فتئت تهاجمه فلم تلبث ان دهمته ضربة زلزلت كيانه . . لقد
اختفت هاريت ! واستعان شلي بصديقه هكهام على اقتفاء اثر هاريت . ولما ترك شلي هامستد
وجد رسالة من هكهام تنتظره ولما فضاها وجد فيها ما يأتي : —

« سيدي العزيز »

« لقد مضى شهر على التشرف بتسامي خطاك الكريم واطنك قد دهشت — ولا شك —
« من عدم الاسراع في الرد عليه . لقد فعلت ذلك عن عمد . فاني قد وجدت انه من الصعوبة
« ان اخبرك بما تريده عن مسز شلي وعن اولادك »
« بينما كنت اسعى ياسيدي لمعرفة عنوان مسز شلي ، اذ جاءني نبأ انها توفيت . لقد انتحرت .. »
« وانت تعتقد بانني لم اصدق الخبر في حينه واستغنت بمنزل صديق للمستروستبروك ليتحقق الخبر »
« وانا افزع بألمي الى الشك والكذب . ولكن لشديد اسفي اخبرت انها انتحرت من »
« السر بنيتين يوم الثلاثاء الماضي . وقد اعتبر القضاة والطبيب الشرعي ان الوفاة كان سببها الغرق »
« اما ولدك فكلها في صحة جيدة وهما — على ما اعتقد — في لندن . »

وفي صباح اليوم التالي ظهرت هذه العبارة في جريدة التيمس :

« وجدت في يوم الثلاثاء الماضي جثة سيدة كريمة متقدمة في اشهر الحمل غريقة في السربنتين »
« وحملت الى منزلها في شارع الملكة بريميتن وكانت قد تغيبت عنه ستة اسابيع . لقد كانت تلبس »
« في اصبعها خاتماً ثميناً ، والمظنون ان هذه السيدة قد استهترت بشرفها وحملها هذا على وضع »
« حد لعذابها والتفكير في هذه النهاية المحزنة بينما كان زوجها متغيماً في الخارج »

وكان وقع المصائب على شلي شديداً ولكنه اخذ يقنع نفسه بأنه لم يكن مسؤولاً عن ذلك
وانه سلك مسلكاً كريماً لا خطأ فيه ، اي انه لم يسيء إليها وانما كان برأها رحماً

وبعد اخراج جثة هاريت بأسبوع عقد شلي زواجه على ماري جودوين في كنيسة سانت
ملدرد . وفرحت عائلة جودوين لنجاح ماري وفوزها أن أصبحت زوجة شلي وبارونة سسكس
في النهاية . وقد غير هذا من موقفهم الماضي . وما يذكر ان جودوين وزوجته حضرا عقد زواج
العروسين في الكنيسة . وكتب والدها إلى أحد أصدقائه يحدّثه عن الزواج ويقول : —
« إن زوجها هو أكبر أبناء سير تيموثي شلي بارون مقاطعة سسكس ، وأنت ترى أنه »
« على الرغم من اشاعات العالم وأقاويله فقد تزوجت ابنتي زواجا سعيداً . وأنا عظيم الايمان بأن »

« زوجها سيحسن معاملتها . ولعلك تعجب كيف أن فتاة كماري لا تكاد تملك ثروة ما كان لها »
 « هذا الحظ الوافر من السعادة والثراء . ولكن هذا شأن الحياة فهي ما بين تصويب وتصعيد ، »
 « وكل ما أرجوه لها هو أن تحيا حياة محترمة ، فاضلة ، راضية »

ورجا شلي أن تشرف ماري على تربية أولاده من زوجته هاريت ولكن حكمت محكمة شانسري بغير ذلك . لقد قررت المحكمة عدم صلاحية كل من شلي وعائلة وستبروك للوصاية على الاولاد . واختارت لتربية هؤلاء الاولاد طبيباً من أطباء الجيش هو وزوجته وقد اذنت المحكمة لشلي ان يزور اولاده مرة في كل شهر بشرط ان يكون هذا في حضرة الوصين

اثر كل هذه الضربات في شلي تأثيراً كبيراً وبدأ ظهره ينحني تحت عبئها المرهق الثقيل . وكثيراً ما حرمه التفكير النوم . لقد اصبح يائساً من كل شيء وضاق في وجهه كل منفذ . ومن الكتاب الذين اجادوا وصف حالته آثد الكاتب الناقد الفرنسي اندريه مورو اذ يقول : —

« لقد اخذت الصروح الهوائية والقصور البلورية الشفافة التي كانت تحجب تحت أطباق ضبابها »
 « واقعية الحياة عنه عهداً طويلاً — اقول اخذت هذه الصروح والقصور الخيالية تتحل رويداً »
 « رويداً وتفقد صلتها بالارض ساجدة نحو الفضاء كأن هناك قوة غير مرئية تجذبها اليها . انها لم »
 « تُلَاشْ وإنما سرت في موكبها الساحر الهفاف ترقى صوب عوالم عليّة من الشعر الخالص »
 « التقي . وبدأ شلي ينظر من المسكن الذي احتلته هذه الاطراف إلى الدنيا نظرة حقيقية مجردة »
 « عن كل خيال . بدا يرى الحياة بمنكبا العسيرة ، ووجوه الرجال الكالحة العابسة ، والنساء »
 « القانطات العصبيات ، والمجتمع الانساني القاسي الذي ودّ من قلبه لو فر منه إلى الأبد »

واشترى بيتاً في جريت مارلو وعاش فيه مع ماري وطفليهما وأليجرا بنت كير من اللورد يرون وكانت على درجة كبيرة من الجمال . وكان شلي يمضي وقته على شطآن النهر في هذا المصطاف الجميل ، وكان يغذى خياله من جمال وادي التيمس الرائع الفخم وقد زاره في هذا المصطاف كثير من معارفه وسجرائه امثال حميه جودوين وصديقه لي هنت وزوجته واولاده واصبحت حياته في انكلترا لا تطاق بعد ان كثرت الاشاعات عن وجود كير مع شلي مما جعل اللسنة تهش شرفهما . لقد زعم الناس ان أليجرا لم تكن إلا ابنة شلي وليست ابنة يرون ولهذا اعتزم شلي وماري أن يفرّا إلى ايطاليا

— ٥ —

ولا يتسع المجال هنا لأن نسهب في وصف حياة شلي وموته في ايطاليا أو علاقته فيها بالشاعر اللورد يرون . وإنما سنجمل ذلك اجمالاً

لقد سبق شلي زوجته إلى إيطاليا وصحب حضورها مأساة هدت كيانها إذ ان طفلتهما كلارا توفيت في البندقية . وكانت تصحبهما أثناء ذلك كبير التي فرضت نفسها عليهما فرضاً . ورحلوا من البندقية إلى روما وناپلي ولم تلبث ان دهمتهما كارثة أخرى إذ ان ابنتهما الصغير ولیم مرض بالدوسنطاريا ثم مات بعد قليل

حطمت هذه الضربة الثانية قلب ماري وسحقته سحقاً وقد أثر ذلك في قلب الشاعر الرقيق الضعيف وأخذ يشكو ذلك في شعره : —

(أين ذهبت يا عزيزتي ماري وخلفتني وحيداً في هذا العالم الموحش الخيف ؟ إنك ما زلت)
(قائمة هنا . . وهذا طيفك المحبوب ما يزال بين ناظري ، ولكنك أنت قد فررت بعيداً)
(وركبت الطريق الموحش الذي يهبط بالمرء إلى مراح الأحزان الكئيب المظلم)

ورزقت ماري ولداً في فلورنسا فهدأ روعها قليلاً وبدأت تفيق من غيبوبة أحزانها . ولم تطل وحدتهما في إيطاليا إذ زارها صديقان من اعز اصدقائهما وهما إدوارد ولیمس وزوجته الفتاة الجميلة « چين » . وأحس شلي انه قد احب « چين » ولكنها كانت امرأة ذكية حساسة حرصت على ان تكون علاقتها بالشاعر علاقة عذرية بريئة حتى لا تعكس صفو الجو الخيالي السعيد الذي يعيش فيه الاصدقاء الاربعة

وفي خلال ذلك رأى شلي فتاة ايطالية فتنه بجبالها وكانت تدعى اميليا حبسها ابوها في الدير وكان رجلاً غليظ القلب عريداً . ونظم شلي قصيدة كبيرة في هذه الفتاة واطلق عليها عنواناً غريباً حار النقاد في فهمه وهو Epipsychidion . وقد اثارت هذه الفتاة غريزة الشاعر الانسانية وأخذ قلبه الرحب الرحيم يحنو على هذا الروح اليتيم — كما كان يدعوها في قصيدته ويوقف عليه في هيكل قلبه هذه الاكاليل المقدسة الباقية من الذكرى الذابلة . واحب شلي اميليا والح على زوجته ماري في ان تذهب اليها في الدير . وظلت ماري وقتاً طويلاً وهي قلقة من هذه العلاقة الجديدة ولكن افرخ روعها عند ما تزوجت اميليا من رجل يدعى بيوندي وبعد ذلك بقليل اكتشفت حياة الشاعر مشكلات جديدة اخذت تنغص عليه حياته . واخذ

يتقل بين پيزا وكازا ماجني وقد قضى فيهما مدة طويلة

وفي آخر صيف ذلك العام ركب شلي مع صديقه ولیمس قارباً في البحر وهبت زوبعة شديدة اجتاحت القارب الصغير فابتلعته الأمواج الثائرة . وكانت هذه خاتمة الشاعر ولما أخرجت جثته احرقت على الشاطئ في حضور جمع من خلصائه . وكانت هذه وصية الشاعر وأمنيته

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرباطي

—١٤—

الحَبَقْ أو الفِلَيْيَّة^(١)

وبالفارسية (فُوْتَنْج) و (فُوْدَنْج) و (سِيْسَنْبَر)^(٢) و (پُوْدِنِه) على ما ذكره تاج العروس وغيره نبات عشبي معمر عطري متساقط الورق ساقه مفرّشة أو قائمة متفرعة القاعدة أوراقه بيضية منفرجة مسننة الحافة قليلاً ذات عنق . أزهاره أرجوانية اللون مجمعة في دوائر متباعدة اسمه العلمي (Mentha Pulegium, L.) (منثا پوليجيوم)^(٣) من الفصيلة الشفوية (Labiatae) (لايائية) وبالإنجليزية (pennyroyal) وبالفرنسية (pouliot; pouliot vulgaire; menthe pouliot) شائع في أوروبا وغرب آسيا وشمال أفريقيا ورائحته كرائحة النعناع الأخضر لكنها أقل أريجاً وطعمه عطري لذاع أشبه شيء بطعم الكافور . وهذه الخواص ناشئة عن زيت طيار يحصل عليه منه بالاستقطار مع الماء . وقديماً كان هذا الحبق يعتبر مدرراً للطمث ومنقاً (أي خرجاً للمخاط الشعبي) ومعرقاً وكان يستعمل لتخفيف مرض الهستيريا والسعال الديكي والرّبو لكنه يعتبر الآن عديم الفائدة ولما استعمل

(١) وفي بعض المراجع (حبق الماء) (٢) وقد يطلق اسم سيسنبر على السعتر البري أيضاً واسم الإنجليزي (wild metyh) والعلمي (thymus serpyllum) (٣) اشتقوا اسم بوليغيوم من بوليكس (pulex) اللاتينية ومعناها قلة نظّمهم أن هذا النبات طارد للقمل

النعناع المائي

ويقال له (حبق التمساح) و (حبق الماء) و (الفوتج الهري)
 عشب معمّر ساقه ذات أوبار منعكسة يرتفع عن الأرض قدماً أو أكثر أوراقه بيضية الشكل
 ذات عنق منشارية الحافة أزهاره أرجوانية مجتمعة في رؤوس كرية
 اسمه العلمي (*Mentha aquatica*, L.) (منّا آقواتيقا) وفصيلته الشفوية وبالإنجليزية
 (water-mint) وبالفرنسية (menthe aquatique)
 ينمو في أوربا وشمال أفريقيا وشمال آسيا وغربها والراجح أن النعناع الفلفلي صنف منه وهو
 الذي ينتسب إليه النعناع المنزوع في مصر وكذلك قد نشأ عنه كل من النعناع المجعد واسمه
 الانجليزي (crisp mint) والفرنسي (menthe crépue) والنعناع اليموني واسمه الانجليزي
 (bergamot mint) والفرنسي (baume aquatique; calament des marais)

النعناع البري

عشب معمّر متساقط الورق ساقه قائمة متفرعة أوراقه بيضية الشكل مستطيلة أو شبه رحيّة
 عديمة العنق تقريباً ذات زغب في وجهها السفلى وحافتها دقيقة التسنين وأزهاره قرمزية فاتحة
 مجتمعة في سنابل اسطوانية أو مخروطية
 اسمه العلمي (*Mentha sylvestris*, L.) (منّاسيلوستريس) وفصيلته الشفوية وبالإنجليزية
 (the "horse-mint"; wild mint) وبالفرنسية (menthe sauvage)
 ينمو في أوربا وشمال أفريقيا وفي المنطقة المعتدلة من آسيا وقد نشأ عنه صنف من النعناع المجعد
 ومنه صنف في مصر يسمى عند العامة (الحبقق أو الحبق) أو (حبق البحر)
 اسمه العلمي (*Mentha sylvestris*, L. var. *niliaca*, Del.) (منّاسيلوستريس نيلياكا)
 وبالإنجليزية (Egyptian mint) وبالفرنسية (menthe d'Egypte)

وهو عشب معمّر أوراقه مستطيلة شبه رحيّة ذات زغب في وجهها السفلى حافتها دقيقة
 التسنين وأزهاره أرجوانية اللون مجتمعة في سنابل مستطيلة وينمو بطبيعته على ضفاف الترّع والمساق

نعناع الحقول

عشب معمّر متساقط الورق ساقه كثيرة التفرع أوراقه بيضية الشكل ذات وبر منشارية
 الحافة ذات عنق وأزهاره أرجوانية اللون فاتحة مجتمعة في دوائر
 اسمه العلمي (*Mentha arvensis*, L.) (منّا آرونسيس) وفصيلته الشفوية وبالإنجليزية
 (corn mint) وبالفرنسية (menthe des champs)

ينمو في اوربا ومناطق آسيا القريبة من خط الاستواء وقد نشأ عنه صنف خاص هو النعناع
الفلقلي الياباني اسمه العلمي (*Mentha arvensis, L. piperascens*) (منثا ارونسيس پيسراسنس)
والانجليزي (Japanese peppermint) والفرنسي (menthe du Japon)

النعناع الاخضر

ويقال له (النعناع الرومي) عشب معمر متساقط الورق ساقه قائمة ورقته شبه رحيّة عديمة
العنق وازهاره ارجوانية مجمعة في سنابل مستطيلة

اسمه العلمي (*Mentha viridis, L.*) (منثا ويريديس) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية
(the "spearmint" ; garden mint) وبالفرنسية (menthe romaine; menthe verte)

يزرع في وسط اوربا وجنوبها ويقال ان قد نشأ عنه صنف خاص من النعناع المجمع وبما انه
غير لذاع كالنعناع الفلقلي وانه اكثر الانواع الاخرى قبولاً فضله في التوابل باوربا
وكثيراً ما تستعمل اوراقه في الطهي وبعض المقاصد الطبية كما تستعمل اطرافه في صلاطة الربيع
عندهم او تمزج بحففة مع صلصة الضأن او تدخل في طهي الحساء (الشوربة) اما مستحضراته
الطبية فرغوب فيها اكثر من النعناع الفلقلي وان كانت اقل تأثيراً في الغالب فتكون على صورة
زيت طيار او نعناع محفوظ او ماء نعناع او روح نعناع . والنعناع الاخضر كالانواع الاخرى
يحتوي على زيت طيار وافر ولكن اريحه اقل قبولاً عنه في الخزامى (اللواندة) والمرزنجوش
(البردقوش) ولذلك كان استعماله اقل كثيراً منها في تخفيف الصداع فاذا وضع مباشرة على
عضو في الجسم كان له تأثير قوي مضاد للتشنج ولا سيما على المعدة فيكون مخففاً للآلام والغص
معطلاً للقيء . هذا ومنقوع النعناع الاخضر في الماء الساخن اكثر صلاحية للمعدة من
مائه اذا استقطر

النعناع مستدير الورق

عشب معمر متساقط الورق ساقه قائمة خشنة اوراقه بيضيه مستديرة وبرية عديمة العنق
(جالسة) وازهاره بيضاء او حمراء فاتحة مجمعة في سنابل ضيقة مستطيلة ذات زغب

اسمه العلمي (*Mentha rotundifolia, L.*) (منثا روتونديفوليا) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية
(round-leaved mint; wild mint) وبالفرنسية (menthe à feuilles rondes; menthastre)

شائع في غرب اوربا وجنوبها وشمال افريقية وغرب آسيا وينمو في الامكنة الرطبة وأريحه اشبه
بأريج البقلة الاترجية التي سبق الكلام عنها

وقيل ان هذا النوع من النعناع انما هو اصل لما يوجد في فرنسا وايطاليا من النعناع المجمع

وهو قريب الشبه بالنعناع البري

النعناع الطريف

عشب معمر متساقط الورق ساقه قرمزية اللون تنبت زاحفة على الارض كثيرة الفروع واوراقه بيضية الشكل محددة القمة ذات عنق وأزهاره أرجوانية اللون مجمعة في دوائر اسمه العلمي (*Mentha gentilis*, H. K.) (منثا جنطيليس) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية (bushy-red mint) وبالفرنسية (menthe baume; baume de jardins) ينمو في بريطانيا بطبيعته على شواطئ البحيرات

النعناع المجعد

عشب معمر متساقط الورق ورقته على صورة القلب مجمعة عديدة العنق (جالسة) حاقها مقسمة الى اسنان غير متساوية وأزهاره أرجوانية فاتحة مجمعة في سنابل كالرؤوس اسمه العلمي (*Mentha crispa*) (منثا قريسبا) من الفصيلة الشفوية وبالانجليزية (the true crisp mint; curled mint) وبالفرنسية (menthe crépue) . منتشر في سيبيريا وقد يزرع للزينة في أوروبا وهناك انواع اخرى من النعناع كثيرة رأينا الاكتفاء منها بما تقدم الماهون العادي

ويسمى عند العامة (بالماهوكوني) شجرته منفردة دائمة الاخضرار متسعة القمة جميلة المنظر قد تبلغ ارتفاعاً عظيماً ولا سيما في المواطن الجبلية . أوراقها ريشية في الواحدة منها اربعة أزواج من الوريقات البيضية المستطيلة . وأزهارها حمراء مجمعة في عنقيد ابوية غير مكتظة شبيهة بأزهار (الزلخت) وثمرتها في حجم بيضة الدجاجة الرومية تقريباً اسمها العلمي (*Swietenia Mahogoni*, Jacq.) (سويتينيا ماهوكوني) ^(١) وفصيلتها الازدرختية (*Meliaceae*) (ميلياسية) وبالانجليزية (common mahogany-tree) وبالفرنسية (acajou; swiéténie) تنمو في أشد المناطق حرارة بأمريكة حتى فلوريدا والمكسيك وفي جزيرتي كوبا وجامايكا وغيرها من جزائر الهند الغربية

وخشب الماهون ثمين مرغوب فيه لصنع أجود الأثاث وهو كالأخشاب الأخرى يتفاوت في قوة احتماله وصلابته تبعاً لتربة الارض النامي فيها شجره ويحصل على أجود أنواعه من التربة الصخرية في جزائر باهاما بأمريكة الشمالية وسنت دومينغو

(١) اطلق عليها النباتي جاكين (*Jaquin*) اسم سويتينيا تخليداً لذكري جيرارد فون سويتين (*Gerard L.B. Von Swieten*) الذي أشار على ماريا تيريزا (*Maria Theresa*) امبراطورة جرمانيا اذ ذاك بانشاء حديقة النبات بفينا

امراض نادرة غريبة

صفحات عميقة من دفاتر الأطباء

تخير المعالجين والباحثين

على الرغم من تقدّم علوم الطبّ وما اصابه اصحابها من النجاح في تبيين اسباب الامراض وتعيين وسائل العلاج . لا يزال الاطباء المعالجون يواجهون خلال قيامهم بعملهم ، إصابات فذة لم يروا لها شبيهاً من قبل وقلما قرأوا عنها شيئاً في مراجع الطب الكبيرة . تقرأ وصف هذه الحوادث فيبدو لك انها من ابتكار خيال خصب ، ولكنها في الواقع منتزعة من دفاتر الاطباء الذين وصفوها وحاروا في تشخيصها او علاجها

فقد حدث من سنوات ، ان رجلاً كان جالساً في شرفة احد مسارح لندن ، فأخرج لفافة تبغ وأشعلها فاذا بنفسه يلتهب وينفجر داوياً وانقذت اللقافة من فيه عدة امتار . فلما فحصه الدكتور ترنس ايست ، في مستشفى كلية الملك بلندن ، تبين له ان الرجل أصيب بحالة مرضية غامضة ، جعلت معدته تستبق الطعام فيها ، مدة اطول من المدة السوية ، فأسفر التخمّر الشديد فيها عن تولّد غازات متفجرة ، هي التي التهمت وانفجرت عندما قرب عود الثقاب المشتعل من فيه

وفي السنة الماضية لاحظ شاب يقطن احدى المدن الغريبة الاميركية ، ضعفاً غريباً في عضلاته . ووجه الغرابة في هذا الضعف ، ان العضلات كانت على ما هي حجماً ومظهراً خارجياً ولكن الضعف استولى عليها حتى اصبح الشاب عاجزاً عن القيام بأي عمل . بل بلغ هذا الضعف منه مبلغاً عجز معه عن رفع الطعام الى فيه يديه ، وعن مضغ الاطعمة الجامدة بكميه . فاستجار اطباؤه بالاختصاصيين ، ففحصوه وقالوا انه مريض نادر يدعى myasthenia gravis تحتفظ فيه العضلات بشكلها ولكنها تعجز عن الاستجابة للرسائل العصبية التي يبعث بها الدماغ اليها . وقد

روي عن احد الاطباء انه يحقن من يصاب بهذا المرض حقنة تعيد اليه القدرة على استعمال عضلاته ، ولكن فترة الشفاء لا تزيد على سبع ساعات ثم يعود ضعف العضلات الى ما كان عليه

وقد حدث على شاطئ ارلندة الجنوبي من بضعة سنوات حادث غريب . ذلك ان فتى أصيب صباح الخميس بحمى ارتفعت الى ١٠٥ فارنهایت (٩/٤٠ بميزان سنتغراد) فلما أصبح صباح الجمعة كانت حالة الفتى سوية وظلّت كذلك حتى الخميس التالي ، فأصيب بالحمى العالية ، ثم فكّت عنه قيل انتهاء النهار . وعرفت الصحف بهذه الحادثة فوصفت الفتى بأنه « صاحب حمى الخميس » عجز الأطباء الانكليز عن فهم سرّ هذه الحمى ، ودارجدال بينهم على صفحات الجرائد على أسبابها واتفق عندئذ ان أحد باحثي مدينة بلفاست الباثولوجيين ، انتبه للموضوع فأخذ قطرة من دم الفتى وفحصها بمجهر قوي فتمكن من معرفة سبب الاصابة ذلك ان الفتى كان قد أصيب قبل ظهور الحمى بعضة في احدى قدميه من جرد في مصيدة . فكان مرضه ذلك المرض النادر المعروف في الشرق باسم « حمى عضه الجرد » . ولا يعرف ان اصابة من هذا القبيل وقعت في أوروبا قبل الحرب الكبرى ، ولكن نأ حادثين أو ثلاث منها اتصل بالجمعيات الطبية بعد الحرب

وقد حدث غير مرّة ان انتفخ جسم مريض حتى أصبح كالبلون . ولعلّ أحدث اصابة من هذا القبيل ، ماروي عن رجل في بورتلند بولاية أوريغون الاميركية . فقد أصيب في حادثه اصطدام في عظمة التجويف الكائن وراء الحجابح . فكان الهواء الذي يتنفسه يدخل بعضه تحت الجلد . ولما كان الجلد مطاطاً فقد انتفخ جسم هذا الرجل حتى أصبح كالبلون ، وحتى خشي معالجوه ان يبقى آخذاً في الانتفاخ حتى يعجز الجلد عن تحمّل الضغط فينفجر قبل ان يفرغوا من معالجة عظمه المصاب ، فعمدوا الى إبر وخزوه بها فتقلّص حتى أصبح حجمه سويّاً

ومن الاصابات التي حيّرت عقول العلماء والأطباء في فرنسا ، مدّة عقد من الزمان ولم يكشف سرّها الا من عهد قريب ، على يدي لجنة خاصة من أكاديمية الطب ، كثرة اصابات التسمم بالرصاص في مقاطعة بريتي . فقال بعضهم ان سبب ذلك الانايب التي تنقل مياه الشرب . فردّ عليهم بأن باريس تستعمل نفس الانايب وليس فيها أثر لهذه الاصابات . وبعد بحث طويل وجدت اللجنة ان في مياه باريس حيراً يرسب على باطن الانايب فيقي الماء الجاري فيها ، وان

في مياه رن Rennes وغيرها من مدن بريتي حامضاً يذيب بعض الرصاص من الأنايب ويذله في الماء ، فيصاب من يشرب هذا الماء بتسمم الرصاص . وقد اقترح أعضاء اللجنة ان يذاب الجير في الماء حتى ترسب طبقة منه على باطن الانايب ، فيوقى شاربو هذا الماء شر التسمم بالرصاص

ولعل أغرب حوادث التسمم في العهد الأخير ، الحادثة التي مات بها الجاويش جون ولف أحد رجال البوليس في مدينة بوسطن . هذا الرجل كان قد أصيب بعض هرقة ، وكلب ، ورجل سكران ، ونجا . ولكنه في أحد الايام ، عَضَّ لسانه خطأ ، فأصيب بتسمم كان القاضي عليه وهناك طائفة أخرى من غرائب الامراض تحدث تغييراً في لون البشرة وبعض انساج الجسم ، كأن تتحول الفخذ زرقاء ، والمقل سوداء ، وينقلب لون البشرة من الوردي الخفيف الى الاخضر او الاصفر او الاحمر او الاسود او البني

ومن أغرب هذه الحوادث حادثة وقعت في مستشفى كاسناس ستي ، حيرت اطباءها . ذلك ان بشرة سيدة ، تغيرَ لونها اربع مرات في اسبوع واحد . فلما دخلت المستشفى كان لون جلدها ازرق فاتحاً ، وبعد يومين تحول الى قرمزي ، ثم الى احمر خمري ، فالى بني . ولما سئلت في ذلك اجابت اطباءها بانها تحس كأنها مصابة بلفحة الشمس ، وكانت حرارتها تقلب من يوم الى آخر . وانما الغالب انها كانت في حدود ١٠٢ بميزان فارنهایت (٣٩٦١ بميزان ستغراد) . فخار الاطباء في امرها . ولكنهم قالوا ان اصابتها نوع من الطفح ظهر على أثر عقار تناولته . الا ان السيدة انكرت انها تناولت اي عقار قبيل اصابتها . ولا يزال الباعث على تلونها الحربائي سرّاً مكتوماً

ومن هذه الامراض مرض معروف يدعى Erythrocytosis crurum pellarum frigida يتحول به لون أظفار الفتيات ازرق ، وهو يؤثر في العروق فيسطىء جري الدم فيها فتزرق . وقد حاول جرّاحان من جراحي مدينة منشستر معالجة هذه الحالة من عهد قريب ، باجراء عملية في الاعصاب الممتدة الى العروق المصابة فأصابا نجاحاً في ما توخياه . ومن بضع سنوات أصيب رجل بانكلترا ، اصابة غامضة جعلت لونه يتحول فضياً فغني الاطباء بحالته عناية خاصة . فوجدوا انه كان قد انقضى عليه عشرون سنة وهو يعمل في مصنع تركيب فيه نترات الفضة . والمرتبة الاولى في تركيب هذه المادة اذابة الفضة في الحامض النتريك ،

فتتولد فقاعات من غاز الايدروجين ترتفع الى سطح السائل وتتفجر نائرة في الهواء دقائق
الفضة . وعليه فقد مضى على ذلك الرجل عشرون سنة وهو يتنفس الوف الالوف من دقائق
الفضة ، واخيراً تجمع في جسمه مقدار كبير من املاح الفضة ، حول البياض في مقل عينيه الى
لون رمادي داكن او اسود . واخيراً لقي حتفه بخثرة دم علقته باحد عروق الدم في المعدة
ويظن الاطباء ان رواسب الفضة على جدران العرق سببت ذلك

ويقول الدكتور فردريك دامرو كاتب هذه المقالة في مجلة العلم العام ، انه يذكر ان احد
الذين عالجهم تحول لونه اخضر كالعشب على اثر نوبة من الالم الناتج من حصوة المرارة . وآخر
اصبح لونه بلون الليمون بعد اصابته بالانيميا الحثيثة . وآخر وكان سيدة سمراء تحول نصفها
ايض بزوال المادة الملونة من جسمها (البهق) وبقي نصفها اسمر الى السواد
والبهق داء يصيب الجسم فيزيل المادة الملونة في البشرة ، فتظهر بقع بيض هنا وهناك : واذا
ظهرت على ظهر المصاب ، بان الظهر وهو اشبه ما يكون بخريطة . ولا يعلم ان لهذا الداء اثراً
ضاراً . فالمصابون به يتمتعون بصحة جيدة . ويروي احد الاطباء المتوفرين على الامراض الجلدية ،
ان زنجياً أصيب به ، فتحول لونه رويداً رويداً ، حتى اصبح ايض

ومن أعجب ما روي ، عن الخلق العجيب ، رجل في دفونشير بانكترا ، له قلب يصفر ،
وآخر في هارتفورد كونكتيكت (الولايات المتحدة) له أذن تحدث صوتاً كصوت الساعة ويبلغ
عدد دقات هذه الأذن من ١٠٠ دقة الى ١٣٢ دقة في الدقيقة . وشاب في لوس انجلوس ورث
نصف رأسه من والده ونصفه الآخر من أمه ، فالشعر في النصف الموروث من أمه أحمر ،
وفي الباقي أشقر . ثم ان احدى عينيه شهلاء والاخرى زرقاء ، ولون بشرته في الجانب الايمن
من الجسم أقم منه في الجانب الأيسر

وقد تكون العظام السريعة الانكسار ، أو التي تزيد ثخانتها عن الثخانة السوية ، الباعث
على اصابات غريبة . فقد عرف مثلاً في مدينة بلير بولاية اوهايو الاميركية فتى أصيب بأربعة وستين
كسراً كبيراً في عظامه . فكان أحد عظامه ينكسر كلما وقع . وثمة سيدة ثبت ان ثلاثة من عظامها
انكسرت وهي تتقلب في الفراش . وانقضى عليها في احدى السنوات شهر واحد كان متوسط

ما تصاب به من الكسور، كسراً في اليوم . ذلك ان داء يعرف باسم Osteomelacia كان قد سلبها الحير من عظامها فأصبحت وكأنها نخرة او خاوية لا تستطيع ان تتحمل ثقلًا او ضغطاً

ويقابل هذا ان الانساج التي تولد الحير او تمثله في الجسم، تفوق في انتاجها المتوسط الذي يحتاج اليه الانسان ، فيبدأ الحير يرسب في العظام ، وفي غير العظام من الانساج ، حيث لا يجب ان يكون . فتتجسر العضلات ويصبح المصاب وكأنه تمثال من الحجر . وقد ورد على الجمعيات الطبية الاميركية ، اوصاف مصابين من هذا القبيل من كاليفورنيا وبنسلفانيا واوهايو . واشهر هذه الاصابات اصابة سيدة في سان فرنسيسكو بولاية كاليفورنيا . فقد اثبت الفحص بالاشعة السينية ان غلافاً من العظم يحيط بقلبها ، وانه اذا لم يزل فلا بد لها من ان تموت . فأخذت الى مستشفى جبل صهيون في المدينة حيث افلح الجراحون في ازالة الجانب الأكبر من ذلك النسيج المتحجر . ولا زال الحالة التي يكثر فيها رسوب الحير (الكلسيوم) سرّاً مغلقاً . فبعض العلماء يعتقد ان الغدد الشبيهة بالدرقية Parathyroid — وهي اربع — سبب ذلك . فانها تسيطر هرموناتا على رسوب كربونات الكلسيوم في العظام ، وكل ما يحرف هذه الغدد عن عملها يفضي الى طغيان هذه المادة على العظام وغيرها من انساج

وقرب من ذلك « مرض پايجت » الذي يصيب الغدد الشبيهة بالدرقية ، ومظاهر هذا المرض تضخم الرأس وقصر الرأس وتقوس الفخذين ، فيصبح شكل المصاب شبيهاً بشكل القرد . واحداث ما عرف من هذا القبيل اصابة فتان في كاليفورنيا به . هذا الفتان في التاسعة والاربعين من العمر ، وقد اصاب به من نحو ثمانين سنوات . فראسه الآن ثلاثة اضعاف حجمه السوي وقد قصر جسمه حتى صار عشر بوصات اقصر مما كان

ومن اغرب ما يروى اصابة سيدة بالنوم — وهو غير مرض النوم واسمعه العالمي encephalitis lethargica — فقد انقضى عليها اكثر من مليون دقيقة اي نحو ستين وهي مستغرقة في سبات عجيب . شعرت في شهر فبراير سنة ١٩٣٢ بنعاس شديد يستولي عليها ثم نامت نوماً عميقاً . وقد عملت لها عملية تصفيق الدم Transfusion وحقت بأدوية مختلفة ومصول خاصة قصد ايقاظها فلم تستيقظ ولكن الاطباء يظنون (عند كتابة هذا المقال في نوفمبر من سنة ١٩٣٥) ان سباتها قد قارب الانتهاء

القرود العظام

وأسمائها العربية

للمفرد الركن - امين المعلوم

٤ — الشيق وهو القرد الرابع وليس الشق من هذه الفصيلة بل من فصيلة اخرى وقد ذكرته في الصفحة ١١٥ من معجم الحيوان وقلت فيه ما يأتي :

Gibbon. Hylobates

جيبون (اعجمية) . شيق

قرد من فصيلة السعالي رشيق الحركة موطنه جزائر البحر الهندي . اما سبب تسميته بالشيق فقد ذكرته في مادة قيرد Ape

وفي الصفحة ١٥ من المعجم نفسه في مادة قرد وهو ما اشرت اليه في ما تقدم ومنه الشيق . قال القزويني « هو من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي ويزعمون ان النسان مركب من الشق ومن الآدمي يظهر للانسان في اسفاره » الى آخر ما ذكر عنه وقد ورد ذكر الشق في كتاب التاريخ الطبيعي لبلنيوس الروماني وسماء Monocolus من لفظين يونانيين معناها شق اي من Mono واحد و Coulon عضو او رجل اي ذو الرجل الواحدة فتجد ان القزويني ترجم كلام بلنيوس بنصه او ان الشق اصلي في العربية وهو ما ارجحه لاسباب يطول شرحها فترجمها بلنيوس كما تقدم . ثم ان صاحب تاج العروس ذكر الشق وقال انه من المتشيطنة او الجن . وفي نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقي شيخ الربوة في دمشق المولود في سنة ٦٥٤ للهجرة اي سنة ١٢٥٦ مسيحية فصل في الشق اورده في الصفحة ٢١٨ قال فيه ما نصه :
وذهب بعض الاخباريين ان عاداً الاولى كانت اجسامهم عظاماً نبيلة جداً فلما احل الله بهم نعمتهم بكفرهم عاقبهم وبذل خلقهم فصاروا انصافاً اشقاقاً كل واحد منهم شق انسان بعين واحدة ونصف رأس ونصف فم ونصف صدر ويد واحدة وهم النسان حائمون مختلطون في تلك الآجام والغياض الى شاطئ البحر . ويقال بل هم طائفة على تلك الخلقة وهم ولد النسان بن اميم بن لاود

ومنهم من قرب الى العمران أقصد الزرع فربما يتبع ويصاد بالكلاب ويؤكل مشوياً . ويحكى عنهم ان انساناً قدم من الشجر ونزل على رجل من اعيان الناس وذكروا النسناس والشق على طريق الاستغراق فقال ان ارضا اليوم مطروقة منهم وامر بعض غلمانهم ان يصيدوا منها شيئاً فأتوه بشيء له نصف وجه ونصف اذن ونصف فم ونصف حنك ويد ورجل واحدة كأنه انسان شطر نصفين فلما بصرتني ورآني اتعجب من خلقه قال ناشدتك الله في اطلاقي فقلت خلوا عنه واحبسوا الكلاب فاطلقوه وانا انظر اليه يقفز قفزاً سريعاً حتى ذهب

ثم اورد الدمشقي شيئاً من الشعر قاله الشق وروى ما نصه : قيل ان الحاج احمد الخروف المفتي لصاحب حماء الملك المنصور انه كان مسافراً الى اليمن وأقام عند صاحب اليمن مدة سنين وان صاحب اليمن خرج الى الصيد وأخذ الحاج احمد الخروف معه فلما وصلوا الى موضع الصيد قال وأوقفوني في مكان وأعطوني كلباً وقالوا اذا طلع عليك شق فارسل عليه هذا الكلب فما كان الا قليلاً وقد اقبل علي شق وذقنه بيضاء وهو يقفز برجل واحدة وهو يرتجز ويقول

قد كنت قبلاً قوياً جلدًا وها أنا اليوم ضعيف جدا

تتح عن طريقي يا ابن اخي واغتم جزاء الشيخ يا نعم الفدا

قال فرحمته وتركته فما اشعر الا والخيول تتبعه فقالوا لما لا ارسلت عليه الكلب كأنه خدعك بكلامه فقلت رحمته لأنه شيخ فلما كان وقت الغداء قدموا شقاً مشوياً فقالوا كل من هذا فقلت وما هذا فقالوا هذا شق مشوي قال فعفته ولم آكل منه شيئاً . انتهى ما أريد نقله . اما قول الدمشقي الشجر فهو يريد الشجر في جنوب اليمن مما يحاذي عَمَّان وقوله ان رجلاً قدم من الشجر فلعله يريد قدم من الشجر الى العدو الاخرى من بحر فارس اي الى السند او الى احدى جزر البحر الهندي فالناس هناك لم يكونوا مسلمين لذلك كانوا يصيدون الشق ويأكلونه فراوي القصة الحاج احمد الخروف كان مسلماً لذلك ابى ان يأكل الشق وعافه . ثم ان شيخ الربوة والحاج احمد الخروف ذكرا الشق ووصفاه وصفاً حسناً مع انه من المتشيطنة او الجن فكونه من المتشيطنة لم يمنعهما من ذكره ووصفه وانه حقيقة لا ريب فيها

هذا وقد ذكرت الشقوق في ص ۱۹۴ من مقتطف اكتوبر سنة ۱۹۳۴ وسميتها الشقوق او الطافرات في الشجر ولا بأس بجعل الطافرات الطفارات كما يقال زحافات وطيّارات ولكن الشقوق أحسن كثيراً فلماذا نصوص كلمة جديدة فالشق وارد في كتب اللغة ولا شبهة في انه هذا القرد ولو كان من الجن او المتشيطنة

وفي ما يلي الأسماء العلمية لبعض الشقوق أوردتها هنا دفعاً للحدقة في المستقبل فلا يقول أحدهم في الشق لا بل هو الطفار فيقول آخر لا بل هو الفقاز ويقول غيره هذا غلط شنيع

ووهم لو علمت فطبع فهو المشاء فيشتد اللجاج بين المتحذلقين فلا تقف على الحقيقة وهي ان اسمه الشق دون غيره . وكنت أود ان أضع الحذالقة مكان المتحذلقين فالحذالقة جمع حذلاق وحذالقة وهي كلمة لم ترد في كتب اللغة في ما أعلم لكنني صغتها قياساً من حذلق وتحذلق وعرضتها على صديقي السيد اسماعيل مظهر فأعجب بها واختار الحذالقة للكثير الحذلقه وأقرها وهي كلمة حسنة جداً ولا يخفى ان الحذالقة غير المتحذلق وهذه واردة في كتب اللغة وما يأتي أسماء الشقوق وفصيلتها وأجناسها وأنواعها وهي الشقوق التي في حديقة الحيوان في أيامنا

Hylobatidae. The tree walkers فصيلة الشقوق أو الطافرات في الشجر

Hylobates (Illiger) The gibbon جنس الشق

Hylobates agilis (Cuvier) الشق الرشيق . موطنه سومطرة

Hylobates concolor (Harlan) الشق البهم أي المصمت اللون . موطنه الهند الصينية وأنام والتشكين

Hylobates piliates (Gray) الشق المتوج . موطنه كنبوجية وسيام وكوشين الصينية

Hylobates leuciseus (Schaber) الشق الفضّي . موطنه جاوة وان شئت الحذلقه فقل الزابج

Hylobates leucagenys (Ogilby) الشق الأبيض العارضين . موطنه سيام و جاوة

ولعله الذي رآه الشيخ احمد الخروف لذلك قال له ذقن يضاء

تقدّم في هذه المقالة أربعة من القروء العظام وهي الغول والسعلاة والبعام والشق وقد قالوا انها من الجن أو المتشيطنة ما عدا البعام فانهم لم يقولوا ذلك عنه في ما أعلم لأنه لا يزال معروفاً بهذا الاسم في السودان وأهل السودان أعقل من أن يقولوا انه من المتشيطنة وهو قرد من القروء فلماذا نأخذ كلام اللغويين حرفياً لأن هذه القروء لم تكن من الجن أو المتشيطنة بل كانت قروءاً من خلق الله . ولا أعلم سبب خوف الناس من القرد وكرههم له وقولهم انه من الجن أو المتشيطنة ولعلّ بعض الأمم في جاهليتها كانت تعظم القرد أو تقدسه فقال اللغويون انه من المتشيطنة كرهاً لذلك فان بعض الهنود يقدسون قرداً يسمونه القرد المقدس فلو سألتنا رجلاً عاقلاً منهم لقال انها خرافة ولو سألتنا آخر لعدّه من القروء المقدسة لذلك لا أرى ان قول اللغويين يجب ان يؤخذ حرفياً

جَدِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

سرفانتس ودونه كيسوت
ومكاتبهما الادبية



كواكب لامعة

في الادب الاسباني

يرتدُّ اللسان الاسباني. على الرغم من كلمات جرمانية وعربية دخيلة فيه انتقلت اليه عن طريق القوط والعرب، الى اللغة اللاتينية فيشبه في ذلك اللغتين الفرنسية والاطالية. ولكن اللغة اللاتينية في اسبانيا كانت لهجات مختلفة منها القطلونية والبلنسية والقشتالية وغيرها. الا ان اللهجة القشتالية تغلبت على اللهجات الباقية، على اثر حوادث وانقلابات اجتماعية وسياسية، فاصبحت هي اللغة الاسبانية، يتكلم بها النبلاء ويكتب بها الكتّاب. وتحولت اللهجات الاخرى الى لهجات عامية

وقد كانت السمة الغالبة على الادب الاسباني، خلال قرنين ونصف قرن، اي من منتصف القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر، سمة قصائد دينية ووطنية وعظات خلقية منظومة. وهذه القصائد لها اُبعد الاثر في تكوين الادب الاسباني. فكانت القصائد التاريخية، قطعاً من الملاحم القديمة، او اناشيد شعبية، حفظت ونقلت بالرواية من قرن الى قرن. اما القصائد الغنائية والعاطفية والريفية وما اليها، فقد نظمت في الغالب وافرغت في اشكالٍ تختلف عن الاشكال التي تحدّرت الى اهل هذا العصر. وقد طبع بعضها اولاً في مطلع القرن السادس عشر ثم تلتها مجموعات اخرى تحتوي على هذا الشعر الحيّ

وليس في وسع الباحث ان يبالغ في وصف ما لهذه المجموعات من القيمة في دراسة الادب الاسباني، بل وحياة اسبانيا القومية، لان هذه القصائد مطبوعة بطابع الشعب وصفاته من اقدم الازمنة، فهي في الواقع لوحة رسمت عليها صورة الماضي رسماً تاماً. هنا الملوك والامراء والفرسان والقسوس والفلاحون والمسؤولون والمتشردون — تجدهم يروحون ويحيئون في هذه القصائد كأنهم احياء يرزقون

يقول « مريميه » Mérimée في كتابه « تاريخ الآداب الاسبانية » ان هذه الاناشيد تحتوي على تاريخ اسبانيا، على حضارتها، على حياتها مركزة في هذه المادة الشعرية مبلورة على مر الزمان في صفحاتها. انها تختلف قدراً وشاعرية وصفاء ولكنك تجد البساطة والجفاء في اقدمها وهما بساطة الحياة البدائية وقساوتها، وتجيد الرشاقة في ما

يرتدُّ منها الى عصر النهضة ، والذوق السليم الدقيق في اشعار العصر الذهبي لكل بطل من ابطال اسبانيا ، سواء كانت سيرهم حقيقة ام خرافة ، مجموعة من القصائد خاصة بذكره . ولا يقل عدد القصائد الخاصة بالسيد كومبادور عن مائتي قصيدة . ومنها ما هو موقوف على آخر ملوك القوط رودريك ، او على حروب الاسبان مع العرب ومن اشهرها « زفرة العربي » اي عبد الرحمن الذي عجز عن حماية غرناطة . ولا ريب في ان قارئ القصائد الموقوفة على حروب الاسبان والعرب ، يتبين فيها نوعاً من التهاب العاطفة اتصلت ناره بالدرامة الاسبانية بعد ذلك

سرفانتس ودون كيشوت ومظانها

سرفانتس اشهر ادباء الاسبان على الاطلاق . وكتابه دون كيشوت من الكتب التي احرزت صيتاً عالمياً قبل عصر السيارة والطائرة والبرق وجوائز نوبل . ولكن مكانة سرفانتس ولا سيما مكانة كتابه هذا لا يمكن ان تفهم الا اذا اشرنا اشارة موجزة الى « رواية الفروسية » التي كانت ذائعة في اواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر في اسبانيا واشهرها رواية لامادي ده غول *L'Amadis de Gaule* ويقال انها ترتدُّ الى اصل فرنسي ولكنها نقلت وحولت حتى توافق الحياة الاسبانية بقلم جارسيا اوردونز ده موتالكو في العقد الاخير من القرن الخامس عشر . في هذه القصة كان الشاب امادي مغرمًا بالاميرة اوريان ابنة الملك ليزوار ، فنشأ فارساً يجمع في شخصه جميع الفضائل التي اشتهر بها فرسان ذلك العصر . فهو عاشق مقيم على الحب وخدام عظيم الولاء لسيدة ومقاتل شجاع بارع في فنون القتال فينتصر في جميع مغامراته على الجبابرة والحونة في آن والرواية حديث مغامراته المختلفة وقد ظهر بعد هذه الرواية ، روايات على غرارها ، فيها مغامرات فرسان مختلفين وكان الى جانب رواية الفروسية الاسبانية نوعان آخران من الرواية في ذلك العصر احدهما الرواية الريفية ، تقرأ الآن فاذا هي نائية عن حقيقة الطبيعة . فالطبيعة فيها مصطنعة ، والشعور الانساني مصطنع ، وكل ما فيها مصطنع تقريباً ولا سيما ما كان ينسب فيها الى السحر . ولكن القناد يفسرون شيوعها بقولهم انها كانت تدور من حول اشخاص عاشوا حقيقة في ذلك العصر فكان يلذ لمعاصريهم ان يقرأوا سيرهم مفرغة في هذا القالب . اما النوع الثالث من الرواية فكان النوع المعروف برواية التشرد

أذيعد المؤلف، الى الاستغناء عن الامراء والاميرات بل وعن رجال الطبقة المتوسطة من الناس، لكي يتخذ من السوق والمتشردين والبائسين ابطالاً لروايته وقد شاع هذا النوع من التأليف من منتصف القرن السابع عشر الى القرن الثامن عشر وكتاب دون كيشوت، مزيج في الواقع من النوعين الاول والثالث، ولكن عصا الساحر التي مزجت، واخرجت المركب الجديد، كانت قلم كاتب عبقرى هو صاحبنا ميخويل سرفانتس

ولد في ١٧ أكتوبر سنة ١٥٤٧ في الكالا ده هناريس وهي بلدة في قشتالة الجديدة، وكان من اسرة فقيرة ولكنها نبيلة، ومع ان الكتاب لم يشيروا في الترجمة له الى انه تلقى العلوم في جامعة من الجامعات، الا انه ولا ريب توفر على دراسة اللغة اللاتينية. فلما كان في العشرين من العمر اضطر ان يرحل من وطنه لانه تجرأ على تجريد السيف في باحة قصر يقطنه الملك. وفي سنة ١٥٧٠ نقرأ عنه في روما في منزل الكردينال كافيثا ثم انتظم في الجيش واشترك في معركة لپانتي في سنة ١٥٧١ فأصيب بجروح عديدة باللغة وكسرت ذراعه اليسرى بقنبلة اصابتها فاضطر الى بترها وكان عائداً مع شقيقه الى اسبانيا في سنة ١٥٧٥ رجاء ان يفوز بقيادة فرقة من فرق المشاة، فهجم قرصان جزائريون على السفينة، فأخذ مع سائر الركب أسيراً. حاول غير مرة ان يفر من الاسر ولكنه اخفق فشدد وثاق الاسر من حوله. وكانت اسرته قد علمت بمصيره ومصير شقيقه فجمعت مبلغاً من المال لاقتدائهما فلما وصل المال الى أسرهما، رأى المبلغ يسيراً فأطلق سراح شقيقه واستبقاه الى ان كانت سنة ١٥٧٩ فعاد الى اسبانيا. وقد روى حوادث أسرهِ في كتابه «الأسير». ويقال ان سرفانتس اشترك في حملة دوق الباسك البرتغال سنة ١٥٨١ ولكنه لم يلبث حتى ترك الجندية وشأنها

نشر في سنة ١٥٨٤ رواية «غلانية» فأصابت نجاحاً يذكر فشجعه ذلك على الاقدام على التأليف المسرحي، ولكن قلما يقرأ من مسرحياته العديدة الا الآن سوى مسرحية أو اثنتين. وعلى الرغم من الاقبال على مؤلفاته ظل رقيق الحال، فذهب الى اسبيلية حيث شغل منصباً في مكتب مدير شؤون أساطيل العالم الجديد. ثم انتقل الى غرناطة. وقد اتهم في كلتا المدينتين تهماً لو صحت لآذنته في شرفه، ولكن

جميع مؤرخيه يجمعون على ان ما اتهم به لم يكن ارتكاباً مدبراً من قبله ، ولكن باعته كان اهماله مراقبة من كانوا دونه في العمل

ظهر الجزء الاول من كتاب دون كيشوت سنة ١٦٠٥ فنفدت نسخ الطبعة الاولى في بضعة أسابيع ، وأعيد طبعها أربع مرات في السنة نفسها ، وقد ترجم كتاب دون كيشوت الى الفرنسية حالاً ثم تلا ذلك ترجمته الى سائر اللغات . وانقضى عليه ثماني سنوات قبل نشر كتاب آخر ، فكان هذا الكتاب مجموعة من القصص الادبية والمضحكة وهي قصص يحسبها الاسبان آية الآيات في أدبهم ، لانها وصف دقيق بارع للخلق الاسباني في ولايات اسبانيا المختلفة . واذ كان المؤلف يستعد لاصدار القسم الثاني من كتابه دون كيشوت ، اخرج مؤلف يدعى الوزو فرناندز دافلانيدا كتاباً زعم انه لحق بكتاب دون كيشوت الاول . وقد نحامل المؤلف في فاتحة كتابه على سرقاته فأخذ عليه ذراعه المبتورة وادعى انه لن يلبث ان يلقي بكتابه هذا ستاراً كثيفاً من النسيان على دون كيشوت وصاحبه . ولكن هذا المنتحل لم يصب من النجاح الا ما كان مبعثه الرغبة في الاطلاع على كل شيء جديد ، وكان من حسنات كتابه انه حمل سرقاته على التعجيل في اخراج الجزء الثاني من كتابه فأخرجه في سنة ١٦١٥ وكانت صحته قد اعتلت ولكنه على الرغم من اعتلالها ، ظل مكباً على اتمام رواية اراد ان يقدمها الى اميره وحامييه كونت ده ليوس . الا ان علته تفاقمت قبل اتمام الكتاب فلفظ نفسه الاخير في ٢٣ ابريل سنة ١٦١٦ — في نفس السنة بل وفي نفس الشهر الذي مات فيه شكسبير

بطل سرقاته في كتابه دون كيشوت ، رجل في الخمسين من العمر يقطن قرية مع مدبرة بيته العجوز وابنة أخيه وهي فتاة في العشرين من العمر ، وينفق معظم وقته في مطالعة قصص الفرسان ، معجباً بمغامراتهم إعجاباً ملك عليه لبته ، فتصور في أحد الأيام ، انه يريد ان يبعث في شخصه بطولة أولئك الفرسان الخياليين . وكان سرقاته يعلم ان محاولة من هذا القبيل ، والزمن أواخر القرن السادس عشر ، كان مقضيماً عليها بالخيمة وعلى صاحبها بأن يكون مضغة في الافواه ومحطاً لسخرية الساخرين فجعل ذلك سمة كتابه . وبحث دون كيشوت في قبو داره فوجد بقايا درع وخوذة وسيف فرمها وصقلها ثم لبس الدرع والخوذة في صباح يوم وتقلد السيف ،

وخرج من الدار من دون ان ينبىء مدبرة بيته ولا ابنة أخيه ولا اصحابه وامطى جواداً متهدماً دعاه « روسينانت » وأخذ سبيله الى تحقيق أمانيه وهي عقاب المعتدين والثأر للأرملة واليتيم ووضع الحق في نصابه أين رأى حقاً مهضوماً

الا ان الفارس الجدير بهذا اللقب يجب ان يفعل كل شيء في سبيل هوى سيدة يلتقي عند أقدامها ثمار مغامراته ، فتذكر فتاة قروية حسناء تقطن قرية توبوزو ، فأطلق عليها في ذات نفسه اسم « دولسينه ده توبوزو » ووقف على ذكرها مقدماً جميع انتصاراته الباهرة . ثم انه لا يستطيع ان يمضي في سبيله المرسوم قيل ان يسمح فارساً لانه اذا لم يفعل فالتوفيق لن يكون من نصيبه . فقرر ان يطلب من اول فارس يلتقيه ان يسمح فارساً . هو ذا قصر ، وأمام القصر سيدتان نبيلتان تتحدثان أمام الباب . وهوذا خادم يقرع الجرس منبأً بقدومه والامير يتقدم للقاءه ولكن هذا القصر ليس الا في خيلة دون كيشوت . لان ما رأى لم يكن الا فندقاً حقيراً والسيدتان النبيلتان ليستا الا خادمتين ، والامير ليس الا صاحب الفندق

وكذلك حول دون كيشوت بسحر رغباته وأمانيه ، حقائق العالم الواقع الى صورة رائعة لا وجود لها الا في ذهنه . وأدرك صاحب الفندق ما بالرجل من مس ، فسمح له ان يتصور الفندق قصر أمير كبير ، وفي الصباح وسمه فارساً ، فأحس دون كيشوت بعد ذلك بأنه أصبح قادراً على جميع أعمال البطولة ، وسار في طريقه واذ هو سائر استوقفه صراخ في الغابة فسدد خطواته الى مصدر الصوت فوجد فلاحاً منهالاً بالضرب على فتي موثق الى جذع شجرة . فحتم على الفلاح ان يفك عقال الفتي ويعوضه من ظلمه له وجوره عليه . ومضى في طريقه جذلاً بانتصاره الاول . ولكنه ما يكاد يبتعد حتى هجم الفلاح على الفتي ثانية وأوسع ضرباً ولكما وجرده مما يملكه من النقود

ثم يشاهد دون كيشوت تجاراً سائرين الى بلدة مجاورة فخطر له ان يحملهم على اعلان دولسينه ده توبوزو (محبوبته الوهمية) اجمل نساء الكون فيردون عليه ردّاً ساخراً لاذعاً في سخريته فينتضي دون كيشوت ربحه ويهجم عليهم ، فيكبو به جواده ويقع معقراً بالتراب ، فيتناول احد البغالة ربحه ويقصفه على ظهره ويظل هو ملقياً على الارض حتى يمر به فلاح فينقله على ظهر حماره الى داره

كانت مدبرة بيته وابنة اخيه ، وصاحباه القسيس والحلاق ، قد ادركوا ان قراءة هذه الروايات قد احدثت دخلاً في عقله ، فاعتنموا فرصة التزامه الفراش بعد واقعة الاخيرة وأحرقوا الكتب وسكروا باب حجرة المكتبة . فلما تماثل الى الشفاء وبحث عن كتبه ولم يجدها رسخ في ذهنه ان ساحراً سحرها

الا انه لا يستطيع ان يستقر . بل يريد ان يرحل رحلة ثانية وان يصطحب سائساً ، فاختار فلاحاً فقيراً من قريته يدعى سانشو پانسا وغرس فيه المبادئ التي تحركه ، ورسم له بأزهى الالوان صوراً تستهوي ووعدته بأن يعينه كما على الجزيرة الاولى التي يتاح له غزوتها وافتتاحها . فاقنع الفلاح مأخوذاً بهذه الصور الخلابه وفي ذات مساء ، سافرا من دون ان يعلم احد بسفرهما ، دون كيشوت على صهوة دوسينانت وسانشو پانسا على حمار يحمل . ولعل الواقعة الاولى التي وقعت لهما اشهر وقائع الكتاب . ذلك انهما ابصرا وهما سائران طواحين الهواء ، فقام في ذهن دون كيشوت انها جبابرة مرده ، فالتضى رحمة وحث جواده وهجم عليها ، على الرغم من تحذير صاحبه ويانه . ولكنه خرج من المعركة مثخناً بالجراح والرضوض ، الا ان اصابته لم تصلح من شأن عقله لانه ظل معتقداً ان اعداءه السحرة الذين سحروا كتبه قد حولوا المردة الى طواحين

ثم يلي ذلك سلسلة من الوقائع ، نكتفي بالإشارة اليها . هوذا دون كيشوت يلتقي بعربة يتوهم ان فيها اميرة اخذت غصباً فيحاول انقاذها . ثم تراه يلتقي جماعة من الرعاة فيستقبلها كأنها جماعة من الاصدقاء المقربين ويصف لها وصفاً شعرياً بدائع العصر الذهبي . او تقرأ عنه وهو يهاجم قطيعاً من الغنم فيقوم في ذهنه انه جيش امبراطور وبعد مرض طويل ، يستعيد صحته ويبدو لمن حوله انه استعاد صحة عقله كذلك . ولكنه كجميع المجانين ، يثور جنونه عند ذكر « الفروسية » . فتجركه هذه النزعة من جديد ليقوم برحلة ثالثة في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل ورد الظالمين وثار المظلومين باسم السيدة الفاتية التي يهواها . وكان بين صحبه رجل شجعه على ذلك يدعى كارسكو . فيوفد دون كيشوت تابعه سانشو الى تحية السيدة الفاتية في قصرها الفخم ، وعندها يقنعه كارسكو بان فائته آتية للقائه ، فيذهب في سبيل اللقاء ولكنه عند ما يرى طائفة من اسافل الفلاحين على حميرهم يتوهم ان

ساحراً شريراً استطاع ان يمسح الجمال قبحاً والنبل سفالة . واذ هو يستريح في غابة يلحق به فارس يصحبه تابعه ، فيشرع هذا الفارس في تعديد محاسن فاتنهِ فيتصدى له دون كيشوت محاولاً ان يحمّله على الاعتراف بتفوق دولسينه — فاتنة دون كيشوت — عليها . فيفضي الجدل الى النزال ، فيتغلب دون كيشوت على خصمه فيجثو هذا أمامه طالباً الرحمة والشفقة — ثم يتبين له ان هذا الفارس المغوار الذي تغلب عليه ليس الاً صاحبه كارسكو . ولكن دون كيشوت لا يصدق الاً ان الساحر مسخ الفارس المغوار هذا الصاحب اللئيم . وكان الغرض من هذا التدبير اقناع دون كيشوت بالعودة الى داره ، ولكن فوزه هذا يغريه ، بالمسير ، فيحضر بعد قليل مسرحاً للدعى فينحاز الى الأميرة مليزان التي سبهاها العرب فينتضي سيفه ويعمله في الدمي انتقاماً لها

سلسلة من الحوادث لا ينقطع سيلها ولا ينضب فيها معين الابتكار . واخيراً يعود الرجل الى قريته وقد شفي من جنونه ، والواقع انه مرض مرضاً مميتاً فشفاه المرض الجثامي مما ألمّ بعقله فينكر ويستنكر ما حاوله من المغامرات المضحكة ويودع وصيته أحكم الأقوال ويقضي نحبهُ تائباً ورعاً

ما اكثر ما كتب في اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا في سرفانتس وآيته دون كيشوت ومقامها في الادب العالمي . ما اكثر ما بحث الكتاب في البواعث التي حملت الكاتب على كتابتها والاعراض التي اتجه اليها . لماذا احرزت هذه الرواية وهي من بدئها الى نهايتها سلسلة من المغامرات تنطوي على سخرية من المثل الفروسية ، اقبالاً عظيماً في اسبانيا حيث يقدر الشرف ويعبد بعد الله ؟ ولماذا احرزت اقبالاً في سائر بلدان اوربا ؟ مسألة صعبة قد لا يمكن الاجابة عنها الاً بتجزئتها

اما من حيث البواعث والاعراض فيلوح لنا ان رأي مريميه هو اقرب الآراء الى الصواب قال : يبدو لنا ان سرفانتس انما اراد عند ما عزم على كتابة هذه الرواية ان يضيف رواية اخرى يسلي بها قراءه بما يقع لرجل غريب الاطوار شاذ الطبع من الحوادث . وكانت السخرية في ذلك العصر من ابرز الصفات في الادب . بل لقد قال هو نفسه ان غرضه كان السخرية من روايات الفروسية التي كانت قد أصبحت في ذلك العصر كتلة من الاكاذيب . ولكن ايّنا كانت البواعث التي حملته على الشروع في

التأليف ، فلا ريب أنه أدرك عند ما شرع فيه ، أنه عثر بعرق من الذهب ، فعرف قيمته . . . ثم اتسع امامه المجال فاصبحت روايته صورة مناسبة للاجتماع الاسباني في ذلك العصر بنبلائه وفرسانه وشعرائه وقسوسه وتجاره وفلاحيه ومتشرديه وفلاحاته وغوانيه

ويكاد يكون من المؤكد ان روايات الفروسية ، كانت في ذلك العصر لا تتمتع بنفس المكانة التي كانت لها قبلاً ، ولكن الكتب ابخذوا على كتاب دون كيشوت انه افضى بسخريته اللاذعة الى النيل من فكرة الشرف نفسها ، وهذا نقد على جانب من الصحة . لأن لقب « دون كيشوت » أصبح يطلق بعد ذلك على كل من يحاول التدخل في ما لا يعنيه

الا أنه على الرغم مما وصف به دون كيشوت من صفات الحمق تراه وأنت تقرأ بيان ما وقع له رجلاً محبباً قريباً الى القلب . بل انك لتجده ، عند ما لا تكون نزوة الفروسية متسلطة عليه ، رجلاً عاقلاً متزن الرأي ، وقد وصفه سرفانتس وهو يتحدث مع الفلاحين ، حديثاً كلسه نيل وذكائه ولطف إشارة ولا سيما عند ما كان يصور لهم العصر الذهبي او مع الاسياد يبسط لهم آراءه في التربية

وكثيراً ما كان يفوق صاحبه سانشو پانسا رجاحة عقل واصالة رأي ، وبوجه خاص عند ما كان يلقي عليه النصيح في كيف يجب ان يحكم جزيرته الموهومة

ان الجمع في خلق رجل واحد ، بين ما يثير سخريتك واستهزاءك من ناحية ، وحبك وعجابك من ناحية أخرى ، من آثار السحر في ريشة سرفانتس . ولعل

هذا هو السر في اقبال الناس على دون كيشوت وذيوع الرواية هذا الذبوع العظيم

اما سائسه سانشو پانسا ، فشخصية ابداعها عبقرية سرفانتس ، ليستعملها في

المقابلة بين الجنون في سبيل المثل الأعلى ، وخطة الاثرة التي تحرك الناس . بل لعل

الصفقتين ناحيتان ، من نواحي الانسان الواحد ، يحس بهما وفقاً لتقلب الاحوال

عليه ، فهو آنما مثل دون كيشوت في حماسه لمثله الأعلى وأريحيته ، وآنما آخر كسائسه

عملي كل العملي في سبيل المصلحة الخاصة الى حد الاثرة

سَيْرُ الزَّمَانِ

قوى المفاع الاولية

اقسامها وقوتها وطرق تنظيمها

أهم الحوادث المولية

في سنة ١٩٣٦

قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقوتها وطرق تنظيمها

ان أبهى عصور التاريخ اسستها المعارك
الفاصلة — تلك المعارك التي نذكر منها مجدو
وقادش ومراثون وأربلا وكونيه وزاما وينا
وواترلو ومقدن . فالأثم لا تنال المجد التي تصبو

اليه الا بالجيش . وكان
الحق للقوة وسيكون حليفها
دائماً . والأثم القوة قوية
في كل العناصر .. في آدابها
وقوتها وصناعاتها وتجارتها .
فقد نشأ الفن المصري في
أحضان قوة الأمبراطورية
المصرية كما نشأ الفن اليوناني
والادب الفرنسي . ولولا
القوة لما كانت الألياذة
الخالدة أو الشاهنامة أو
قصائد الشاعر المصري بناةور
... أو تجارة بريطانيا

ولنبداً الآن بوصف

قوات الدفاع في الدول الاوربية المتوسطة
مرجئين الكلام على الجيوش الكبيرة الى فرصة
مقبلة . ولكي يسهل علينا تناول هذا البحث
تصور أماننا خريطة أوربا فنبداً في الشمال

تسيطر القوة على التاريخ وتغير من صفحاته
جيلاً بعد جيل . فلم تكن الامبراطوريات
العظيمة وليدة النظريات والعقائد بل أسستها
قوة الجيوش التي سارت أثر تحوتمس ورمسيس

الثاني واسكندر وهنبسال
وجنكيز خان ومحمد الفاتح
وفردريك العظيم وناپليون .
هؤلاء الذين صنعوا التاريخ
صنعاً ولو أنهم لم يدونوه

واذا كان تحول التاريخ
قد اسرع خطاه في السنين
الاخيرة اسراعاً لم يعرف من
قبل فلأن الأثم أصبحت
تهدد بعضها بعضاً كل منها
بقوتها . فمنذ وضعت الحرب
العظمى أوزارها شاهدنا
سرعة في التطورات الاجتماعية
وكثرة في الاضطرابات

السياسية وتقلباً في المذاهب الاقتصادية وتنافساً
في التسليح . والشئ الوحيد الذي اضحى يملئ
كل تلك التطورات والاضطرابات والمذاهب
على الناس هو القوة الحربية ... مصدر العظمة

أقسام الجيش

وما يطلق عليها في الجيش المصري

Army Corps	فيلق
Division	فرقة
Brigade	لواء
Regiment	آلاي
Battalion	اورطة
Battery	بطارية
Squadron	فصيلة
Company	بلوك
Platoon	بلا تون
Section	صنف

دول الشمال

﴿ النرويج والسويد والدنمارك ﴾ تلك الدول الثلاث أصدقاء الجميع ليست لها مصالح كثيرة حيوية معرضة للخطر ومع ذلك تحتفظ بجيوش حديثة قوية . فالنرويج ذات جيش عدده في وقت السلم ١١٦١٠٠ يصل في حالة التعبئة الى ٢٤٠٦٠٠٠ وهو مؤلف من ست فرق كاملة وعلى سبيل المثال نذكر العناصر التي تتألف منها الفرقة في الجيش النرويجي ثلاثة آليات مشاة وآلي خيالة وفصيلة دراجات وآلي مدفعية ميداني وحامية حصون فوسومستروكت وساربسبرج وحامية فردريكستن وفردريكستاد وبجانب الفرق الست هناك آلي المهندسين وآلي مدافع مقاومة الطائرات وأورطة جوية . أما قوة الطيران النرويجية فتؤلفة من ٩٠٠ جندي وضابط و ٩٦ طائرة والجيش السويدي في وقت السلم عدده ٢٣٠٣٠٠ وفي أثناء الحرب يمكن تعبئة ٥٧٥٠٠٠٠ والسويد مقسمة الى اربع مناطق عسكرية رئيسية وثلاث مناطق صغيرة والتجنيد اجباري من سن العشرين الى الثانية والاربعين والجيش مؤلف من اربع فرق ولواء مستقل وقوات Norrland العليا وقوات Gotland وتتألف الخيالة من أربعة آليات والمدفعية من أربعة آليات مدفعية للفرق وآلي مدفعية للجيش وقسمين خلا مدفعية الحصون ومدفعية ضد الطائرات والمهندسين . وقوة الطيران في السويد عددها الف رجل يسيطرون على ٩٣ طائرة قوتها ٤٣٠٥٤٠ حصان و ٧٩ طائرة للتعليم العملي والفني وهذه الدنمارك التي لا يزيد عدد سكانها على ٣٦٦٨٤٦٠٠٠ نفس تحتفظ بجيش عدده ٩٥٠٠ وفي حالة الحرب يصل الى ٢٨٠٦٠٠٠ بسهولة . والجيش الدنماركي يتألف من فرقتين . فرقة زينند ومقرها في كوبنهاجن وفرقة جتلند في فيمبورج . وتشتمل المشاة على ثمانية آليات والخيالة على آليين والمدفعية على ثلاثة آليات مدفعية ميدان مختلفة . وآلي المهندسين يتكوّن من أورطين أما القوة الجوية فتؤلفة من مجموعتين (أربعة أسراب) وعدد طائراتها ٦٥ قوتها ٢١٠٠٠ حصان وعدد رجالها ٥٠٠

دول البلطيق

ان أكثرنا لا يتتبع أخبار الدويلات الأربع المطلة على البلطيق التي استولى عليها الألمان أثناء الحرب الكبرى ثم انفصلت عن الامبراطورية الروسية وأصبحت دولاً مستقلة . فتحوّلت جهود البلوشفيك نحو روسيا الاسيوية بعد اهماها أيام القيصر قضاءت مكانة لتنجراد وبزغ نجم موسكو ولا شك أن روسيا القوية لم يرضها هذا الانفصال واستمرت تتحدى حكومات تلك الدول

الى ان انتهى الأمر بعقد ميثاق عدم الاعتداء وان كانت المانيا تسعى الى انتزاع « ميل » من ليتوانيا . ونظمت استونيا ولاتويا وليتوانيا وفنلندا جيوشاً هي على قلة عددها منظمة ومسلحة ومدربة . والدولة المعدية عليها ستجد أمامها شعباً قويّة تعزّز بقوتها أمدت جيوش القيصر في أيامها الماضية بنخبة من رجالها البواسل . والخدمة العسكرية اجبارية والأعداد العسكرية مؤسس على أحدث نظم بعد الحرب ويستند الى القوات العسكرية هيئات الحرس المدني والجمعيات الشبيهة بالعسكرية فاستونيا وسكانها لا يزيدون عن ١٦٢٠٠٠٠ لها جيش عدده ١٣٦٠٠٠ رجل وفي وقت الحرب يبلغ هذا ٩٠٦٠٠٠ وهي مقسمة الى ثلاث مناطق عسكرية في كل منها فرقة كاملة والقوة الجوية تتألف من ٦٨ طائرة قوتها ٢٣٦٤٠٠ حصان وخمسمائة جندي وضابط

وللاتويا جيش مؤلف من ١٩٦٠٠٠ جندي مع ان عدد سكانها لا يتجاوز المليونين ويصل هذا العدد أثناء الحرب الى ١٤٠٦٠٠٠ . وهو يتركب من أربع فرق وبجانها القوات الفنية والميكانيكية ويبلغ عدد طائرات هذه الدولة مائة وعدد رجالها ألفاً تقريباً

وليتوانيا لها جيش عدده ٢٢٦٥٥٠ جندي وسكانها لا يزيدون عن مليون ونصف مليون وتستطيع في حالة الحرب ان تعي ١٩٠٦٠٠٠ . وعدد الطائرات العسكرية مائة وعشر طائرات وقوة رجالها ألف تقريباً

أما جمهورية فنلنده وهي أكبر الدول الاربع وسكانها يبلغ عددهم ٣٦٧٦٢٦٠٠٠ فعدد جيشها ٢٤٦٧٠٠ ويرتفع في وقت التعبئة الى ٣٠٠٦٠٠٠ وهي مقسمة الى تسع مناطق عسكرية كبيرة وتتألف الفرقة على سبيل المثال من الرأسة وثلاثة آليات مشاة وبلوك كلاب وآلين مدفعية ميدانية وبلوك دبابات ومستودعات للتدريب وبلوك سيارات . والقوة الجوية ومقرها في هلسنكي تشتمل على ١٢٠ طائرة وعدد رجالها ثمانمائة . وعناصر الحيوش الأربعة مؤسسة على أحدث النظم الميكانيكية

بولنډ

نشأت الجمهورية البولندية في اواخر الحرب العظمى وهي مدينة بنهضتها لقواتها العسكرية . فبعد ان تلاشت قرناً طويلاً أعاد اليها رجالها الحياة مواجهين كل ضروب المصاعب والازمات . وكان الجيش البولندي الحديث وليد نهضة بولنده ومرتبته الاوربية بعد جيوش فرنسا وايطاليا والمانيا وروسيا . ولتقوية الروح الحربية في البلاد جعلت الخدمة العسكرية اجبارية تبدأ في سن الواحد والعشرين وتنتهي في الخمسين ومدتها عامان في الجيش العامل . ولما كان التجنيد الاجباري يمد الجيش بعدد من الجنود فيفيض على العدد المقرر للجيش خفضت مدة الخدمة الانزامية الى ١٨ شهراً والشبان الذين لا يأتي دورهم للخدمة في الجيش العامل ينضمون الى الوحدات المساعدة (الاحتياطية) وهي التي تضم بين صفوفها مجندات من الفتيات

وعدد سكان بولنده ٨٢٣٦٠٠٠ وحيدشها ٢٩٧٦٠٠٠ وتستطيع ان تجند في وقت الحرب ثلاثة ملايين جندي . وتنقسم بولنده الى عشر مناطق عسكرية وفي كل منطقة فيلق يتألف من ثلاث فرق . فالجيش البولندي يحتوي على ثلاثين فرقة منها فرقان للاعمال الجبلية وفرقة للخيالة و ١٢ لواء خيالة مستقلة التنظيم . وتركب المدفعية من ست راسات وأهم ما تشتمل عليه ٣١ آلي مدفعية ميدانية مختلفة الانواع وقوة المهندسين كبيرة جداً وحديثة التنظيم وأعلى الرتب العسكرية هي «المفتش العام للقوات العسكرية» وقد انشأ هذا المنصب الماريشال « بلسودسكي » وأدججه بأعمال وزير الدفاع الى ان مات وتولاه من بعده الماريشال « سمجلي ريدز » المسيطر اليوم على جميع أعمال الدفاع البولندي وقد منح من اسايح رتبة ماريشال والاعداد العسكري اجباري وفي المدارس يقوم بالتدريب العسكري رجال التربية البدنية والجمعيات الشبيهة بالعسكرية مثل Sokhols . وفي بولنده جمعيات حرية كثيرة للدفاع السلي وتنظيم الوقاية ضد الغازات

والقوة الجوية في بولنده تتألف من ٤٨٠ ١٦ طائرة قوتها ٨٠٠٠٠٠٠ حصان وقد احييت قوة الطيران صناعة المحركات والاجهزة التي تحتاج اليها الطائرات وتصنع بولنده اليوم كل ما تحتاج اليه من مستلزمات الصناعات الجوية فضلاً عن ان طبيعة البلاد وامتداد اراضيها واتساع مداها تساعد على تقدم السلاح الجوي المؤلف من ستة آليات وأورطين مناطيد ويبلغ عدد طائرات المطاردة والاستكشاف فقط سبعمائة

ولولا الازمة المالية التي تعانيها بولنده لكان لديها اضعاف هذا الجيش ولتطورت اعمال التسليح فيه ومن مصلحة أوروبا ان تحتفظ بولنده بقوات دفاعية كبيرة لوقاية غرب أوروبا من تسرب البولشفية اليه مع العلم بأن ٣٣ الى ٣٤ ٪ من ميزانية بولنده مخصصة لأعمال الدفاع

بلجيكا وهولندا

اهتمت بلجيكا بحكم موقعها الاستراتيجي وكونها الهدف الاول للهجوم العدائي باقامة الحصون وتشديد الاستحكامات التي تعرقل العدو المهاجم من حوض الرين . تلك الاعمال التي تعطل اعمال الهجوم وقتاً ما تمكنها من جمع قواتها المعبأة لمقاومة العدو . وقد اسست سياستها الدفاعية على هذه الاركان وهي سياسة عسكرية لاشك انها ترضي صديقتها فرنسا . فالبلجيك خط الدفاع الاول لها ولا ندري الى اي حد ستقلب أو ستعدل خطط البلجيك الحربية بعد ان اعلن ملكها خطة الحياد والجيش البلجيكي يتألف في وقت السلم من ثلاثة فيالق (ست فرق مشاة) وقوات دراجات الحدود وفيلق خيالة ولواء مدفعية وقوات «الريتوريال» الجوية وقوات المهندسين والحصون وقوات النقل والاعمال والأقسام الطبية وقوات «الريتوريال» . يضاف الى تلك القوات ما هو مخصص

لخطوط الدفاع المتتابعة في الأردن على حدود لوكسمبرج وعلى نهر الموز مارة بليج ونامور وفيما بين انفرس ونامور وأمام ايسكو

وبالاختصار وصل عدد الجيش هذا العام الى الرقم ٦٠٠ ٧٣ منهم اربعة آلاف ضابط وتسعة آلاف ضابط صف وتستطيع بلجيكا في وقت الحرب ان تعي ما لا يقل عن ٨٠٠ ٠٠٠ جندي

وجيشها في المستعمرات عدده ١٣٦ ٠٠٠ من اهالي الكونغو البلجيكي وضباطه من البلجيكيين وعددهم ١٣٠ وكذلك ضباط الصف بلجيكيون

ونظام التجنيد البلجيكي مؤسس على وحدات المليشيا . ويبلغ عدد دفعة المجندين ٤٦ ٠٠٠ منهم ٢٠ ٢٠٠ يخدمون ثمانية أشهر و ١٩ ٦ ٠٠٠ اثني عشر شهراً و ٥ ٠٠٠ ثلاثة عشر شهراً بحسب الأسلحة التي يوزعون عليها ولكن من المحتمل تغيير هذا النظام بعد تطور الحالة السياسية الأخيرة في البلجيك

أما القوة الجوية فتشتمل على ٣٨٠ طائرة مختلفة وعدد رجالها ٨٤٠ ويتبعها بعض المناطيد فإذا انتقلنا الى جارتها هولنده صديقة الأسرة الدولية نجدها غير مطمئنة بعد ان أنشأت فرنسا والبلجيك خطوط الاستحكامات والحصون القوية على الحدود التي تقاوم بها خطط الهجوم الألمانية . وتخشى اليوم هولنده أن تغير ألمانيا طرق هجومها التي اتبعتها أثناء الحرب العظمى (١٩١٤) وتحقق خطة أخرى صرّح بها ضابطان ألمانيان تعرف بأسمهما وهي « خطة فون إيب وكلويز » وهذا المشروع يقضي باكتساح جانب كبير من هولنده بواسطة قواتها الميكانيكية فتشطر البلاد الى قسمين وتجعل من القسم الشمالي مركزاً هاماً للغواصات والطائرات الألمانية

وفي خلال السنين الأخيرة اهتمت هولنده بوقاية الترع ورءوس القناطر والقنوات والسدود وذلك بتجهيزها بالمفرقات والمدافع السريعة . ففي حالة الهجوم المفاجيء تقوم قواتها بفتح أهم السدود ونسف القناطر واغراق المناطق التي تدفع منها قوات الاعداء وتعرقل تقدمها بكل الوسائل ويبلغ عدد سكان هولنده تسعة ملايين تقريباً وجيشها (فيما عدا قوات المستعمرات) قوته ١٩ ٦ ٥٠٠ — ويبلغ جيش المستعمرات ٣١ ٦ ٥٠٠ وفي قدرتها تجنيد ٨٠٠ ٠٠٠ جندي في وقت الحرب على الأقل . والجيش الهولندي مؤلف من اربع فرق ولواء مشاة خفيفة وآلي مدفعية للسواحل وفيلق مدفعية ضد الطائرات وآلي مهندسين وفيلق للكباري والا لغام . والفرقة الهولندية تشتمل على لوائين مشاة ولواء مدفعية نصفه (آلي) وحدات ميكانيكية

وتألف القوة الجوية في هولنده من ٢٦٦ طائرة مجموع قوة محركاتها ١٣٣ ٦ ٧٠٠ حصان

وعدد رجالها خمسمائة

النمسا والمجر وبلغاريا

قضت معاهدات الصلح بعد الحرب على ان يكون جيش النمسا ٣٠٠٠٠٠ وجيش المجر ٣٥٠٠٠٠ وجيش بلغاريا ٢٠٠٠٠٠ وحافظت الدول الثلاث على شروط معاهدات سنت جرمين وتريانون ونويي الى ان اُفلتن من قيودها كما مزقت ألمانيا شروط معاهدة فرساي شرطاً بعد آخر واستمرت النمسا لسوء حظها تجابه الأزمات الداخلية والسياسية والاقتصادية الى ان نظمت جيشاً مؤلفاً من سبع فرق مشاة وفرقة خيالة وبعض القوات الميكانيكية والدراجات والفرقتان الاولى والثانية تمسكران في فينا والثالثة في سنت بولتن (النمسا السفلى) والرابعة في لنز (النمسا العليا) والخامسة في جراتز والسادسة في سالزبرج والسابعة في كارينثيا والتيرول الشرقي. وهناك فرقة للطوارئ السريعة في فينا ايضاً

ويبلغ عدد سكان النمسا ٦٠٧٨٦٠٠٠ وعدد هذا الجيش ثلاثون ألفاً وتستطيع ان تعي ٣٠٠ ألف على الأقل

ولم يكن للنمسا من القوات الجوية سوى آلايين وبلوك ضد الطائرات وقد اضطرت في الايام الاخيرة الى بذل عنايتها بالاسلح الجوي فناشدت الحكومة الأمه النمساوية بلسان الجنرال زهرن وزير الدفاع في خطاب اذاعه بالراديو طلب منها ان تمدد المساعدة لبناء الاسطول الجوي الذي تقتصر اليه النمسا كثيراً في هذه الأوقات. وقد بدأت حركة الاكتاب في منتصف شهر أكتوبر الماضي وتطوع لهذا الغرض اكثر من خمسة عشر ألفاً يجولون في النمسا ويحثون الشعب على التبرع كل بحسب مقدراته المالية

وهذه المجر التي يبلغ عدد سكانها ٨٠٧٠٠٠٠ لها جيش قوته العددية ٣٣٦٠٠٠ وتقدر على تعبئة ٨٠٠٠٠٠ جندي في وقت الحرب. وتعمل المجر كل ما في وسعها للتخلص من معاهدات ١٩١٩ التي ساءت منها ولايات تعدها مجرية وقوى هذا الشعور خلال العامين الاخيرين بتشجيع موسوليني فهي الآن تنتهز الفرصة لتحقيق آمال المجريين ولو على الأقل جمع الشعوب المجرية التي انضمت بقوة المعاهدات الى رومانيا ويوجوسلافيا وتشكوسلوفاكيا

وهي تعمل الآن على زيادة عدد جيشها واعداد الوسائل الميكانيكية وخلق قوة جوية مناسبة واهم الوحدات الكبيرة في الجيش المجري سبعة لواءات مشاة ولواءان خيالة مستقلة وخمس بطاريات مدفعية وثلاث أورط من المهندسين وقوة من السيارات المدرعة. ومن المحتمل ان يغير التجنيد الاختياري الى الاجباري

اما بلغاريا وسكانها ستة ملايين فلها اليوم جيش يبلغ عدده ٣٢٦٣١٥ تقريباً وفي مقدرتها تجنيد نصف مليون وقوتها الجوية لا تكاد تذكر وليست لها بحرية ايضاً. ويتألف جيشها من

ثمانية آليات مشاة وثلاثة خيالة و٢٤ بطارية مدفعية مختلفة وقوة من المهندسين وبلغاريا من الدول الاوربية القليلة التي يدفع شبانها الذين لا يرغبون في خدمة الجيش البدل النقدي

سويسرة

وهذه سويسرة وكانت مضرب الامثال في الحياد الاوربي اضطرت اخيراً أن تخوض معترك التسليح . فركزها الجغرافي من الناحية الاستراتيجية مما لا تغبط عليه لانها محفوفة من جميع حدودها بدول مختلفة في المذاهب السياسية وتتصادم مصالحها معها بشدة . ثم انها شاهدت حبوط تجربة المواثيق والمعاهدات . وسويسرة كما نعلم جمهورية صغيرة عدد سكانها ٢٠٠ ١٠٠ ٠ ٢ لها جيش قوته أربعون الف جندي وتستطيع تعبئة ما لا يقل عن ٣٥٠ ٠ ٠٠٠

والجيش السويسري من الجيوش التي تستحق دراسة انظمتها ولولا ضيق المقام لا سبنا في الكلام على تنظيمه وتنسيقه واعداده وهو في الواقع ميليشا نظامية يجند له سنوياً ٢٥٠ ٠ ٠٠٠ مجند فيتنظمون في وحدات المليشيا مدة تختلف من ستين يوماً الى مائة يوم فقط . ولذلك ليس لسويسره جيش ثابت كما هو الحال في الدول الاخرى وليس لها سوى ثلثائة معلم للتدريب !

ويتألف الجيش السويسري من ثلاث طبقات . فالطبقة الاولى وهي النخبة (Elite) ورجالها تتفاوت اعمارهم من العشرين الى الثانية والثلاثين . والطبقة الثانية (اللاندوهر) وأعمار رجالها بين الثلاثة والثلاثين والاربعين . اما الطبقة الثالثة (اللاندستورم) وهي للجنود الذين تختلف أعمارهم من الواحد والاربعين الى الثامنة والاربعين . ولكل من تلك الطبقات أعمال دفاع خاصة . ويبلغ عدد الطائرات العسكرية ٢٥٠ طائرة وعدد رجالها ٢٠ ٩٠٠

وقد أصدرت الحكومة السويسرية في ١٩ يونيو ١٩٣٦ أمراً بأعادة تنظيم قوات التجنيد على أساس جديد مؤلف من ثلاثة فيالق وتسع فرق وثلاثة لواءات جبلية مستقلة غير قوات الحصون والحدود . وينتخب الضباط من بين ضباط الصف في الجيش بعد تأدية امتحانات خاصة

دول التحالف الصغير

واذا انتقلنا الى الكلام عن تشكوسلوفاكيا التي انشئت على انقاض جانب من امبراطورية النمسا والمجر وسيليزيا العليا الالمانية وجدناها تشغل مساحة ١٤٠ ٠ ٠٠٠ كيلو متر مربع وتردح بخمسة عشر مليوناً من الانفس وتحيط بها المانيا وبولنده والمجر والنمسا ورومانيا . ولكي تطمئن ولا تهدد احتفظت بقوات كبيرة للدفاع . لم يكن للتشك قبل عام ١٩١٩ سوى قوات غير نظامية فاستقدمت الحكومة الجديدة بعثة عسكرية من فرنسا لتنظيم الجيش الجديد . بيد ان ساسة

راج لم يهتموا كثيراً بتكوين جيش كبير في بادىء الأمر فقد كانت النظم البرلمانية والمبادئ الديمقراطية أشياء جديدة بعد معاهدة فرساي تستهوي الناس لكن عدم الاستقرار من ناحية السلم الاوربي جعلهم يعنون بالأمر الواقع فبدأ النشاط العسكري تألفت القوات الاولى للجيش على أحدث الاساليب وبدأ ارتقاء الجيش يسير على مهل متبعاً الادوار السياسية الدولية ووضعت سياسة قومية للدفاع

ان الخدمة العسكرية في تشكوسلوفاكيا اجبارية ولمدة عامين في الجيش العامل وجميع الشبان الذين تتفاوت أعمارهم بين ال ١٧ وال ٦٠ سنة يستدعون للخدمة في الصفوف في حالة التعبئة . وقوة الجيش في اثناء السلم ١٧٨٥٠٠ من هؤلاء ١٠٦٢٠٠ ضابط و ٦٦٠٠ للقوات الجوية ويتألف الجيش من ١٢ فرقة مشاة و ٤ لواءات خيالة ولوائين من المشاة الجبلية و ١١ أورطة للحدود واربع أورط دراجات وهذه القوات موزعة على المناطق العسكرية الاربع المقسمة اليها الجمهورية . ومما يعزز التسليح في تشكوسلوفاكيا ، كفاءة البلاد الصناعية وتفوقها في هذه الناحية على حليفتها رومانيا ويوجوسلافيا . ففيها مصانع سكودا للأسلحة والذخيرة وهي المصانع التي كانت تم قبل الحرب امبراطورية النمسا والمجر وكذلك المانيا بأدوات القتال الكبيرة وتسير الجمهورية سيراً حثيثاً في ادخال العناصر الميكانيكية على أسلحتها فهي تمتلك منها وحدات كاملة للقل والمدفعية وشم أنها لا تألو جهداً في تشييد خطوط الدفاع والحصون على الحدود . وقد تطور التعليم العسكري كما كثرت المعاهد الحربية وربع عدد الضباط من الذين تخرجوا في مدارس النمسا قبل الحرب . وحالة التعليم العام في البلاد تسمح بالعدد المطلوب من ضباط الصف اللازمين وقوة الطيران مؤلفة من ستة آليات وعدد طائراتها سبعائة

والجيش التشكوسلوفاكي أداة حربية من الطراز الأول في أواسط أوربا أثناء السلم لكننا لا نعلم كيف يكون موقفه اذا قامت العاصفة فهناك عوامل كثيرة قد تؤثر فيه من ناحية طبيعة تكوين الجمهورية من عناصر مختلفة

واذا عطفنا على رومانيا وجدنا دولة قد ظفرت بمعاهدة الصلح بمقاطعات جديدة تعادل أكثر من ضعف مساحتها الأصلية وبينما ازداد عدد سكانها الى ١٩ مليوناً تقريباً ولا شك في انها ترغب في الاحتفاظ بهذا كله وتقاوم كل تعديل يمس المعاهدات التي كسبت بها هذا الكسب ولذلك كان اهتمام رومانيا بحيشها في مقدمة أعمال الدولة فدرت به بعتة عسكرية فرنسية والخدمة العسكرية في رومانيا اجبارية تبدأ في سن الواحد والعشرين الى الخمسين ومدتها عامان في الجيش العامل وثلاثة أعوام في الطيران والبحرية والجندرية وحراس الحدود وقد خفضت تلك المدة في الأعوام الأخيرة فأصبحت ١٨ شهراً للجيش و ٢٧ شهراً للقوات الأخرى .

ويقضي الشبان الذين تتباين أعمارهم من ١٨ — ٢٠ سنة ، خدمة اجبارية شبه عسكرية قبل انضمامهم الى وحدات الجيش مدتها شهران تقريباً سنوياً في معسكرات التدريب ويتألف الجيش الروماني من ٢٢ فرقة مشاة وفرقتين للرماة وأربع فرق خيالة وأربعة آليات عربات ميكانيكية و ٥٣ آلي مدفعية مختلفة وعدة أدرط للمهندسين والقوات الكيماوية وغيرها. ويبلغ عدده ٢٥٠,٠٠٠ جندي و ١٥,٠٠٠ ضابط و ١٣,٦٠٠ للقوات الجوية التي يبلغ عدد طائراتها ٩٤٠ قوتها ٢٧٠ ألف حصان ورجالها ١٣,٦٠٠

فاذا انتقلنا الى الكلام عن يوجوسلافيا وجدنا الصرب قد حققت حلها القديم بانشائها دولة كبيرة على شاطئ الأدرياتيك مؤلفة من ولايات الصرب والكروات والسلوفين والجبل الاسود فوصل عدد سكانها الى ١٥ مليوناً تقريباً ولها اليوم جيش كبير منسق على الأسلوب الفرنسي وهي مقسمة الى خمس مناطق عسكرية موزعة فيها الوحدات الآتية ١٦ فرقة مشاة وفرقتان للخيالة وثلاثون آلي مدفعية مختلفة وثمانية آليات مهندسين . والخدمة العسكرية في يوجوسلافيا تبدأ في سن العشرين الى الخمسين مدتها ١٨ شهراً في الجيش وعامان في القوة الجوية ويبلغ عدد الجيش ١٣٨,٠٠٠ منهم ٦,٠٠٠ ضابط و ١٠,٠٠٠ للقوة الجوية. أما عدد الطائرات فلا يقل عن ٨٦٠ طائرة

ولو ان الجندي الصربي والكرواتي شجاع ومقاتل من الطراز الأول بيد ان تدريبيه على النظم الجديدة يلاقي صعوبة ولا سيما تدريب ضباط الصف كما تعاني رومانيا أيضاً في الأسلحة الفنية ويعتمد الآن على الضباط الشبان في الدولتين لتحسين حال المستوي العلمي والفني الجديد على الرغم من الصعوبات التي يلاقونها من رؤسائهم الذين تخرجوا على الأساليب القديمة

دول البحر المتوسط

وهذه تركيا التي لا تريد غير السلام مع جاراتها وليس لها أي مطامح استعمارية ولكي تحقق سياستها احتفظت بقوات دفاعية من الطراز الأول . فالجمهورية التركية التي انشأها أتاتورك ومساحتها ٧٦٣,٠٠٠ كيلو متر مربع يقطنها ١٠,٠٠٠ ١٦٦٢ ركي وتاخم حدودها بلغاريا واليونان وروسيا وإيران والعراق وسوريا

والجيش التركي الجديد وليد النهضة الحديثة وهو أهم عناصر الدولة التركية ومؤلف من عشرة فيالق والفيلق التركي يحتوي على فرقتين مشاة وآلي خيالة وآلي مدفعية ثقيلة وأورطة مهندسين وأورطة للنقل وأورطة قطارات ميكانيكية . ويبلغ عدد الجيش التركي ١٣١٦٢٧ من هؤلاء عشرون ألف ضابط وعشرة آلاف ضابط صف . أما القوات الجوية فتألف من ٨٦٣٨٣ جندياً و ٣٧٠ طائرة من أحدث طراز

والخدمة العسكرية في تركيا اجبارية تبدأ في سن الواحد والعشرين وتنتهي في سن السادسة والأربعين منها في الجيش العامل سنة ونصف (المشاة) وستان في الأسلحة الفنية والخيالة والطيران وستان ونصف في الجندرمة والجمارك وثلاث سنوات في البحرية ويستدعى الرديف كل عامين للتدريب العسكري مدة شهر ونصف . وفي حالة التعبئة تستطيع تجنيد مليون جندي وسيطبق في القريب قانون جديد للخدمة العسكرية في تركيا فينشأ فصل تحضيري حربي للشبان من سن ١٦ الى ٢٠ وفرض الخدمة العسكرية سيمتد من ٢٠ الى ٦٠ سنة وسيسري على النساء أيضاً التزامات الخدمة العسكرية وفي حالة التجنيد العام يجب عليهن القيام بالخدمة من سن ١٦ الى ٦٠ في المكاتب والمنشآت الصحية في الميدان الخلفي واليونان صديقة تركيا اليوم كان جيشها الى عهد قريب كثير الاشتراك في الادارة السياسية . وهي على رغم حالتها الاقتصادية السيئة تحتفظ بجيش عدده ٨٢٠ ٤٩٠ ولا يزيد عدد سكانها عن ٦٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠ وهذا الجيش يتألف من اربعة فيالق موزعة في آثينا ولاريسا وسالونيك وقوله . ويشتمل على جميع الاسلحة الحديثة كما ان التعليم العسكري منظم تقوم به المدرسة العليا للدراسات العسكرية (للضباط العظام) وكلية اركان الحرب (للصاعث واليوزباشية) والمدرسة الحربية ومدة التعليم بها اربع سنوات اما القوة الجوية فتؤلفه من ١١٩ طائرة قوتها ٦٣ ٠٠٠ حصان وعدد رجالها ٣١٨٠

البانيا والبرتغال

وهذه المملكة الصغيرة البانيا لها جيش يعادل عدده ١٢٦ ٦٢٩ جندياً ٧٧١ ضابطاً مع ان عدد سكانها لا يزيد عن ٠٠٣ ٠٠ ٠ فقط ويتألف الجيش الالباني من الحرس الملكي وقوات الحدود (اربع اورط) و١٢ اورطة مشاة ونصف للسيارات المدرعة والدبابات و ٢٢ بطارية مدفعية وتسعة بلوكات مهندسين . ولقد تقدم التعليم العسكري فيها اخيراً أما جمهورية البرتغال وعدد سكانها سبعة ملايين فلها جيش مؤلف من ثلاثين الف جندي وتستطيع في وقت الحرب تعبئة ٦٥٠ ٦٠٠ جندي وجيشها مؤلف من ٢١ آلي مشاة و ٤ اورط مشاة مستقلة وتسع اورط مشاة خفيفة وثلاث اورط للدراجات ولوائين للخيالة وخمسة آليات للمدفعية وبعض البطاريات الجبلية ومدفعية السواحل ومدافع مقاومة للطائرات وفريق المهندسين . وعدد الطائرات العسكرية في البرتغال ١٣٠ طائرة وعدد رجالها ١٠٠٠ والكلام عن الجيش الاسباني ليس في محله الآن ، ولعلنا نوفق الى التحدث عنه في فرصة مقبلة

أهم الحوادث المولية

في سنة ١٩٣٦

كانت السمة العامة الغالبة على أحوال السياسة الدولية في سنة ١٩٣٦ سمة الاضطراب والقلق. فقد أهلت السنة والقتال مخدماً في ميادين الحبشة وشبح الحرب محوّم فوق البحر المتوسط والجلاء مستحكماً في صلات إيطاليا وبريطانيا. كانت جامعة الأمم قد حكمت في أواخر سنة ١٩٣٥ بأن إيطاليا معمدية، وقرّرت فرض العقوبات المالية والاقتصادية التي تنصّ عليها المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة، إلا أن حكومتها النمسا والمجر رفضتا الاشتراك في العقوبات، ولما أرادت الجامعة أن تدخل النفط والقطن والفحم في عداد المواد التي تشملها العقوبات، أُنذر السنيور موسوليني وتوعّد، لأن النفط بوجه خاص عصب الحرب الحديثة تسير به الدبابات والسيارات على الأرض وتحلق به الطائرات في الفضاء، وقال أنه يعتبر هذا القرار عملاً حريصاً يقابله من جانبه بعمل حربي. فأجّل البحث في الموضوع، وعجّل الجيش الإيطالي في اكتساح الحبشة إلى أن دخل أديس أبابا بعيد خروج النجاشي منها، فقضي الأمر وأصبحت دول الجامعة أمام الأمر الواقع، ولكنها لم تستطع أن تبلع الهزيمة إلا بعد أشهر، فاعترفت في الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة بأن الاستمرار في فرض العقوبات لا يحقق أي غرض من أغراض فرضها، وعلاوة على ذلك يبقى باعناً من بواعث الاستفزاز فألغيت، وكذلك تمهد السبيل قليلاً قليلاً، لتحسّن العلاقات بين إيطاليا وبريطانيا، ولا سيما بعد ما أعلن المستر آيدن وزير خارجية بريطانيا، انتهاء اتفاقات التعاون المتبادل التي عقدها بريطانيا في أثناء الازمة الحبشية، مع دول البحر المتوسط كيوغوسلافيا وتركيا وغيرها، فتمت بين الدولتين في العهد الأخير تسوية المسائل التجارية المتعلقة بينهما، واستؤنفت العلاقات التجارية وأشرفت السنة على آخرها، وأقطاب الدولتين يذيعون، أن ليس ثمة حائل يحول دون تعاونهما على حفظ السلام في البحر المتوسط في اليوم السابع من شهر مارس الماضي أصدر الهر هتلر أوامره إلى الجيش الألماني، بدخول منطقة الرين التي قضت بمعاهدة فرساي بتجريدتها من السلاح، ثم ضمن ذلك بمعاهدة لوكارنو التي وقعتها ألمانيا بمحض اختيارها وأعلن الهر هتلر غير مرّة احترامه لها. ولكن عذر ألمانيا في الاقدام على نقض معاهدة قبلتها مختارة، كان أن فرنسا عقدت ميثاقاً قائماً على قاعدة التعاون المتبادل مع روسيا السوفيتية غرضه الاحداق بها وإن هذا نقض معاهدة لوكارنو، قبل احتلاله لمنطقة الرين. وقد ردّ الفرنسيون والروس وغيرهم على ذلك بأن الميثاق عقد ضمن نطاق جامعة الأمم، وأنه دفاعي لا هجومي وأنه متسع لألمانيا إذا شاءت الانضمام إليه.

وقد كان احتلال منطقة الرين فاتحة ازمة سياسية خطيرة في غرب اوربا، انكسرت حدتها الآن ولكنها لم تُحل. وقد كان ميل الفرنسيين اولاً الى مقاومة الاحتلال الالماني بالقوة، ويقال انهم لو فعلوا، لعادت الجنود الالمان من دون ان تشبك معهم في قتال، لان المهر هتلر كان قد امرهم بهذا. ذلك ان قواد الريخسفير كانوا يخشون ان يفضي الاحتلال الى نشوب حرب، والمانيا لم تتم استعدادها العسكري، اما المهر هتلر فكان مقتنعاً بان الاحتلال لا يفضي الى حرب، فاصدر الاوامر الى جيشه بالنكوص اذا تصدّت له قوات فرنسا المسلحة ارضاء لقوادد قتلا ذلك اجتماعات عقدها ممثلو دول لوكارنو، اي فرنسا وبريطانيا وبلجيكا، ورفضت إيطاليا ان تشترك فيها اشتراكاً فعالاً ما زالت العقوبات مفروضة عليها. ورضيت الحكومة البريطانية بان تعهد بالنهوض بالتزاماتها الموضحة في معاهدة لوكارنو، اذا وقع اعتداء غير مستقر على فرنسا او بلجيكا او كليهما، وشرع اركان الحرب في جيوش هذه الدول في محادثات غرضها تنسيق العمل بين الجيوش الثلاثة اذا قضت الحالة باشتراكها في عمل حربي واحد. وعقد مجلس جامعة الامم في لندن برئاسة المستر ستانلي بروس ممثل حكومة استراليا، وحضره المرفون رينتروب موفداً من قبل حكومة الريخ لبيان موقفها والبواعث عليه، فاتجه الرأي اخيراً الى عقد مؤتمر جديد يكون غرضه وضع ميثاق آخر على نمط ميثاق لوكارنو يشمل دول اوربا الغربية. ولكن الحوادث توالى من اوائل الصيف، وعلى الرغم من تجديد الدعوة الى هذا المؤتمر من قبل حكومة بريطانيا لا تزال العقبات السياسية تحول دون عقده، وليس ثمة اي امل في عقده قبل آخر هذه السنة، اذا كان ذلك مستطاعاً على الاطلاق.

ومن بواعث القلق في اوربا اشتداد الحفاء بين المانيا، وروسيا السوفيتية. ففي ربيع سنة ١٩٢٢ عقدت بين روسيا و المانيا معاهدة رابالو المشهورة التي فوجئ بها مؤتمر جنوى الاقتصادي. كانت روسيا و المانيا تشعران في ذلك العهد، بانهما بين الدول الكبرى، ضحية معاهدة فرساي. ويقال ان هذا الشعور افضى الى تفاهم عسكري غير ضيق النطاق بينهما، وكان للخبراء والمهندسين الالمان، شأن كبير في تشييد مصانع الذخيرة والسلاح في روسيا، ولا يستبعد الصحافي الكبير دورانتى انه كان في روسيا عشرات من المهندسين الكيميائيين الالمان يعملون الروس صناعة الغازات الحربية وعلاوة على ذلك كانت المانيا الدولة الاوربية الاولى التي بثت بملحق عسكري الى موسكو، وسمحت بتعيين ملحق عسكري سوفيتي في برلين، وحضر الجنرال همرشتين رئيس الريخسفير مناورات الجيش الأحمر فاستقبل أحسن استقبال يضاف الى هذا ما كانت تستمع به المانيا في روسيا من الامتيازات الفصلية مميزة فيها على سائر دول أوربا، وما فتح لروسيا في المانيا من الاعتمادات المالية، حتى قيل ان دين روسيا ل المانيا بين ١٩٢٩ - ١٩٣١ بلغ ١٢٥٠ مليون مارك

فماذا حدث حتى انقلبت هذه الصداقة عداء؟ لا نذكر أنه حدث بين الدولتين في خلال السنوات الاربع الاخيرة حادث واحد كبير من شأنه ان يعكس صفو العلاقات بين دولتين كبيرتين؟ ولكن كتابات اقصاب النازي في المانيا وخطبهم، من كتاب «كفاحي» الى خطب مؤتمر نورمبرج الذي عقد في خريف سنة ١٩٣٦ تشير جميعاً الى امر واحد، وهو اعادة المانيا الى المقام العالمي الذي خسرت سنة ١٩١٨ وهو غرض عال لا يسع أحداً ان ينكره على رجال تحركهم حبة الوطن والرغبة في اعلاء شأنه. الا ان كره المهر هتلر لما اطلق عليه اسم «النزعة اليهودية الماركسية» وجهت انظاره الى روسيا فصرح في كتابه «كفاحي» ان توسع المانيا في الشرق يجب ان يكون هدفها، لأن في روسيا والولايات الخاضعة لها على حدودها متسعاً لذلك اما في الخطب التي القيت في مؤتمر نورمبرج الاخير، فقد كانت الصراحة سمة القول عند الاشارة الى ثروة جبال الاورال المعدنية واهراءات أوقرانيا الغنية. وهذه النزعة العامة، تعززها اعتبارات سياسية واقتصادية. اولها ان احتلال أوقرانيا لا يكون سبيلاً الى غنى حقولها ومناجم حوض الدونetz وفيها الحديد والفحم فقط، بل سبيلاً كذلك الى الاستيلاء على منابع الزيت في غاليسيا. ثانياً ان التوسع في الغرب متعذر او هو صعب كل الصعوبة لان قوة فرنسا الدفاعية عظيمة جداً. وثالثاً موقف بريطانيا ونفوذها يثبطان أي ميل في ألمانيا الى مهاجمة دول غرب أوروبا. وقد كان المستر ايدن صريحاً في ذلك كل الصراحة في خطبته بلنغتون في أواسط نوفمبر. فلما نشبت الحرب الاهلية الاسبانية اغتصمت المانيا فرصتها لتجديد التنديد بالشيوعية وآلتها البولشفية، وكان آخر ما عمدت اليه عقد اتفاق مع اليابان لمقاومة الشيوعية علاوة على اتفاقها مع ايطاليا قبيل ذلك وكان أوروبا كان يعوزها عوامل جديدة لتعقد مشكلاتها، فجاءت الحرب الاهلية الاسبانية كقضية بذلك. فانتفض فريق من الشعب الاسباني بزعامة الجنرال فرنسيسكو فرانكو في ١٨ يوليو على حكومته وكان الظن في بادئ الامر ان الانتفاض ينحسم حالاً بفوز فريق على آخر، ولكن لم تنفض ايام، حتى ظهر ان النزاع سيطول لان الحكومة عاجزة عن خضد شوكة الثوار، ولان الثورة لحظاً في التدبير، لم تنتشر في وقت قصير انتشاراً يكفي لعرقلة اعمال الحكومة وحملها على التسليم، فتحول الانتفاض الى حرب اهلية دامية، دامت حتى كتابة هذه السطور، اربعة اشهر ونصف شهر، وليس يعلم احد كيف تنهي ولا متى

وخشي العاقلون من بدء هذه الحرب، ان تمتد من ميدان اسبانيا الى ميدان أوروبا، لان طائفة من الدول انقسمت ازاءها الى فريقين، فريق يؤيد الثوار ويمدده بالعتاد، وفريق يعطف على الحكومة ويؤيدها. فاقترح المسيو بلوم رئيس وزراء فرنسا، على الرغم من انه اشتراكى ورئيس وزارة تستند الى الجبهة الشعبية، وهي في أغراضها ومقاصدها تشبه الجبهة الشعبية

الاسبانية التي تستند اليها حكومة مدريد — اقترح الميسو بلوم ان تتفق الدول على عدم التدخل في الحرب الاهلية الاسبانية وأيدته بريطانيا في ذلك ، فاتفقت الدول على ذلك ، بعد تردد غير يسير من جانب ايطاليا والمانيا والبرتغال وانشئت في لندن لجنة دولية للإشراف على تنفيذ الاتفاق وعهد في رأسها الى لورد بليموث الانكليزي. وقد كان عمل هذه اللجنة محفوفاً بالمصاعب لكثرة التهم التي وجهتها الدول بعضها الى بعض بنقض الاتفاق، واضطرار اللجنة الى الاعتماد على البيانات الرسمية التي تقدمها الحكومات . ولكن المجمع عليه ان هذه اللجنة ، مع ما يمكن ان ترمي به من وجوه التقصير ، حالت حقاً حتى النصف الاول من نوفمبر دون امتداد النزاع من المانيا الى اوربا . نقول الى النصف الاول من نوفمبر لان حكومتى ايطاليا والمانيا اعترفتا بعد ذلك بحكومة برجوس التي انشأها الجنرال فرانكو ، ولا يعلم حتى كتابة هذه السطور ما يسفر عنه الاعتراف من نتائج دولية . الا ان الحالة في اسبانيا ونحن نكتب قائمة من ناحيتها الداخلية لانه يلوح لنا ان الحرب الاهلية ستطول بعد ما وقف تشار الثوار على ابواب مدريد ، ومن ناحيتها الدولية ، لان انداز الجنرال فرانكو بنيته ان يطلق القنابل على برشلونة ومينائها ، وان يوقع الحصر البحري على شواطئ اسبانيا الشرقية ، قديفضي الى مشكلات دولية معقدة كل التعقيد

واذا صرفنا النظر عن غرب اوربا وغربها الجنوبي الى قلبها وشرقها الجنوبي ، رأينا ان السنة الماضية كانت حافلة بالحوادث والاتجاهات الخطيرة . ففي ١١ يوليو تم الاتفاق بين المانيا والنمسا على ان تحترم الاولى استقلال الثانية . اي ان المانيا سلمت الآن بأن لا تحاول اخذ النمسا قسراً كما حاولت سنة ١٩٣٤ عند ما لقي المستشار دولفوس مصرعه ، ويقال ان هذا الاتفاق كان في الواقع ثمناً دفعته المانيا لتعاون ايطاليا معها في بعض الاغراض العامة التي تتجه اليها ، لانه ما زالت المانيا واقفة من النمسا موقفها الاول فايطاليا لا يسعها ان تضع يدها في يد الرينخ . وفي اواخر اكتوبر واوائل نوفمبر سافر الكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا الى برلين وبرخستجان حيث قابل فون نويراث والهر هتلر، فكان نتيجة اللقاءتين ، اعتراف المانيا بفتح ايطاليا للحبشة ، واشترى كهما في بعض الاغراض العامة وفي مقدمتها مقاومة الشيوعية في اوربا ، والتعاون الاقتصادي في حوض الدانوب والوقوف موقفاً واحداً ازاء الحرب الاهلية الاسبانية ومؤتمر لوكارنو المقترح

وقد نشطت المانيا في خلال السنة الى بسط نفوذها الاقتصادي في دول شرق اوربا الجنوبي ولاسيما في يوغسلافيا ورومانيا ، ففازت بقسط وافر من النجاح ، لانها جرت على خطة ابتدعها الدكتور شاخوت وهي زيادة ما تستورده المانيا من هاتين الدولتين ، ولاسيما اولاهما التي فقدت اكبر اسواقها باشتراكها في فرض العقوبات على ايطاليا ، على ان لا توفي الثمن مالاً بل بضاعة من مصنوعات المانيا . ويقال ان القرض السياسي عن هذه الخطة ، علاوة على الغرض الاقتصادي،

تفكيك العرى التي تربط دول الاتفاق الصغير قصد الضغط على تشكوسلوفاكيا وعلى فرنسا ، لالغاء ما يربطها بروسيا من موافيق التعاون المتبادل . واخيراً آتمت المانيا تكسيرها لقيود معاهدة فرساي ، باعلانها استعادة سيادتها الكاملة لنهر الاودر والالب والنيس والرين والدانوب ، وقناة كيل وقد كانت ملاحظة هذه الانهر قبل ذلك خاضعة لسيطرة لجان دولية

أما في ميدان التسليح فالامم الاوربية جميعاً سائرة فيه على قدم وساق . فروسيا خفضت السن العسكرية الى ١٩ سنة والمانيا اعلنت مضاعفتها لعدد جيشها وعين الهر هتلر الجنرال جورنغ للاشراف على تحقيق مشروع السنوات الاربع وغرضه ان تنظم الصناعة الالمانية بحيث تستطيع في آخره ان تكفي ذاتها في كل ما تحتاج اليه في حالة نشوب حرب . وبريطانيا ادركت وجوب العناية بقوات دفاعها فاقبلت على تجديد سلاح الجو والاسطول والحيش ، ولاسيما الاول وعينت وزيراً لتنسيق قوى الدفاع ولم تكثف بما تخرجه مصانعها من الطائرات بل اوصت بطائرات تصنع لها في اميركا . وفرنسا قررت تجديد سلاحها الجوي ومد خط ماجينو على مدى الحدود الفاصلة بينها وبين بلجيكا — بعدما اعلنت هذه خطة الحياض بلسان مليكها — وبينها وبين سويسرا . وتركيا طلبت تنقيح الاتفاق الخاص بالمضائق ففازت بمعظم ما تبغيه في مؤتمر مونتر و هي آخذة الان في تحصين الدردنيل والبوسفور . وايطاليا قررت ان تمضي في تعزيز اسطولها البحري وسلاحها الجوي . والنمسا نقضت النصوص العسكرية في معاهدة سان جرمان باعلانها التجنيد الاجباري في اوائل السنة ، ويتوقع العارفون ان تحذوا المجر حذوها فتنتقض النصوص العسكرية في معاهدة تريانون بعدما اعترف لها مؤتمر فينا الذي عقد في واسط نوفمبر بين ممثلي ايطاليا والنمسا والمجر بحق المساواة في التسليح وشجعها السنيور موسوليني باشارته الى وجوب انصافها

اما في الشرق الاقصى ، فاليابان ماضية في تغلغلها في الصين ، بالتهديد والفتح آنأ ، والمساومة والغزو التجاري آنأ آخر . وقد رفضت الاشتراك في الاتفاق البحري الذي عقد في لندن في اوائل هذه السنة ، لانه لم ينلها مطالبها البحرية ، وآخر اخبارها ، انها عقدت اتفاقاً مع المانيا ، جانب منه تجاري ، وجانب منه عسكري يوضع موضع التنفيذ في حالة اعتداء يقع على احدهما ومن حوادث السنة ، وفاة الملك جورج الخامس وارتقاء الملك ادورد الثامن العرش خلفاً له وعودة اليونان الى النظام الملكي ورجوع الملك جورج الى البلاد وفوز الجبهة الشعبية الاسبانية في انتخاب فبراير وفوز الجبهة الشعبية الفرنسية في انتخاب ابريل ومايو وإعادة انتخاب المستر فرنكلن روزفلت لرأسه الولايات المتحدة الاميركية باكثرية ساحقة والاتفاق النقدي الدولي بين بريطانيا واميركا وفرنسا وانضمام سويسرا وهولندا وبلجيكا اليه عند كتابة هذه السطور وعقد المعاهدة المصرية البريطانية ، والسورية الفرنسية ، واللبنانية الفرنسية ، وثورة فلسطين الدامية ، وما افضت اليه من تعيين لجنة ملكية بريطانية للتحقيق في مطالب العرب وتقديم مقترحاتها للحكومة

حول

الشذوذ في النظام الشمسي

سرني اهتمام الاستاذ الريحاني بالفلك وما يحويه من أرقام وقد رأيت في مقاله حول « الشذوذ في النظام الشمسي » (١) طرافة ومهارة في كيفية الخروج منه بطريقة لبقة موفقة ما كنت أظن أن يصل إليها ولا سيما بعد أن بدأ المقال بنبذة فلكية تدل على أن معلوماته في مبادئ علم الفلك لا بأس فيها . ويظهر أن الاستاذ خشي التورط فأوجز في هذه النبذة ولكن ماخشي منه وقع فيه عند قوله : « فن الحقائق الأولية في النظام الشمسي أن أدنى السيارات من الشمس هو عطارد وأن أبعدا نبتون . . . الخ . . . » وهما يتبين لنا أن الاستاذ لم يطلع على نبأ اكتشاف السيار التاسع الجديد بلونو وهو الآن أبعد السيارات المعروفة عن الشمس ولم يصل إلى علمه أن نظر علماء الفلك إلى النظام الشمسي قد تغير قليلا عند اكتشاف هذا السيار ثم عرض الاستاذ إلى حقيقة النجوم الدخيلة في النظام الشمسي بعد « أن مهد لذلك بكلمة فلكية موجزة » وبحث في السبب في وجودها في المنطقة الشاسعة بين المشتري والمريخ وخرج من هذا كله بالقول بأنه « ليس بين المناطق الشمسية الأخرى ما هو شبيه بها » . وأظن أن هذا القول يحتاج إلى دقة أكثر فلو وضعه على هذه الصورة : « ليس بين المناطق الشمسية التي نعرفها ما هو شبيه بها . . » لكان التعبير أدق ولكفاني مشقة التعليق . . .

وقال أيضاً : « وهل هو الدليل على أن اللاكون في عرف العلم بداية ونهاية ؟ بداية في السدم ونهاية في النيازك والشهب . . . » والواقع أن مسألة بداية الأكون ونهايتها لا تزال قيد البحث ولم يستطع العلم إلى الآن أن يصل إلى نتيجة حاسمة ونظرة إلى بحوث أدنغتون وجيز في مثل هذه الموضوعات تثبت صحة ما ذهبتنا إليه ، وفي اعتقادي أنه لا يجوز للاستاذ الريحاني ولا غيره التضحية بالحقائق في سبيل تعميق مقال وجعله في قالب جذاب واسلوب يعرب عن أدب جم

لقد اجمع علماء الفلك والرياضيات على أن السكون بموجوداته يسير بحسب نوااميس وأنظمة وان الانسان كلما تقدم في البحث عن اسرار الوجود تتجلى له هذه النوااميس وتلك الأنظمة بصورة اوضح وزاد اعتقاداً بوجود قوة خارقة منظمة منسقة محيط بنا ولا نحيط بها ، وعلى هذا فلا اظن أن احداً يشارك الاستاذ الريحاني في القول بأن « النيازك والشهب أتت من عالم الجلل والقوضى إلى عالم نظامه من الخلل والقوضى » . إذ أن العلم لم يستطع أن يثبت في امر منشأ النيازك ولا في نهاية الاجرام السماوية ويميل إلى أن العالم نشأ بحسب نظام خاص ونوااميس لا يعتمداها وان كل شيء يسير في عالم ليس من الخلل والقوضى بل في عالم هو النظام بعينه وختاماً أقول أنه اذا بدا للناس أن هناك شذوذاً او خلا او فوضى في هذا العالم فذلك لأن الناس لم تقف على أكثر اسرار السكون بعد ولا على ما يسوده من أنظمة ونوااميس وقد يصبح هذا الشذوذ وذلك الخلل وتلك الفوضى اضطراراً وتوافقاً ونظاماً بعد أن تتفتح امام الانسان بعض المغلفات وبعد أن يزيد اتساع افق تفكيره فيستطيع عندئذ أن ينفذ إلى الاعماق وأن يصل إلى معرفة حقائق الاكون

لا يزال الانسان على عتبة اليقظة العقلية ، فله كم من عجايب ومددشات ستجلى له في المراصد والتجبرات

قدري حافظ طوقان

نابلس

بَابُ الْإِنْجِلِ الْعِلْمِيَّةِ

جائزة نوبل الطبيعية

اندرسن وهس ومباحثهما

وأتقناها وصورا مساراتها كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة (جهاز دقيق استنبطه ولسن الانكليزي) . في هذه الصور لاحظ اندرسن علاوة على مسارات الأشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية . فاسترعى نظره أولاً أن هذه الخطوط لا تكون إلا أزواجاً . وثانياً أن أحدها منحرف إلى اليمين والآخر إلى اليسار . أي أن أحدها سالب والآخر موجب . وبعد البحث تبين أن الخط السالب المنحني يمثل كهربياً . فهاهو الخط الآخر ؟ ان أصغر وحدة للكهربائية الموجبة هي الممثلة في البروتون . والبروتون يفوق الكهرباء نحو ١٨٥٠ ضعفاً في كتلته . فإذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب أن يكون انحرافه أعظم جداً من انحراف الخط البادي في هذه الصورة

فقال اندرسن ان البروتون ليس بصنو الكهرباء . بل ان صنو الكهرباء يجب ان يكون دقيقة أخرى مجهولة أصغر من البروتون — ويجب ان تكون كتلتها مثل كتلة الكهرباء وانما تختلف عنه في ان شحنة الكهرباء سالبة وشحنة

حملت الينا الأنباء البرقية أن جائزة نوبل الطبيعية منحت لعالمين أحدهما أميركي هو الاستاذ اندرسن والثاني نمسوي هو الاستاذ هس

اندرسن والبوزيترون

أما الاستاذ اندرسن فمن أعوان العلامة الأميركي الدكتور ملكان صاحب المباحث المشهورة في الأشعة الكونية ووازن الشحنة الكهربائية على الكهرباء وحاز جائزة نوبل الطبيعية وقد فاز الاستاذ اندرسن بنصف جائزة نوبل الطبيعية جزاء له على اكتشافه البوزيترون او الكهرباء الموجب

كان اندرسن يبحث في الأشعة الكونية وهي على ما يعلم القراء أشعة شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكه بضع أقدام من الرصاص ولكنها تعي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة ولذلك يعتمدون الى تأثيرها في دقائق الهواء . ذلك ان هذه الأشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتشققها أي تزيل منها جانباً فيصبح الباقي وله شحنة كهربائية . ففي سنة ١٩٢٩ حاول عالم روسي ان يصور مسارات هذه الأشعة وتبعه ملكان واندرسن فحسنا طريقته

المنطلقة من الراديو لا يمكن ان يظهر تأثيرها في الهواء فوق بضع مئات من الأمتار فوق سطح الأرض لان الهواء يمتصها فيضعف فعلها رويداً رويداً بالبعد عن مصدرها فكان أول من عمد الى البلونات ، التي تحمل أدوات آلية للتدوين وأطلقها في الهواء فارتفعت الى علو ١٦ ألف قدم ولما هبطت وقرأ ما دونته الأدوات ثبت له صحة وجود أشعة تأتي من خارج جو الأرض شديدة النفوذ

فالاستاذ هس بتجربته هذه مهد الطريق للمكن ويكار وكطن ورجينر وغيرهم من الاعلام الذين عنوا بدراسة الأشعة الكونية وظننا انه اختير مع الاستاذ اندرسن لجائزة الطبيعة هذه السنة لانه من المبكرين في درس هذه الأشعة ولان درس هذه الأشعة أفضى بالاستاذ اندرسن الى اكتشاف دقيقة من الدقائق الأساسية في المادة الكهربائية هي الكهرباء الموجب

جائزة نوبل الطبية وكيمياء الاعصاب

الى بحث السر هنري ديل في مركب كيميائي يدعى «اسيتو كولين» وهو مادة وجد السر هنري انها تعمل عمل رسول بين الاعصاب والعضلات . ثم ان السر هنري عاد فتأثر في بحثه بمباحث العلامة النمساوي فين البحثين صلة وثيقة وهذا يفسر منح الجائزة لكليهما معاً ان كلا منهما قام بأبحاثه على حدة

هذه موجبة . وهذا الخط البادي في هذه الصورة يمثل هذه الدقيقة . فأطلق عليها للحال اسم « بوزيترون » أي الكهرباء الموجب . ثم توالت التجارب العملية فأيدت رأي اندرسن في وجود هذه الدقيقة وأشهرها تجارب بلاكت وأوكياليني في جامعة كبرج

هس والاشعة الكونية

هناك عالمان كيران كل منهما يدعى هس أحدهما يدعى الفرد هس وهو من أئمة المشتغلين بمسائل الفيتامين والكساح وتوليد الفيتامين في مواد الغذاء بتعريضها لاشعة خاصة وليس هذا بالذي شاطر الاستاذ اندرسن جائزة نوبل الطبيعية والثاني عالم نمساوي يدعى فيكتور هس ، كان في مقدمة الباحثين في الاشعة الكونية قبل الحرب . هذا هو الاستاذ هس الذي شاطر الاستاذ اندرسن جائزة نوبل الطبيعية هذه السنة فقد عمد الاستاذ هس قبل الحرب الى الحساب الرياضي الدقيق فظهر له أن أشعة غاما

منحت جائزة نوبل الطبية هذه السنة للسر هنري هلت ديل مدير المعهد القومي للبحث الطبي في همستد بلندن وللدكتور اوتو لوفي Loewi استاذ الصيدلة في جامعة غراتز بالنمسا جزاء لهما على محوئهما الخاصة بانتقال الرسائل العصبية انتقالاً كيميائياً

فبحث الاستاذ لوفي في عرف الخبراء أساساً ومبتكر . ولكن جانباً كبيراً منه يرد

الزكاء و حجم الدماغ

الروائيان شكري وتورجنيف والشاعر وتمن

دماغه المتوسط السوي . يقابل هذا ان الهنود ومكانتهم الفلسفية هي ما هي ينقص وزن ادمغتهم عن هذا المتوسط . او خذ شكري الروائي البريطاني وتورجنيف الروائي الروسي . فوزن دماغ الاول كان ٦ ر ٥٨ الاوقية حالة ان وزن دماغ الثاني كان ٧٤ اوقية . وليس ثمة من يقول ان شكري لم يكن من روائي الطبقة الاولى . ثم ان وزن دماغ ولت وتمن الشاعر الاميركي المبدع لم يزد على ٣ ر ٤٥ الاوقية

واذا عمدنا الى المقابلة بين حجم الادمغة وجدنا فروقاً كبيرة بين رجال يحسبون في الطبقة الاولى ذكاءً ومقاماً في تاريخ العالم . فحجم دماغ تورجنيف كان اكبر ما قيس منها إطلاقاً اذ كان ٢٠٣٠ سنتيمتراً مكعباً . يقابل ذلك ان حجم دماغ بسمارك كان ١٩٦٥ سنتيمتراً مكعباً ويتوفن ١٧٥٠ سنتيمتراً مكعباً

*

الفيتامين في التفاح

في التفاح فيتامين (ج) ولكن المباحث الحديثة التي اجريت في كلية ولاية واشنطن الاميركية تدل على ان مقدار هذا الفيتامين في التفاح يختلف باختلاف صنف التفاح . وثبت كذلك ان مقدار الفيتامين ينقص بالقياس الى طول المدة التي تتقضي على خزن الثمر بعد قطفه . ويزيد النقص بزيادة حرارة التخزن

وجد العالم الانثولوجي الاميركي الدكتور هرلوك بقايا شعب منقرض في بعض جزائر المحيط الهادىء وبين هذه البقايا عثر على جمجمة رجل ثبت انها اكبر جمجمة وجدت حتى الآن في نصف الكرة الغربي لان سعتها ٢٠٠٥ سنتيمترات مكعبة اي انها تنقص ٢٥ سنتيمتراً مكعباً فقط عن سعة اكبر جمجمة بشرية عرفت حتى الآن وهي جمجمة الروائي الروسي المشهور تورجنيف

ويقول الدكتور هرلوك في التعليق على هذه الجمجمة ان بين حجم الدماغ والذكاء صلة اكدية وان كانت غير واضحة كل الوضوح ولا ريب في ان كبر الدماغ في هذه الطائفة من الناس التي يمثلها صاحب هذه الجمجمة صاحبها تفوق في ذكاء ابنائها . فقد كان في قدرتهم ان يصنعوا ادوات تبدو فيها البراعة الميكانيكية . وكانت تساورهم رغبة الاستطلاع العلمي . بل هناك ما يشير الى انهم كانوا يكسرون جحاجم الفقم رغبة منهم في اكتشاف علة ما اتصفت به من حدة السمع

ومع ان الدكتور هرلوك يعتقد ان حجم الدماغ احد المميزات التي تميز الانسان عن الحيوان الا انه ليس من الذين يقولون بأن جميع العباقر كانت ادمغتهم كبيرة الحجم فلا سكيمو وبلادته الذهنية معروفة يفوق وزن

الكهربائية في كريات الرم الحمر

يعني علماء المعهد البيولوجي في ولاية نيويورك بدراسة كريات الدم الحمر من حيث ما فيها من الطاقة الكهربائية فوجد الدكتور موير والدكتور ابرامس ان الشحنة الكهربائية في كريات الدم الحمر في الانسان تفوق ما يقابلها في الكريات الحمر في دماء سائر الاحياء العليا وان مبلغ هذه الشحنة على سطح الكريات ١٥ مليون كهر ب . ولعل هذا القياس لا يفهم مجرداً . ولكن لبيان هذه الطاقة نقول انه اذا جمعت الشحنات الكهربائية على سطوح جميع الكريات الحمر في دم رجل صحيح الجسم وسرى التيار في مصباح كهربائي (٢٥ واطاً) انارته مدة خمس دقائق . ووجه الخطر في دراسة الطاقة الكهربائية في الكريات الحمر معرفة علاقتها بتخثر الدم عندما يصاب الانسان بجرح من ناحية وباحوال فقر الدم من ناحية اخرى

*

الارض تنكس رطل كل ساعة

الشهب اجسام مادية مظلمة منشورة في رحاب الفضاء او تدور في افلاك معينة حول جرم الشمس تلتقي بها الارض في اثناء سيرها بسرعة ١٨ ميلاً ونصف ميل في الثانية ومعظم هذه الاجسام دقيق الحجم لا يزيد على الرمل الدقيق او رشاش البنادق او الحصى الصغير . وقد قدر الاستاذ شاپلي مدير مرصد جامعة هارفرد ان نحو عشرة ملايين من هذه

الاجسام تدخل جو الارض كل يوم ولكننا لا نرى منها الا طائفة يسيرة جداً حتى ولو استعملنا المنظار

ولا يصل منها الى سطح الارض الا مقدار أيسر لان معظمها يتلاشى في خلال احتكاكه بجو الارض

وقد بينت طائفة من علماء اميركا ان ما تنكسه الارض من هذه الشهب التي تصل الى سطحها سواء في اليابسة او البحار يبلغ رطلاً كل ساعة

*

٣٠ مليون كمامة للوقاية

تصنع المصانع البريطانية اليوم نحو ثلاثين مليون كمامة للوقاية من الغازات السامة للحكومة البريطانية التي ستوزعها مجاناً على الشعب اذا نشبت الحرب لان بريطانيا متخوفة جداً من الحرب الجوية المقبلة وكل شخص يرغب في الحصول على كمامة والاحتفاظ بها الى وقت الحاجة في وسعه ان يشتريها من المصانع التي تصنع الكمامات بحسب تعليمات الحكومة وارشاداتها ويقولون في اوربا ان الكمامات باتت ضرورية اليوم للانسان كاتها قطعة من ثيابه لا بد من ارتدائها في وقت من الاوقات وقد رأينا امس في دار الصور المتحركة المصانع الكبيرة في روسيا وقد جهز كل عامل وعاملة بكمامة من هذا القبيل لتستعمل عند وقوع الاغارات الجوية حتي يبقى العمل في المصانع سائراً سيراً منتظماً

صورة الهرم بمحصول العسل

حدث من سنوات ان طائفة من الهررة كثر اعتداؤها على الدجاج فسمها رجال القرية او قتلوها بالنار فلم يمض صيفان حتى قل محصول العسل — عسل النحل — في تلك القرية قلة ظاهرة . فدل البحث على ان هناك صلة وثيقة بين قتل الهررة وقلة محصول العسل فكيف ذلك ؟

الهررة لا تصنع عسلاً ولكنها تأكل جردان الحقل

فاذا قلت الهررة كثرت الجردان والجردان تدمر او تاكل نوع من النحل يدعى النحل الطنان فاذا كثرت الجردان قل هذا النوع من النحل

وهذا النوع من النحل يلقح ازهار البرسيم فاذا قل هذا النوع من النحل قلت ازهار البرسيم وازهار البرسيم من اكبر المصادر التي يجني اربها نحل العسل واذن فقتل الهررة يفضي الى قلة محصول العسل

*

فيتامين (د)

في قشور جوز الكاكو

ثبت للباحثين في معامل كدبري التابعة لمصانع الشوكولاته المشهورة ان في قشور جوز الكاكو قدراً كبيراً من فيتامين (د) وهو الفيتامين الذي يفضي نقصه الى الكساح . وقد

جربت التجارب بالجرذان لاثبات صحة هذا الاكتشاف فاطعمت طائفة من الجرذان طعاماً ينقصه هذا الفيتامين فضعفت وهزلت واصيبت بالكساح . فاضيف الى طعامها قشر جوز الكاكو بعد سحقه فلم تمض عشرة ايام حتى شفيت مما ألم بها وجربت تجربة اخرى بالايقار الحلائب فاضيف الى غذائها اليومي مقدار رطلين من قشر جوز الكاكو فزاد مقدار فيتامين (د) في الزبدة التي تستخرج من اللبن المحلوب منها في الشتاء على متوسطه في الزبدة المستخرجة من اللبن المحلوب منها في الربيع . اي ان لبن الشتاء وهو اقل فيتاميناً من لبن الربيع عادة زاد فيتامينه على فيتامين لبن الربيع بعد اضافة قشر جوز الكاكو الى غذاء البقر

*

وقف السرطان في الحيوان

بواسطة الغذاء

تمكنت طائفة من الاطباء في معهد الصحة القومي في واشنطن من وقف سير السرطان في الفئران باعطائها غذاء خالياً من مادة الليزين . ومادة الليزين هذه من الحوامض الامينية اللازمة لنمو الخلايا

وقد حذروا القراء من التماهي في الاعتقاد بأن هذه التجارب تمكن الناس الآن من الاعتماد على هذا النوع من الغذاء لوقف نمو السرطان في المصابين وانما يقولون ان موالاة التجارب في الحيوانات قد تفضي الى شيء عملي يمكن تطبيقه على الانسان

جبرال علمي على الثوم

كيف يتأثر نفس الانسان بالثوم الذي يأكله . هل الأدهان التي فيه تلوث النفس عن طريق المعدة والدم والرئتين او عن طريق دقائق تبقى في الفم ؟ هذا هو السؤال

ففي سنة ١٩٣٥ أجرى عالمان من علماء جامعة هارفرد هما الدكتوران هاغرد وغرينبرج تجارب في طائفة من الناس ونشروا نتائج مباحثهما في مجلة الجمعية الطبية الاميركية وقد كانت تجاربهما كما يلي :

اعطيا الذين جربا تجاربهما بهم قليلاً من الثوم مضغوه وازدردوه . وقليلًا مضغوه ولم يزدردوه . وقليلًا مغلفاً بغلاف من الجلاتين فازدردوه دون مضغه . وذلك في أوقات مختلفة طبعاً . وكان في كل حالة يقيسون مقدار تأثير النفس برائحة الثوم فوجدوا انه عند ما يزدرد الثوم من دون مضغ لا يتأثر نفس الانسان برائحته . واما في الحالتين الاخرين فيتأثر النفس بهذه الرائحة

وبعد قليل جربت طائفة من اطباء جامعة سنسناي نفس التجارب ونشرت نتائج مناقضة لتجارب هاغرد وغرينبرج مما يدل على ان الرائحة تتصل بالنفس من المعدة والدم

ولكن مقدار الثوم الذي جربوا به تجاربهم كان كبيراً اي جعلوا الرجل الواحد يتناول بلعاً مقدار رطل من الثوم . فرد الطيبان الاولان انهما يسلمان بان رطلاً من الثوم اذا وصل الى المعدة وجرى في الدم فلا بد

ان يتأثر به النفس . ولكن من يأكل هذا القدر من الثوم ؟ وقالوا ان تجاربهما كانت بمقادير من الثوم مما يتناوله الانسان عادة وان نتائج مباحثهما مصبوبة على ذلك وهما متمسكان بها الى ان يثبت خطأها

*

الجوع وسلوك الانسان

التقى الاستاذ شارل جوستاف يونغ الاستاذ بجامعة زوريخ وأحد كبار علماء النفس المحدثين محاضرة في جامعة هارفرد عند الاحتفال بائقضاء ثلاثمائة سنة على تأسيسها قال فيها ان الباعث الجنسي ليس الباعث الغريزي الوحيد الذي يؤثر في سلوك الانسان الذهني بل هناك عوامل اخرى اصلها فسيولوجي ولكنها تصبح نفسية على مر الزمان عند ما تدرك قيمتها الاجتماعية وفي مقدمتها جميعاً : الجوع

الجوع في أساسه حالة طبيعية فسيولوجية ولكنها في مظاهره النفسية متعدد النواحي فانه باشتراكه مع عوامل أخرى يتحول الى طمع او جشع

لا ريب في ان الجوع وهو الاعراب الخارجي عن دافع حفظ الحياة في مقدمة العوامل الغريزية الاصلية التي تؤثر في سلوك الانسان . بل ان حياة الاقوام البدائية أشد تأثراً بعامل الجوع منها بعامل الدوافع الجنسية لان الجوع واكفائه في احوال تلك الاقوام ينطويان على حفظ الحياة او تلاشيا

برصده كما كان في مقدمة من عني برصد السيار
الجديد بلوطو

*

صناعة حفظ البيض بالصين

صناعة حفظ البيض صناعة رابحة في مدينة
شنغهاي بالصين حيث انشئت عدة منشآت
كبيرة لشراء البيض وتبريده وفصل الفاسد منه
عن السليم وأهم هذه المنشآت ستة يتناول كل
مها مليون بيضة كل يوم

وليس في الصين مزارع كبيرة تخصصت
في تربية الدجاج لاجل البيض الذي يبيضه
ولذلك تعتمد هذه المنشآت على صفار الفلاحين
في مزارعهم الخاصة حيث يندر ان تجد في
المزرعة الواحدة ما يزيد على مائة دجاجة ييوض
يؤخذ بعض البيض فيكسر بيضة بيضة
بواسطة بنات تخصصن في هذا العمل وعند ما
تكسر البيضة تشم ليعرف السليم منها من الفاسد
ويهرق الصفار والياض في اناء صغير يثقل على
سير نقال فيمر امام مفتش دقيق حس الشم فيعيد
شم ما في الفئجان قبل تفريره في حوض كبير
ويقال ان دقة حس الشم في هذا المفتش ومن
كان من قبيله تمكنه من تمييز بيضة فاسدة في
حوض كبير من صفار البيض وياضه

ثم يحفف الصفار على حدة والياض
بأساليب خاصة مسجلة . ومن البيض ما يبق
في قشره فيبرد في اجهزة خاصة ويشحن الى
اوربا واميركا وجنوب اميركا

نجم هيرير في صورة الرامي

اكتشف في طوكيو يوم ٦ أكتوبر
الماضي نجم جديد كبير في صورة الرامي
(او القوس) رؤيته مستطاعة بالعين المجردة
وهو الآن من القدر السادس ولما كان وجود
نجم من هذا القدر في صورة معروفة ومشهورة
من الصور النجمية وجهل العلماء به متعذراً
فالنتيجة المنطقية الوحيدة الممكنة هي انه نجم
جديد . والنجم الجديد اما ان يظهر في مكان
من السماء لم يكن فيه نجم قبلاً أو كان فيه نجم
ولكنه لم ير قبل تألقه لا بالعين ولا بالصور
الفوتغرافية

ومن اشهر النجوم في العصر الحديث النجم
الذي ظهر في صورة العقاب سنة ١٩١٨ فان
صورته كانت ظاهرة في الصور الفوتغرافية التي
صورت في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٨٨٨
وكان حينئذ من القدر الحادي عشر . وظهر
ايضاً في صورة فوتغرافية صورت في بلاد الجزائر
سنة ١٩٠٦ وكان اشراقه يتغير قليلاً وفي ٣ نوفمبر
سنة ١٩١٨ كان لا يزال من القدر الحادي عشر
ثم زاد اشراقه فصار من القدر السادس وفي
اليوم التالي اصبح واضحاً للعين المجردة وبعد
اربع وعشرين ساعة فاق نوره نور الشعري

وقد اذيع نبأ اكتشاف النجم الجديد على
مرصد العالم لمراقبته ورصده
فحسب ان يكون مرصد حلوان بهمة مديره
الدكتور محمد رضا مدور في مقدمة من يعنى

مكتبة المقتطف

ديوان الامير شكيب ارسلان

الامير شكيب ارسلان كوكب سيار ان غاب عن أرض فالعلم به في كل أرض . وهو إمام في كل فنونه من الأدب واللغة والترسل والشعر والتاريخ والسياسة ، مقدّم في جميعها منظور إليه نظرة أهل المسجد لإمام المسجد . ولو أوجزت في شرح حقيقته العظيمة لقلت : إنه رجل بعثته القدرة الالهية في أقطار الدنيا لتخرج منه هذا المجموع الذي لا يجمعه فرد ، ثم لتخرج من هذا المجموع قوة ، ثم لتعمل بهذه القوة عملها في نهضة العالم العربي : فروحته للثورة ، وقلبه للإيمان ، وعقله للسياسة ، ولسانه للبيان ، وهو في جملة جملة متميزة تعارض عليها الأفراد ولا يعارض هو بفرد

وهذا ديوانه نشره كما يقول في مقدمته ، لحصال ثلاث : احداها ألا ينسب إليه غير شعره ولا ينسب شعره الى غيره ، والثانية أن بعض قصائده تتعلق بوقائع تاريخية مشهورة فنشرها حصّة من التاريخ ، والاخرى توفية الذين رثاهم في ديوانه من أعلام العصر بعض حقوق الوفاء . قال : « فلم يكن غرضي من نشر هذا الديوان إظهار فصاحة أفاخر بها ، ولا إثبات براعة أتعلق بأسبابها ، ولا حشد كلمات أتوخى إرسالها ، ولا تسيير شوارد يقال من ذا قالها »

وهذا من تواضع الامير وسمو أدبه والأفكل ما نفاه عن نفسه أثبت شعره لنفسه ، فهو شعر مفاخر بفصاحته وبراعته ، ينزل من شعر العصر منزلة فصحاء الأعراب من المولدين في صدر تاريخ اللغة والبلاغة ، ففيه السليقة على أصحها والموهبة على أنمها ، وهو آية في الجزالة وقوة السبك واشراق البيان وحسن المعرض وكال الصنعة ، يتحدّر من طبع متين رزين ، ويتفجّر من ينبوع هدّار فوّار

ولا عيب في شعر الامير شكيب إلا أنه شعر الامير شكيب ، فالشاعر هنا تام بكل أسبابه ولكنّه مصروف عن الشعر برسالة عظيمة يؤديها في غير مملكة الخيال . فهو في الميادين لا في الرياض ، وفي الحنادق لا في القصور ، وفي الحقائق لا في الاخيلة ، ومع الاسود لا مع الظلمات وهو لتأليف امة لا لتأليف ديوان ، فكان الشعر دلالة على ناحية واحدة من نواحي كماله فهو بقدر هذه الدلالة في قلته وعظمته وانحصار اغراضه . وهذا فرق ما بين الامير وبين رجل كشوقي عاش مدة عمره كلها ليكون لساناً للذة والالم

وقد كان الامير يقول الشعر وهو في الرابعة عشرة من سنه ، ولما بلغ السابعة عشرة طبع

ديواناً سماه (الباكورة) وقد اختار منه طائفة من القصائد والمقاطع ألحقها بديوانه الاخير وهي عجيبة الدلالة على قائلها فما علمنا ان شاعراً ينظم القصيدة فيجاوز بها مائة بيت وهو في الخامسة عشرة كما صنع الامير في حياته ، فلا ريب انه شاعر قبيلة من قبائل العرب مجتمعة بخصائصها في دمه العربي الحر ، ولا ريب ان هذا هو الذي صرفه عن الشعر من بعد . اذ كانت هذه القبيلة مجتمعة كذلك في دمه بقواها واسلحتها

ومن الرائع النادر في ديوان الامير قصيدته الاندلسية التي نظمها بعد ان شاهد مسجد قرطبة في سياحته الى الاندلس سنة ١٩٣٠ وهي نيف ومائة بيت يقول في آخرها :
ولم يبق في هذي الديار لنا سوى ممالك فكر من حروف واسطر
ممالك لا تقوى عليها كتائب ولا سالب تاريخها زحف عسكر
اذا حضرت آثار قومي وان خلوا فاني منها في قبيل ومعشر
وأشعر ابي في بلادي كما تخاطبني الأرواح من كل مقبر
ولا أبعد ولا أجل من وصفه لشوقي فيما رثاه به إذ يقول :

جلّى الاله له الأمور كما يُلقي عليها الشمس من نظراته
فترى الطبيعة قبل نظره لها غير الطبيعة وهي في مرآته
والحسن يُشرق في العيون بذاته وهنا يضيء بذاته وصفاته
ما في الهيام كوجده وحنينه أو في النسب كظيئه ومهاته
ولا نطيل بايراد الأمثلة من هذا الشعر السري فالوردة الجميلة عنوان الورد

مصطفى صادق الرافعي

مقاومة دودة ورق القطن بالطرق الحديثة

تأليف عبد الواحد فهمي — الاختصاصي في الكيمياء الزراعية — ٢٥٤ ص بالقطع المتوسط

أورد المؤلف في كتابه تاريخ انتشار هذه الدودة وادوار حياتها والأحوال المساعدة على تكثير ظهورها أو تقليده وطرق مقاومتها المتداولة اما الطرق الحديثة التي يعينها فهي طرق المقاومة بالمواد الكيماوية وبعد أن عددها وذكر ملاحظاته على استعمالها وفائدتها خصّ منها بالتفضيل طريقة التعفير بزنيخات الجير وشرح اسلوب تحضيرها واستعمالها والحالة التي يفيد فيها هذا الاستعمال في اباد دودة ورق القطن وابادة دودني لوزه وأعقب ذلك يبحث آخر في التدوة العسلية ومقاومتها برشها بسلفات النيكوتين التي تفوق تأثيرها على غيرها من المبيدات الاخرى . واسلوب المؤلف في كتابه يدل على اتزانه وحسن نظره ويدعو الى الثقة بتجاربه ومشاهداته ، ولذلك فاني اود ان يقتني طلاب الزراعة والمشتغلين بها هذا الكتاب
احمد الانبي

علم الامراض الباطنية

الجزء الثاني — تأليف الدكتور حسني سبيح استاذ الامراض العصبية والباطنة وسريريائها في المعهد الطبي العربي بدمشق وطبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٣٦ والتمن ٨٠ قرشاً سورياً

لقد سبق لي ان نقدت كتاباً سابقاً للمؤلف في السنة الماضية وهذا مؤلف آخر له . ولا يخفى ان نقد الكتب الطبية يجب ان يكون في مجلة طبية والمقتطف مجلة ليست خاصة بالطب بل مجلة علمية وادبية يقرأها الناس على اختلاف طبقاتهم ولكن لا بأس بنقد هذا الكتاب من وجوه شتى الطبع — حسن جداً ويسرني انه مثل طبع سائر المطابع السورية والعراقية فان الياء فيه منقوطة بخلاف المطابع المصرية فان الياء النهائية بلا نقط فاللغة قد جعلت لسرعة التفاهم لا لعدمه اولبطه لغة الكتاب — لغته صحيحة وقد توخى فيه المؤلف الالفاظ الدارجة الفصيحة كما قال في مقدمته ويسرني انه تلقى النقد الماضي بصدور رحب شأن كبار العلماء فلم يغضب ولم ينتقم او يعاند ويكابر بل اصلح ما سها عنه في الماضي مع الشكر

متن الكتاب — وهو الجزء الفني منه واني لا أنقده لانه آخر ما وصل اليه العلم المصطلحات الطبية — وضع المؤلف ازاء كل كلمة عربية تفسيرها الفرنسي ووضع في آخر الكتاب معجماً عربياً وآخر فرنسياً ووضع ترجمة الالفاظ العربية ومثلها ترجمة الالفاظ الفرنسية وقد احسن في وضع كلمة واحدة دون غيرها وهو دليل على الثقة بالنفس اي انه لم يجعل معجمه طلقة رش اذا لم تنفع الكلمة الواحدة نفعت غيرها

والمعجمان من أحسن ما رآته العين فقد وضع الكلمة العربية او الفرنسية ووضع أمامها كلمة واحدة كما تقدم والمعجمان في ٣٢ صفحة فيها نحو ٤٥٠ كلمة ومثل ذلك في المجلد الاول وقد أصدره في السنة الماضية ، وهذه الالفاظ لم يضعها وحده بل اشترك فيها على ما يظهر سائر أساتذة المعهد الطبي العربي في دمشق . وقد علمت ان الدكتورين مرشد خاطر وحدي الحياط يجمعان معجماً فرنسياً يكون عمدة المعهد في المستقبل وكنت أود لو ان الجمعية الطبية العربية اعتمدته في توحيد المصطلحات واتخذته أساساً لانه لا توحيد الا يجعل المصطلحات واحدة اي لا تكون كثيرة المترادفات فانها اذا كثرت يحار الواحد فيها ولا يدري ايها يختار منها وهذا لا يتم الا بالاتفاق على جميع المصطلحات وقد جعل لنا المؤلف نواة تسير عليها ونعتمدها

وقد احسن المؤلف في جمع هذه المصطلحات وان كنت لا اوافقه عليها كلها وهي كثيرة جداً فما لا اوافقه عليه الكلمات القليلة الآتية وهي القول بمعنى الكحول والافرنجي بمعنى الحلق والحكي بمعنى الطبيعي والبلغم بمعنى اللثة وقليل غيرها ولكنها قليل جداً . على اني اوافقه على معظم الالفاظ وهي كثيرة جداً

تاريخ ابن الفرات

المجلد التاسع الجزء الاول — عني بتحرير نصه ونشره — الدكتور قسطنطين زريق — المطبعة الاميركية
بيروت — صفحاته ٢٤٣ قطع المقتطف

صاحب هذا التاريخ هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات المصري الحنفي ولد سنة ٧٣٥ هـ ودرس على جماعة من علماء زمانه وأجازه فريق منهم . . . وأكب على دراسة التاريخ وكتابته فوضع فيه مؤلفه الكبير . وتوفي ليلة الفطر سنة ٨٠٧ هـ
أما تاريخه فقد اجمع المترجمون له على انه كان كبيراً جداً تبلغ مسودته نحو مائة مجلدة وان ابن الفرات لم يكمل تبديده بل اتم تبديض المائة الثامنة ثم السابعة ثم السادسة منه ، فلما بلغ المائة الخامسة فالرابعة ادركه أجله . وذكروا أن هذا التاريخ كثير الفائدة الا ان عبارته عامية جداً غير سليمة من الاخطاء اللغوية . وقد جرى على قاعدة اكثر المؤرخين في عصره فرتب حوادث تاريخه بحسب السنين واورد الوفيات في آخر كل سنة
لم يحفظ من هذا الكتاب الا نسخة واحدة فريدة يوجد منها في المكتبة الامبراطورية في فينا تسعة مجلدات وقد نقلت بالفوتوستات للعلامة المغفور له احمد تيمور باشا فوضع لها مقدمة وجيزة واستقصى المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات وذكر ما في النسخة من السقط والتقديم والتأخير ، وهذه النسخة محفوظة في دار الآثار المصرية . وفي مكتبة الفاتيكان مجلد يعتقد لوسترايخ انه احد المجلدات الساقطة من نسخة فينا وبين مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس مجلد يظهر من وصف ده ملاين له انه يمت كذلك الى النسخة الاصلية . وفي مجموعة شيفر مخطوطة وصفها بلوشيه بأنها المجلد التاسع او الثامن من تاريخ ابن الفرات وهي تبدأ بأخبار الملوك الساسانيين وتنتهي بشعراء الجاهلية

هذا وقد صحت عزيمة الدكتور قسطنطين زريق احد اساتذة التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الاميركية على نشر هذا التاريخ كاملاً باعتباره اصلاً من الاصول التاريخية الثمينة ابرازه الى الوجود في نصه الاصيل . وقد استند الى تاريخ ابن الفرات غير واحد من كبار المؤرخين ولكن لم يتصد احد منهم لنشره

والمجلد الذي بين ايدينا هو الجزء الاول من المجلد التاسع وقد جرى فيه على احدث الطرق العلمية في نشر الاصول التاريخية ، تحقيقاً وتدقيقاً واسناداً . ولم يغير في الاصل الا « في امور قليلة حاولت ان أوفق فيها بين الدقة في المحافظة على الاصل بين طرق الاملاء والتنظيم الحديثة »
فللدكتور زريق وللعلماء الافاضل الذين عاونوه على اخراج هذا السفر اعظم الشكر وأطيب الثناء

النظام الاقتصادي في سورية ولبنان

اشرنا الى هذا الكتاب النفيس عند صدوره باللغة الانكليزية في السنة الماضية وقد جاءتنا الآن النسخة العربية وهي من ادق واتم ما يكون ترجمة بفضل الاستاذين شاكر نصار ولييب جريديني . وقد مهد لها الاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في جامعة بيروت الاميركية بكلمة يبين فيها طريقة تأليف الكتاب واغراضه تفعل منها ما يلي :

لقد كان الشعور شديداً ، ولازال ، بالحاجة الى بحث الاحوال الاقتصادية في الشرق الأدنى العربي بحثاً شاملاً ، غير ان قلة الاحصاءات في الماضي جعلت القيام بعمل كهذا متعذراً . ولكن منذ انتهاء الحرب العظمى كثر الاهتمام بمجمع الاحصاءات والمعلومات ونشرها ، وذلك بالاكثير نتيجة ما كان يتوجب على السلطات المنتدبة تقديمه من التقارير السنوية الى جامعة الأمم غير ان هذه الاحصاءات والمعلومات لم تزل ناقصة من حيث متناولها وفي بعض الحالات من حيث ضبطها وصحة الاعتماد عليها ايضاً . وهذا الكتاب هو احد ثلاثة ابحاث اقتصادية شاملة قد عازمت على وضعها دائرة الابحاث الاجتماعية في جامعة بيروت الاميركية ، وهو نتيجة عمل مشترك اتحدت فيه جهود التلامذة الممتنين والمتخصصين في العلوم الاقتصادية والتجارة في صف سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ وجهود الاساتذة في دائرة الاقتصاد والتجارة ، اضيف الى ذلك جهود عالين من علماء الاقتصاد كانوا من اساتذة الجامعة المذكورة . والغاية من هذه الكتب ان تقدم الى القراء بحثاً عاماً شاملاً عن النظم والاحوال الاقتصادية في بلدان الشرق الأدنى العربي بما فيها سكانها ومرافقها الطبيعية ومعداتها الرأسمالية ونظمها الزراعية والصناعية والتجارية والمالية ويمكن تلخيص أهمية هذه الكتب بنقاط ست هي (اولاً) انها تمهد الطريق للابحاث المسهبة في نواح خاصة من حياة هذه البلدان الاقتصادية (ثانياً) انه يمكن ان تتخذها البلدان المذكورة اساساً لتنظيم برامج لمداة طويلة او قصيرة (ثالثاً) انها ترشد الزعماء في هذه البلدان وتساعد على ايجاد التعاون بين الجماعات الاقتصادية المختلفة فيها (رابعاً) انها ذات قيمة كمراجع للاقتصاديين والتجار (خامساً) انه يمكن استعمالها ككتب للتدريس (سادساً) انها ذات قيمة تاريخية ككتب قد وضعت للبحث في اقتصاديات هذه البلدان في زمن معين فيمكن اذ ذاك ان تستخدم في المستقبل كأساس للمقابلة والقياس

والكتاب عشرة فصول تتناول السكان وثروة البلاد الطبيعية والاراضي والنظمة حيازتها والزراعة والصناعة والنقل والمواصلات والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية والنظام النقدي والصرافي والنظام المالي الحكومي ، والبحث فيها جميعاً قائم على الاسلوب العلمي من حيث التبويب والتقسيم والاعتماد على المشاهدات والاحصاءات فهو اوثق مرجع يعتمد عليه في هذا الموضوع

السَّيِّحُ عفا الله وقصصه أخرى

تأليف محمود تيمور — إحدى عشرة قصة — صفحاتها ١٧٦

الاستاذ محمود تيمور قصاص مصري حقاً . تقرأ معظم قصصه فتعلم انها صور منزعة من صميم الحياة المصرية ، لا مقتبسات من قصص الافرنج وقد بدلت فيها الاسماء . انه قصاص مصري لا لان ابطال قصصه يدعون الشيخ عفا الله وهنية والحلاق الاسطى ياقوت والحاج علي والدكتور مهابة ولا لان حوادثها وقعت في القاهرة او الاسكندرية او قرى الريف ، بل هي مصرية في طابعها النفسي والذهني . والمرجح عندنا انها لو كتبت ثانية وجعلت اسماء اشخاصها اسماء غير مصرية ، واما كن حدوثها في غير هذه البلاد ، لعرف القارئ الطابع المصري فيها وهذا طبعي في القصص الممتاز . فموضوعات القصص لم تتغير من يوم كان القصص رواية حول نار القبيلة الى ان اصبح كتباً تطبع وتباع في اقشرب الحلل واغلى الاثمان . هي بواعث الحياة الاساسية من حب وطمع وشهوة ومنافسة وغيره ووفاء تتراءى في مختلف العصور ومتباين الامم على صور شتى ، والقصص قلما يكتشف موضوعاً جديداً ، ولكنه لا يبلغ رتبة الامتياز الا اذا دق احساسه فرأى رجح هذه البواعث الاساسية ، في صور جديدة ، وانطلق قلمه في وصفها

هنا الشاب الذي تملكه الشهوة لزوج أخيه الشابة ، فيقضي بقية العمر ينوح من شق القصة ، وهنا الفتاة الصغيرة ، التي تصدمها الحياة بسخريتها ، فيقال لها عندما تقرأ أمها مع عشيقها ان أمها ماتت ويقال لها عندما يموت أبوها انه في سفر ، وهناك الطبيب المثقف محول سلطة والده بينه وبين قصيدة الحياة نفسها ، فيفزع من الحياة الى دواوين الشعر ، وهناك الفقي الورع الذي تغلب عليه الابوة فتقود قديمه الى فتاته الزانية وهو يستنزل اللعنات عليها ، فتموت بين ذراعيه تائبة الى الله عما جنت — صور روقك فيها دقة في الملاحظة والوصف وسمة من البساطة الفلسفية تراح اليها

وقد أهدى الينا الاستاذ تيمور مع مجموعة قصصه هذه رسالة في « نشوء القصة وتطورها » وهي نص محاضرة كان قد القاها في جامعة القاهرة الاميركية ، والبحث فيها ثلاثة أقسام ، أولها نشوء القصة في العالم ومظهرها في العصر القديم والثاني القصة في الأدب العربي القديم والثالث القصة المصرية في العهد الحديث

فلسفة المحرّبين والمعاصرين

سلسلة المعارف العامة — صفحات هذه الحلقة ٢٤٩ — لجنة التأليف والترجمة والنشر

وضع هذه الرسالة الأستاذ وولف استاذ المنطق بجامعة لندن ونقلها الى اللغة العربية الدكتور ابو العلا عفيفي مدرس الفلسفة بكلية الآداب في الجامعة المصرية . والرسالة من خير الملخصات في اتجاهات الفلسفة الحديثة . في فصلها الاولين تحديد للفلسفة وموضوعاتها وهي الوجود والمعرفة والخير والجمال : واما ما بقي من فصولها فأبواب كل باب منها وقف على مذهب بعينه من مذاهب الفلسفة الحديثة وأعظم اساطينه . هنا المذهب المادي والمذهب المثالي المطلق ومذهب التعدد الروحي ومذهب التجريد الجديد ومذهب الحياة ومذهب الواقع ، وقد انطوت تحت هذه المذاهب المختلفة اسماء تسعة وثلاثين فيلسوفاً ، وملخص فلسفة كل منهم . الترجمة دقيقة الاداء ، فقد قابلنا بين فقرات كثيرة في الاصل والترجمة فأفضت بنا المقابلة الى هذا الحكم ، وجبذا الحال لو لم يحذف الدكتور عفيفي ، اسماء اهم الكتب التي يرجع اليها في دراسة كل من هؤلاء الفلاسفة ، فهي في نهاية كل نبذة في الاصل الانكليزي ولم نعتز عليها ولا على اشارة اليها في الترجمة

وكنانود لو وفق المترجم الى غير « التطور الفجائي » ترجمة ل emergent evolution ثلاثاً تحتلظ بالتحول الفجائي وهي ترجمة سائرة الآن ل mutation ولان فلسفة لويدي مورغن المعروفة بهذا الاسم تنصرف على الاكثر على بزوغ صفة لم يكن توقعها ممكناً unpredictable لا على « فجائية » بزوغها او ظهورها . فهو يقول مثلاً ان السيولة وهي صفة الماء ليست من صفات الايدروجين على حدة ولا الاكسجين على حدة ولا يمكن توقع ظهورها من دراسة خواص هذين الغازين (راجع التنسيق في الكون مقتطف يناير ١٩٣٠ صفحة ٣٣ — ٣٩ ولا سيما هامش صفحة ٣٤)

وفي السطر الاول من صفحة ١٨٠ : « وفلسفته بوجه عام واقعية اثنية » والمقصود باثنية dualistic ولكن المشكلة في استعمال صيغة « اثنية » انها هنا في موقع رفع وكان يجب ان تكون « اثنائية » ولعل رسمها بهذه الصور لم يسغه ذوق الدكتور ابو العلا ، ولو استعمل ثنائية وقد سبق استعمالها ترجمة ل dualistic في السياسة والفلسفة لاجتناب مشكلة الاعراب في « اثنان » و « اثنين » وبعد فكل من عاجل الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في موضوعات فلسفية علمية يدرك بعد قراءة هذه الرسالة ان نقل الدكتور عفيفي لها آية في الأمانة والقوة

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والثمانين

الطيران والحرب القادمة . للفيلسوف برترند رسل	٥١٣
التمثال (قصيدة) . للمهندس علي محمود طه	٥٢١
الادب والآلة	٥٢٤
المصور محمود سعيد . لحليم متري	٥٣١
الزجاج والحضارة . لحبيب اسكندر	٥٤٩
سر شكبير . لسامي الجريديني	٥٤٤
ذا كرة الالوان . لمظهر سعيد	٥٤٥
اللذة والسلوك . لاسماعيل مظهر	٥٤٨
الحضارة الحثية . لقيصر صادر	٥٥٤
الكهربائية البشرية . لعوض جندي	٥٦٠
هتلر وفيشته . لابراهيم ابراهيم يوسف	٥٦٦
السمك الراحي	٥٧٣
الشمس المحتضرة . للسرجيمز جينز	٥٧٧
قصة شلي الغرامية : بقلم م . ع . الهمشري	٥٨٣
مفردات النبات : لمحمود مصطفى الديماطي	٥٨٩
امراض نادرة غريبة	٥٩٣
القروء العظام وأسمائها العربية : للفريق الدكتور امين المعلوف	٥٩٨
حديقة المقتطف : كواكب لامعة في الادب الاسباني : سرفانتس ودون كيشوت	٦٠١
سير الزمان : قوى الدفاع الاوربية : دول الشمال : دول البلطيق : بولنده :	٦٠٩
بلجيكا وهولندا : النمسا والمجر وبلغاريا : سويسرة : دول التحالف الصغير :	
دول البحر المتوسط : البانيا والبرتغال — أهم الحوادث الدولية في سنة ١٩٣٦	
باب المراسلة والمناظرة . حول الشذوذ في النظام الشمسي	٦٢٤
باب الاخبار العلمية * جائزة نوبل الطبيعية . جائزة نوبل الطبية وكيمياء الاعصاب . أدق	٦٢٥
العمليات الجراحية في ذباني الفأله . الذكاء وحجم الدماغ . الفيتامين في التفاح . الكهرباء في	
كمريات لدم الحمر . الارض تكسب رطلا كل ساعة . ٣٠ مليون كجامة للوقاية . صلة اهر بمحصول	
المسل . فيتامين (د) . وقف السرطان في الحيوان . جدال علمي على الثوم . الجوع وسلوك	
الانسان . نجم جديد في صورة الراحي . صناعة حفظ البيض	
مكتبة المقتطف * ديوان الامير شكيب ارسلان . مقاومة دودة ورق القطن . علم الامراض	٦٣٣
الباطنية . تاريخ ابن الفرات . النظام الاقتصادي في سورية ولبنان . الشيخ عفا الله وقصص	
أخرى . فلسفة المحدثين والمعاصرين	